الجامع لمسائل العقيدة الطحاوية

لأبي جعفر الطحاوي رحمه الله

المتوفى سنة ٣٢١هـ

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجامع لمسائل العقيدة الطحاوية

لأبي جعفر الطحاوي رحمه الله

المتوفى سنة ٣٢١ هـ

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ

بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ، وبعدُ.

فقد ظلت الأمة الإسلامية أعواما عديدة علىٰ العقيدة الصافية المستمدة من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حتىٰ جاءت طائفة أعملوا عقولهم في النصوص الشرعية معتمدين علىٰ مقولات الفلاسفة والمناطقة، فحرَّفوا وأولوا النصوص تبعا لذلك، وقد تصدىٰ لهم أهل السنة والجماعة، وبينوا عوار هذه الطرق المنحرفة، وفسادها، ونصوا علىٰ بطلانها، وهذا هو السمت الغالب علىٰ كتب المتقدمين في العقيدة؛ فإنها تُعد بمثابة الردود علىٰ أهل البدع والأهواء؛ لذلك لم تستوعب جميع مسائل العقيدة، وهذا بخلاف طريقة المتأخرين؛ فإنها تنتهج منهج التقرير؛ لذلك تكاد تكون ملمَّةً بموضوعات العقيدة الرئيسية.

ومن العلماء المتقدمين الذين أسهموا في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة والرد علىٰ أهل البدع والفرق المنحرفة أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويُعد كتابه «**العقيدة الطحاوية**» من أشهر الكتب المصنفة في العقيدة، وأكثرها نفعا؛ لما اشتمل عليه من تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة في الجملة، وكثرة المسائل العقدية، كما امتاز بجودة الأسلوب، وسهولة الألفاظ.

وقد أردتُ أن أحظىٰ بشرف شرح هذا الكتاب المبارك، فوضعت هذا الشرح «**الجامع لمسائل العقيدة الطحاوية**»، وأردت به أن يكون

جامعا لأشهر المسائل التي تتعلق به، موضحا لألفاظه، وسطا لا طويلا ولا مختصراً.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني وسائر أعمالي.

كما أسأله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أن يميتني علىٰ السُّنة، إنه كريمٌ جواد.

وكتب

د. خالد بن محمود الجهني

١٠/ ٥/ ١٤٣٥هـ

ترجمة موجزة
للمصنف الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليمان الأزدي الطَّحاوي[١].

مولده:

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٣٩ بطَحَا[٢]، وهي قرية في صعيد مصر[٣]، تابعة لمركز سمالوط بمحافظة المنيا، وتسمىٰ طحا الأعمدة، وطحا العمودين.

طلبه للعلم:

طلب الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم صغيرا، وأول من كتب عنه الحديث:

---

(١) انظر: الأنساب المتفقه، لابن القيسراني «ت ٥٠٧هـ»، صـ (٧)، والأنساب، للسمعاني «ت ٥٦٢» (٩/ ٥٣).

(٢) انظر: الأنساب المتفقه، صـ (٧، ٣٨)، والأنساب، للسمعاني (٩/ ٥٤)، وتاريخ دمشق، لابن عساكر «ت ٥٧١» (٥/ ٣٦٨).

(٣) انظر: الأنساب، للسمعاني (٩/ ٥٣).

خاله الإمام المُزني، وكان يأخذ بقول الشافعي إلىٰ أن قدم أحمد بن أبي عمران الحنفي قاضيا علىٰ مصر، فصحبه، وأخذ بقوله[(١)].

وارتحل إلىٰ الشام سنة ثمان وستين ومائتين فلقىٰ القاضي أبا خازم قاضي دمشق، وأخذ عنه الفقه، وَسمع منه[(٢)].

شيوخه:

أخذ الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم عن علماء كثيرين، من أشهرهم:

- هارون بن سعيد الأيلي.
- إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل المُزني.
- أبو شريح محمد بن زكريا كاتب العمري.
- أبو عثمان ابن بشر بن مروان الأزدي.
- الربيع بن سليمان الجيزي[(٣)].

تلاميذه:

تلقىٰ العلم عن الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علماء كثيرون، من أشهرهم:

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٩).

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٧)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحي الدين الحنفي «ت ٧٧٥هـ» (١/ ١٠٣).

(٣) انظر: تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٧).

- أبو بكر المقرئ.

- أبو القاسم الطبراني.

- أبو أحمد عبد الله بن عدي القطان.

- أبو الحسن الإخميمي.

- أبو الفرج أحمد بن القاسم بن الخشاب[(١)].

مذهبه الفقهي:

كان الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شافعي المذهب يقرأ علىٰ المزني، فقال له يومًا: والله لا جاء منك شيء، فغضب الطحاوي من ذلك، وانتقل إلىٰ أحمد بن أبي عمران الحنفي، وأخذ عنه، فلما صنف مختصره قال: رحم الله أبا إبراهيم - يعني المزني - لو كان حيًّا لكفَّر عن يمينه[(٢)].

وقال أبو يعلىٰ الخليلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت أحمد بن محمد الشُّرُوطِيَّ يقول: قلت للطحاوي: لم خالفت خالك - أي المزني - واخترت مذهب أبي حنيفة؟ قال: لأني كنت أرىٰ خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه»[(٣)].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يقلد أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل كان يجتهد ويرجِّح خلاف ما يقول به أبو حنيفة، وإنما كان يتبع منهجه

(١) انظر: تاريخ دمشق (٥/ ٣٦٧)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي «ت ٧٤٨هـ» (١٥/ ٢٨).
(٢) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلّكان «ت ٦٨١هـ» (١/ ٧١).
(٣) انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي «ت ٤٤٦هـ» (١/ ٤٣١).

وطريقته.

قال ابن زُولَاقٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت أبا الحسن علي بن أبي جعفر الطحاوي يقول: سمعت أبي يقول، وذكر فضل أبي عبيد بن جُرْثومة، وفقهه، فقال: كان يذاكرني بالمسائل فأجبته يوما في مسألة، فقال لي ما هذا قول أبي حنيفة! فقلت له: أيها القاضي أوَ كل ما قاله أبو حنيفة أقول به؟!

فقال: ما ظننتك إلا مقلدا.

فقلت له: وهل يقلد إلا عصبي؟!

فقال لي: أو غبي.

فطارت هذه الكلمة بمصر حتىٰ صارت مثلا، وحفظها الناس(١).

تصانيفه:

صنَّف الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات حسنة كثيرة بلغت الثلاثين كتابا، من أشهرها(٢):

- شرح مشكل الآثار.
- أحكام القرآن.

(١) انظر: لسان الميزان، لابن حجر «ت ٨٥٢هـ» (١/ ٢٨٠)، ورفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر، صـ (٢٧٣).

(٢) انظر: الأنساب (٩/ ٥٣)، ووفيات الأعيان (١/ ٧١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩).

- اختلاف العلماء.

- شرح معاني الآثار.

ثناء العلماء عليه:

أثنىٰ علىٰ الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كثير من أهل العلم، ومن ذلك:

قال أبو سعيد بن يونس رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ثقة ثبتا فقيها عاقلا لم يُخلّف مثله»[١].

وقال ابن النديم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أوحد زمانه علما وزهدا»[٢].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان من أعلم الناس بسير القوم -أي الحنفية- وأخبارهم؛ لأنه كان كوفي المذهب وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء رَحِمَهُ اللَّهُ»[٣].

وقال مسلمة بن قاسم الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ثقة جليل القدر، فقيه البدن، عالما باختلاف العلماء، بصيرا بالتصنيف»[٤].

وقال ابن خلِّكان رَحِمَهُ اللَّهُ: «انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالىٰ عنه بمصر»[٥].

---

(١) انظر: الأنساب المتفقه، صـ (٣٨).
(٢) انظر: الفهرست، لابن النديم «ت٤٣٨هـ»، صـ (٢٥٧).
(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر «ت ٤٦٣هـ» (٢/ ٨٩٧).
(٤) انظر: لسان الميزان (١/ ٢٧٦).
(٥) انظر: وفيات الأعيان (١/ ٧١).

وقال محي الدين الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَ ثِقَة نبيلا فَقِيها»(١).

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، من نظر في تواليف هذا الإمام علم محله من العلم، وسعة معارفه»(٢).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفقيه الحنفي، صاحب المصنفات المفيدة والفوائد، وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أوحد أهل زمانه علما»(٤).

وفاته:

توفي الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الخميس مستهل ذي القَعدة سنة ٣٢١هـ(٥).

---

(١) انظر: الجواهر المضية (١/ ١٠٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧، ٣٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير «ت ٧٧٤هـ» (١٥/ ٧٢).

(٤) انظر: لسان الميزان (١/ ٢٧٨).

(٥) انظر: الأنساب المتفقه، صـ (٣٨)، والأنساب، للسمعاني (٩/ ٥٣)، وتاريخ دمشق (٥/ ٣٦٨).

موضوع الكتاب

اشتمل كتاب «**العقيدة الطحاوية**» علىٰ موضوعات عقدية مهمة، منها:

- أصول الإيمان الستة.
- أنواع التوحيد.
- تعريف الإيمان.
- مراتب الإيمان بالقدر.
- الاعتقاد في أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- الواجب نحو ولاة الأمور.
- الحث علىٰ الاجتماع، ونبذ الفرقة.

المآخذ على الكتاب

يُعدُّ كتاب «**العقيدة الطحاوية**» من أجلِّ الكتب المصنفة في علم العقيدة، وقد أثنىٰ عليه كثير من العلماء إلا أنه اشتمل علىٰ بعض المآخذ، منها:

- أنه لم يرتب علىٰ أصول الإيمان إنما جعل الكلام فيها مفرَّقا.
- خالف الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان؛ حيث إنه وافق مرجئة الفقهاء، فقال: «**أهله في أصله سواء**»؛ وهذا مذهب الحنفية.
- وقال بعدم ظهور آثار أسماء الله وصفاته إلا بعد إيجاد العالم.

الشـــــــــرح

مُقَدِّمَةٌ

قال العلامة حجة الإسلام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَىٰ مَذْهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العَالَمِينَ.

الشرح

قوله: «هذا»: إشارة إلىٰ ما سيذكره من مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة.

قوله: «ذكر بيان»: البيان هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور[1].

قوله: «عقيدة»: علىٰ وزن فعيلة بمعنىٰ مفعولة، أي معتقد؛ وأَصْلها: عَقَد، وهو يدل عَلَىٰ شَدٍّ وَشِدَّةِ وُثُوقٍ[2]؛ واعتقدت كذا:

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير «ت ٦٠٦هـ» (١/ ١٧٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس «ت ٣٩٥هـ»، مادة «عقد».

عقدت عليه القلب والضمير؛ والعقيدة: ما يدين الإنسان به؛ يقال: له عقيدة حسنة سالمة من الشك[1]؛ وعقيدة الرجل: دينه الذي يعتقده[2].

واصطلاحا: حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقا للواقع فهو صحيح، وإلا فهو فاسد[3]؛ فاعتقاد النصارىٰ أن المسيح ابن الله اعتقاد فاسد؛ لأنه غير موافق للواقع؛ واعتقادنا أن الله واحد أحد اعتقاد صحيح؛ لأنه موافق للواقع.

فقولنا: «حكم الذهن»: خرج به ما ينطق به الإنسان؛ لأنه إذ قد يقول ما لا يعتقد.

وقولنا: «الجازم»: خرج به الشك؛ لأن الشك لا يسمىٰ عقيدة.

وقيل: الاعتقاد هو ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل[4].

قوله: «أهل السنة»: سُموا أهل السنة؛ لأنهم يتبعون سنة النبي ﷺ خلافا المبتدعة الذين يعرضون عن السنة ويقدمون عقولهم عليها؛ والسنة هنا في مقابل البدعة.

---

(١) **انظر:** المصباح المنير، للفيومي «ت ٧٧٠هـ»، مادة «عقد».

(٢) **انظر:** شمس العلوم، لنشوان الحميري «ت ٥٧٣هـ» (٧/ ٤٦٦٢).

(٣) **انظر:** الحدود الأنيقة، لزكريا الأنصاري «ت ٩٢٦هـ»، صـ(٦٩)، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي «ت ١١٥٨هـ» (٢/ ١٢٢١-١٢٢٢)، ولوامع الأنوار وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني «ت ١١٨٨هـ» (١/ ٦٠).

(٤) **انظر:** التعريفات، للجرجاني «ت ٨١٦هـ»، صـ(١٥٢).

قولــه: «والجماعـة»: سـموا بالجماعـة؛ لأنهـم يجتمعـون علـىٰ العمـل بسـنة النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فـلا اخـتلاف بيـنهم؛ لأن عقيـدتهم واحدة؛ وإنما وقع الاختلاف في الأمور الفقهية؛ والجماعة هنا في مقابل الفُرقة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[الأنبياء:٩٢]، أي ملتكم ودينكم دين واحد وهو الإسلام، وأصل الأمة الجماعة التي هي علىٰ مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة؛ لاجتماع أهلها علىٰ مقصد واحد[١].

فالمقصود بأهل السنة والجماعة: الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، والتابعون، والتابعون لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين ممن سار علىٰ نهجهم واتبع طريقتهم.

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«الْجَمَاعَةُ»**[٢].

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (٣/ ٣١٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (٢٤٠٠٥)، وصححه الألباني.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦]، قال: «تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَة وَالفُرْقَةِ»(١).

والجماعة نوعان:

أحدهما: جماعة بدنية: هي الاجتماع بالأبدان في مكان واحد كأهل بلد معين، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[آل عمران:١٠٣].

الآخر: جماعة دينية: هي الاجتماع في الدين أي في معتقد وإن اختلفت بلادهم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣].

قوله: «علىٰ مَذْهَب»: المذهب لغة: مصدر ميمي يطلق علىٰ محل الذهاب وزمانه، والاعتقاد، والطريقة المتبعة، ثم استعمل فيما يصار إليه من الأحكام(٢)؛ وقيل: المذهب المعتقد الذي يذهب إليه(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوي «ت ٥١٠» (١/ ٤٨٩)، وتفسير القرطبي «ت ٦٧١هـ» (٤/ ١٦٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٩٢).

(٢) انظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، للمناوي «ت ١٠٣١هـ»، صـ (٣٠١).

(٣) انظر: الكليات، لأبي البقاء الكفوي «ت ١٠٩٤هـ»، صـ (٨٦٨).

قوله: «فُقَهاء»: جمع فقيه؛ وهو المشتغل بالفقه العالم به؛ والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية(١).

قوله: «المِلَّة»: أي ملة الإسلام؛ والملة لغة: من أَمْلَلْتُ الكتاب وأمليته، أي ألقيته علىٰ الكاتب ليكتبه، قال تعالىٰ: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:٢٨٢](٢).

وشرعا: هي اسم لما شرعه الله لعباده علىٰ لسان أنبيائه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ ليتوصلوا به إلىٰ مرضاته؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[آل عمران:٩٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ﴾[يوسف:٣٨](٣).

مسألة: الفرق بين الملة والدين:

الملة لا تضاف إلىٰ الله، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها؛ فلا يقال: ملة الله، ولا: الصلاة ملة الله.

بخلاف الدين فإنه يضاف إلىٰ الله، ويُستعمل في جملة الشريعة، وآحادها، فيقال: دين الله، و: الصلاة دين الله(٤).

قوله: «أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي»: هو الإمام، فقيه

---

(١) انظر: نهاية السول، للإسنوي «ت ٧٢٢هـ»، صـ(١١).
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن؛ للراغب الأصفهاني «ت ٥٠٢هـ»، صـ(٧٧٣).
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٧٧٣).
(٤) انظر: السابق، صـ(٧٧٣).

الملة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطَىٰ التَّيْمِيُّ، الكُوفِيُّ، ولد سنة ثمانين، في حياة صغار الصحابة، ورأىٰ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قدم عليهم الكوفة، ولم تثبت له رواية عن أحد منهم؛ وروىٰ عن عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له، وأفضلهم.

قيل للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا، لقام بحجته.

وعن أسد بن عمرو رَحِمَهُ اللَّهُ: أن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ صلىٰ العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة.

وقال القاضي أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمعت رجلا يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل؛ فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاة، وتضرعا، ودعاء**».

وقال أبو عاصم النبيل رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أبو حنيفة يسمىٰ الوتد؛ لكثرة صلاته.

وعن عبد الحميد الحِمَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه صحب أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ ستة أشهر؛ قال: فما رأيته صلىٰ الغداة إلا بوضوء العشاء، وكان يختم كل ليلة عند السحر.

وعن زيد بن كُميت رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه سمع رجلا يقول لأبي

حنيفة: اتق الله؛ فانتفض، واصفر، وأطرق، وقال: جزاك الله خيرا، ما أحوج الناس كل وقت إلىٰ من يقول لهم مثل هذا.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أبو حنيفة أفقه الناس.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس في الفقه عيال علىٰ أبي حنيفة.

وقال علي بن عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم.

وقد روي أنه قرأ القرآن كله في ركعة.

ويروىٰ أنه ختم القرآن سبعة آلاف مرة.

تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة خمسين ومائة، وله سبعون سنة[(١)].

قوله: «وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري»: هو الإمام، المجتهد، العلامة، المحدث، قاضي القضاة، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الكوفي، ولد في سنة ثلاث عشرة ومائة.

أخذ العلم عن: هشام بن عروة، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، والأعمش، وأبي حنيفة، ولزمه، وتفقه به، وهو أنبل تلامذته، وأعلمهم.

وتتلمذ علىٰ يديه: يحيىٰ بن معين، وأحمد بن حنبل، وأسد بن

---

(١) انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٤٠٥-٤١٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠-٤٠٣)، والجواهر المضية (١/ ٢٦-٣٢).

الفرات، ومحمد بن الحسن، وعدد كثير.

قال: صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة.

وكان أبوه فقيرا، له حانوت ضعيف، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدراهم، مائة بعد مائة.

وقال محمد بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مرض أبو يوسف، فعاده أبو حنيفة، فلما خرج، قال: إن يمت هذا الفتىٰ، فهو أعلم من عليها.

وقال يحيىٰ البرمكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قدم أبو يوسف، وأقل ما فيه الفقه، وقد ملأ بفقهه الخافقين. أي المشرق والمغرب.

وقال هلال الرأي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أبو يوسف يحفظ التفسير، ويحفظ المغازي، وأيام العرب، كان أحد علومه الفقه.

وقال ابن سِمَاعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ورد أبي يوسف في اليوم مائتي ركعة.

وكان الرشيد يكرمه ويجله، وكان عنده حظيًّا مكينًا، وهو أول من دعي بقاضي القضاة.

توفي أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الخميس، خامس ربيع الأول، سنة اثنتين وثمانين ومائة[1].

---

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٢/ ٥٨٤-٥٨٥)، وفيات الأعيان (٦/ ٣٧٨-٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥-٥٣٨).

قولـه: «وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني»: هـو العلامـة، فقيـه العـراق، أبـو عبـد الله محمـد بـن الحسـن بـن فرقـد أبـو عبـد الله الشـيباني، الكـوفي، صـاحب أبـي حنيفـة، ولـد بواسـط، ونشـأ بالكوفـة؛ وأخذ عن أبي حنيفة بعـض الفقـه فحضـر مجلسـه سـنتين، وتمـم الفقـه علىٰ القاضي أبي يوسف.

ومن أجل شيوخه: أبو حنيفة، والأوزاعي، ومالك بن أنس.

ومن أجل تلاميذه: الشافعي - فأكثر جدا - وأبو عبيد، وهشام بـن عبيد الله، وآخرون.

ولي القضاء للرشيد بعد القاضي أبي يوسـف، وكـان مـع تبحـره في الفقه يُضرب بذكائه المثل.

كان الشافعي يقول: ما ناظرت سمينا أذكىٰ منه، ولو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلت؛ لفصاحته.

توفي سنة تسع وثمانين ومائة بالري[(١)].

قولـه: «رضوان الله عليهم أجمعين»: هذه الجملة إنشـائية معنىٰ خبرية لفظا؛ ومعناها: اللهم ارضِ عنهم؛ و«**أجمعين**» توكيد معنوي.

قـال النـووي رَحِمَهُ اللَّهُ: يسـتحب الترضـي والـترحم علـىٰ الصـحابة والتـابعين فمـن بعـدهم مـن العلمـاء والعبَّـاد، وسـائر الأخيـار، فيقـال:

(١) انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٨٤-١٨٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤-١٣٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو: رحمة الله عليه، أو: رَحِمَهُ اللَّهُ، ونحو ذلك.

وأما ما قاله بعض العلماء: إن قول: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخصوص بالصحابة، ويقال في غيرهم: رَحِمَهُ اللَّهُ فقط، فليس كما قال، ولا يُوافق عليه، بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه، ودلائله أكثر من أن تحصر(١).

قوله: «وما يَعْتَقِدُونَ»: أي وبيان ما يُقرُّون ويجزمون به لله رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قوله: «مِنْ أُصُولِ الدِّينِ»: أي من مسائل العقيدة؛ فالدين أصول وفروع؛ أما الأصول فهي مسائل الاعتقاد؛ وأما الفروع فهي الأحكام.

وأصول: لُغَةً: جمع أصل، وهو أَسَاسُ الشَّيْءِ(٢).

واصطلاحا: هو ما له فرع؛ لأن الفرع لا ينشأ إلا عن أصل(٣)، وأصل كل شيء: ما يستند تحقق ذلك الشيء إليه(٤).

قوله: «وَيَدِينُونَ بِهِ»: أي يتعبدون به لرب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ودان: أي أطاع وذل وانقاد(٥)

قوله: «رَبَّ»: الرب هو المالك المتصرف، ويُطلق في اللغة علىٰ

---

(١) **انظر**: المجموع، للنووي (٦/ ١٧٢).

(٢) **انظر**: مقاييس اللغة، مادة «أصل».

(٣) **انظر**: شرح الكوكب المنير، لابن النجار «ت ٩٧٢هـ» (١/ ٣٨).

(٤) **انظر**: شرح مختصر الروضة للطوفي «ت ٧١٦هـ» (١/ ١٢٤).

(٥) **انظر**: تهذيب اللغة، للأزهري «ت ٣٧٠هـ»، مادة «دان».

السيد، وعلىٰ المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالىٰ.

ولا يستعمل الرب لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

قوله: «العالمين»: جمع عَالَم، وهو كل موجود سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والعالَم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السماوات والأرض في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمىٰ عَالَما أيضا[(٢)]، فالإنس عالَم، والجن عالَم، والحيوان عالَم، والطير عالَم، والنبات عالَم،.. إلخ.

---

(١) **انظر**: تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).
(٢) **انظر**: السابق (١/ ١٣١).

[الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ]

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللهِ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

الشرح

قوله: «نَقُولُ»: أي نقول بألسنتنا نحن أهلَ السنة والجماعة ومن ذكر من أئمة الحنفية؛ فلا يكفي في الاعتقاد اعتقاد القلب فقط، بل لابد من قول اللسان.

قوله: «فِي تَوْحِيدِ اللهِ»: أي في موضوع توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والتوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدا، بمعنىٰ أفرد يفرد إفرادا[1].

واصطلاحا: هو إفراد الله بالخلق والتدبير والسيادة والمُلك، وإفراده بالعبادة، وبالأسماء والصفات.

وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه علىٰ أن الله واحد في مُلكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «وحد».

إلهيته وعبادته لا ند له[١].

مسألة: أقسام التوحيد:

من العلماء من قسَّم التوحيد ثلاثة أقسام[٢]:

أحدها: توحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والتدبير والسيادة والملك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص:٢].

والعرب تسمي أشرافها الصمد؛ كما قَالَ أَبُو وَائِلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَىٰ سُودَدُهُ»[٣].

الثاني: توحيد الإلهية: هو إفراد الله بالعبادة.

قال الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب «ت ١٢٣٣هـ»، صـ (١٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٨)، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، صـ (٣٠)، شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي «ت ٧٩٢هـ» (١/ ٢٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٨٠).

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ﴾[الأنعام:١٠٢].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ ...»(١).

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما سمىٰ ووصف به نفسه في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢).

ومن العلماء من قسَّم التوحيد قسمين(٣):

أحدها: توحيد علمي اعتقادي؛ وهو نوعان: أحدهما: توحيد

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٢، ومسلم (١٩))، وهذ اللفظ للبخاري؛ ولفظ مسلم: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية «ت ٧٢٨هـ» (١٥/ ١٦٤)، ومدارج السالكين (١/ ٤٨).

الربوبية، والثاني: توحيد الأسماء والصفات.

توحيد علمي؛ لأن المطلوب فيه العلم، وتوحيد اعتقادي؛ لأن المطلوب فيه الاعتقاد، ويُسمىٰ توحيد المعرفة؛ لأن المطلوب فيه المعرفة، ويسمىٰ أيضا توحيد الإثبات؛ لأن المطلوب فيه الإثبات.

الثاني: توحيد عملي إرادي قصدي؛ وهو توحيد الإلهية.

توحيد عملي؛ لأن المطلوب في العمل لله وحده، وتوحيد إرادي قصدي؛ لأن المطلوب فيه أن يقصد العبد بعبادته وجه الله تعالىٰ ومرضاته، ويسمىٰ أيضا توحيد النية؛ لأن المطلوب فيه أن ينوي العبد بعبادته وجه الله وحده.

قوله: «مُعْتَقِدِينَ»: أي حال كوننا معتقدين بقلوبنا؛ فالإيمان قول وعمل: قول باللسان والقلب، وعمل بالقلب وعمل باللسان والجوارح.

قوله: «بِتَوْفِيقِ اللهِ»: أي بإعانة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود:٨٨]، أي: في إصابة الحق فيما أريده[١].

قوله: «إن الله واحد»: الواحد اسم من الأسماء الحسنىٰ؛ ومعناه: الفرد الذي لم يَزل وحده؛ ولم يكن معه آخر[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤).

(٢) انظر: شأن الدعاء، للخطابي «ت ٣٨٨هـ»، صـ (٨٢).

وقيل: الذي لا نظير له، ولا شريك له[(١)].

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[الرعد:١٦].

قوله: «لا شريكَ له»: أي في ربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته؛ وهذا تأكيد لمعنىٰ وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وقد نزه الله نفسه عن الشريك، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[الإسراء:١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الطور:٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[سبأ:٢٢].

مسألة: أقسام الشرك باعتبار أقسام التوحيد ثلاثة:

أحدها: شرك في الربوبية؛ كأن يعتقد وجود متصرِّف في الكون مع الله جَلَّ وَعَلَا.

الثاني: شرك في الإلهية؛ كأن يَصْرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله؛ كأن يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، ونحوه.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٩٤).

الثالث: شرك في الأسماء والصفات؛ كأن يشبه الله تعالىٰ بخلقه، أو يعطِّل شيئا من صفات الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: «ولا شيء مثله»: أي في أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل:٧٤].

واتفق أهل السنة علىٰ أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله[1].

قوله: «ولا شيء يعجزه»: لكمال قدرته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥]، أي: لا يَكْرِثُهُ ولا يثقله ولا يعجزه، فهذا النفيُ لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالىٰ في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٥٧).

قاعدة: صفات النفي تتضمن إثبات كمال الضد.

النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمَّن إثباتًا، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال،؛ لأن النفي المحض عدمٌ محضٌ، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالا، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم، والمعدوم لا يوصف بمدح ولا كمال.

فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، إلىٰ قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾[البقرة:٢٥٥]؛ فنفي السِّنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبيِّن لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي لا يُكرثه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر علىٰ الشيء بنوع كُلفة ومشقة؛ فإن هذا نقص في قدرته، وعيب في قوته.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[سبأ:٣]، فإنّ نَفْيَ العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات والأرض.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾[ق:٣٨]، فإنّ نَفْي مس اللغوب الذي هو التعب والإعياء دل علىٰ كمال القدرة، ونهاية القوة بخلاف

المخلوق الذي يلحقه من النَّصَب والتعب ما يلحقه.

وكذلك قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣]، إنما نفىٰ الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء، ولم ينفِ مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يُرىٰ، وليس في كونه لا يُرىٰ مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحًا، وإنما المدح في كونه لا يُحاط به وإن رُئي، كما أنه لا يُحاط به وإن عُلم، فكما أنه إذا عُلم لا يحاط به علمًا، فكذلك إذا رُئي لا يحاط به رؤية.

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحًا وصفة كمال، وكان ذلك دليلا علىٰ إثبات الرؤية لا علىٰ نفيها، لكنه دليل علىٰ إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها[(١)].

قوله: «ولا إله غيره»: أي لا معبود بحق سوىٰ الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة:١٦٣]، وهذه هي كلمة التوحيد التي أرسل الله بها الرسل، وأنزل بها كتبه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء:٢٥].

وإله: علىٰ وزن فِعالٍ؛ بمعنىٰ مَألُوهٍ؛ وألَـهَ إلاهَـةً وأُلُوهَـةً وأُلُوهِيَّـةً:

---

(١) انظر: التدمرية، لابن تيمية، صـ(٥٧-٦٥).

عَبَدَ عِبادَةً[١]؛ فالهَمْزَةُ وَاللامُ وَالهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، فَالإِلَهُ اللهُ تَعالَىٰ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ، وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ[٢].

وأَلِهَ يَأْلَه إذا تَحَيَّرَ؛ لأَنَ العُقُولَ تَأْلَهُ فِي عَظَمَتِهِ؛ وأَلِهَ يَأْلَه أَلَهًا أَي تَحَيَّرَ، وأَصله وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهًا، وَقِيلَ: هُوَ مأْخوذ مَنْ أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَىٰ كَذَا أَي لجأَ إِلَيْهِ؛ لأَنه سُبْحَانَهُ المَفْزَعُ الَّذِي يُلْجأُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمر[٣]؛ كما قال رُؤْبَةُ:

لِلّهِ دَرُّ الغَانِيَاتِ المُــــدَّهِ ... سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[٤]

---

(١) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي «ت٨١٧هـ»، مادة «أله».

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة «أله».

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٦٢)، ولسان العرب، لابن منظور «ت ٧١١هـ»، مادة «أله».

(٤) انظر: الكامل في اللغة والأدب، لابن المبرد (٣/ ١٠٨)، ومقاييس اللغة (١/ ١٧٢).

الغانيات: جمع غانية، وهي المرأة الحسنة التي استغنت بجمالها عما يجملها من أنواع الزينة. المده: جمع ممدوهة، أي ممدوحة بجمالها. سبَّحن: أي قلن: سبحان الله من التعجب. استرجعن: أي قلن: إنا لله وإنا إليه راجعون، من الحسرة عليه. تألهي: أي تعبدي لله تعالىٰ.

قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَبِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

الشرح

قوله: «قديم»: القديم ليس من أسماء الله تعالىٰ؛ لأنه ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة؛ وأسماء توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص، ولأن أسماء الله كلها حسنىٰ لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، واسم القديم يحتمل القدم المطلق، وهو بمعنىٰ الأول، والقدم النسبي الذي هو ضد الجديد.

كما أن لفظ القديم في لغة العرب هو المتقدم علىٰ غيره؛ كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[يس:٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ [الأحقاف:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦﴾[الشعراء:٧٦]، فالمحدَث يقابل القديم[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما اللغة التي نزل بها القرآن فالقديم فيها خلاف المحدَث، وهما من الأمور النسبية؛ فالشيء

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٦٨)، والصفدية، لابن تيمية (٢/ ٨٥).

المتقدم علىٰ غيره قديم بالنسبة إلىٰ ذلك المحدَث، والمتأخر محدَث بالنسبة إلىٰ ذلك القديم، وإن كانا كلاهما محدَثين بالنسبة إلىٰ من تقدمهما، وقديمين بالنسبة إلىٰ من تقدماه، ولم يوجد في لغة القرآن لفظ القديم مستعملا إلا فيما يقدم علىٰ غيره»(١).

والقديم لا يطلق علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا من باب الخبر؛ كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ المسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(٢).

قوله: «بلا ابتداء»: أي أزلي لم يسبق بعدم؛ وهذا احتراز من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فلو قال: قديم، ولم يقل: بلا ابتداء لكان خطأ؛ وهذا معنىٰ اسم الله الأول.

قوله: «دائم بلا انتهاء»: أي أبدي لا يلحقه فناء؛ فهو الآخر ليس بعده شيء؛ وهذا معنىٰ اسم الله الآخِر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[الحديد:٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»(٣).

---

(١) انظر: الصفدية (٢/ ٨٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).

قولـه: «لا يفنىٰ، ولا يَبيـد»: هـذا إقـرار بـدوام بقائـه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والفناء والبَيْدُ متقاربـان في المعنىٰ، والجمـع بينهمـا في الـذِّكر للتأكيـد، وهو أيضا مقرِّر ومؤكِّد لقولـه: «**دائـم بـلا انتهـاء**»(١)؛ كمـا قـال تعـالىٰ: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[القصص:٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وقـال تعـالىٰ: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن:٢٦-٢٧].

وقـال النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْـتَ الحَـيُّ الَّـذِي لَا يَمُـوتُ، وَالجِـنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(٢).

قولـه: «ولا يكون إلا ما يريد»: الإرادة هنا بمعنىٰ المشيئة، وهـي الإرادة الكونيـة؛ هـذا فيـه ردٌّ علـىٰ القدريـة الـذي يزعمـون أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أراد الإيمان من المؤمن، ولم يرد الكفر من الكافر؛ أما أهل السنة قاطبة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدَرًا فهو لا يحبها ولا يرضـاها ولا يـأمر بها، فيقولـون: مـا شـاء الله كـان، ومـا لـم يشـأ لـم يكن(٣)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠].

مسألة [١]: الإرادة في كتاب الله نوعان:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٧)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧٩).

أحدهما: إرادة دينية شرعية مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان؛ وهي بمعنىٰ المحبة والرضا؛ ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[المائدة:٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء:٢٦-٢٧].

ومثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به.

الثاني: إرادة كونية قدرية؛ وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣].

ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر،

وهذه الإرادة والمشيئة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي[١].

مسألة [٢]: متىٰ تجتمع الإرادتان؟

تجتمع الإرادتان الكونية والشرعية في المؤمن دون الكافر؛ وتجتمع الإرادة الكونية فقط في الكافر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾[غافر:٣١].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٣١-١٣٢).

لَا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، وَلَا يُشْبِهُ الأَنَامَ.

حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤْنَةٍ، مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

.... الشـرح ....

قوله: «لا تبلغه الأوهام»: أي لا تبلغه الظنون، ولا يمكن للقلوب أن تتخيله ولا تتمثله؛ وتَوَهَّمَ الشيءَ: أي تخيَّله وتمثَّله، والوَهْمُ: أي وَهْم القَلْب، وهو الظن(١).

قوله: «ولا تدركه الأفهام»: أي لا تحيط به القلوب والعقول؛ والفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالقَلْبِ(٢)؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣].

قوله: «ولا يشبه الأنام»: أي في أسمائه وصفاته وذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأنامُ هم الجن والإنس(٣).

وهذا فيه رد علىٰ المشبِّهة الذين يشبهون صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفات المخلوقين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

قال نُعَيم بن حمَّاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، وَمن أنكر

---

(١) انظر: العين، للخليل «ت ١٧٠هـ»، ولسان العرب، مادة «وهم».

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «فهم».

(٣) انظر: العين، للخليل، ولسان العرب، مادة «أنم».

مَا وصف بِهِ نَفسه فقد كفر، وَلَيْسَ مَا وصف الله بِهِ نفسه وَلَا رَسُوله تَشْبِيها»[(١)].

وقال إِسْحَاق بْن رَاهَوَيْه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ وَصَفَ اللهَ فَشَبَّهَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ العَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ وَصْفٌ لِصِفَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ اسْتِسْلَامٌ لِأَمْرِ اللهِ، وَلِمَا سَنَّ الرَّسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشَبِّهَةُ تَقُولُ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ»[(٣)].

قوله: «حيٌّ لا يموتُ»: أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا[(٤)]، وهذا فيه إثبات صفة الحياة؛ وحياة الله حياة كاملة؛ لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾[آل عمران:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

قوله: «قيُّوم لا ينام»: القيوم هو القائم بنفسه المُقيم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غني عنها، ولا قِوام

---

(١) انظر: العلو، للذهبي، صـ(١٧٢).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي «ت ٤١٨هـ» (٣/ ٥٨٨).

(٣) انظر: إبطال التأويلات، لأبي يعلىٰ الفراء «ت ٤٥٨هـ» (١/ ٤٣).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨).

لها بدون أمره؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم:٢٥][1].

قوله: «خالق»: هذا فيه إثبات صفة الخلق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢].

قوله: «بلا حاجة»: أي خلق الله الخلق ليس لحاجة إليهم، وهذا لكمال غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾[إبراهيم:٨].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: **«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ**

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨).

وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»[1].

قوله: «رازق بلا مُؤنة»: أي بلا كُلفة ولا مشقة، فهو القائم بأرزاق المخلوقين جميعا؛ وهذا فيه إثبات صفة الرَّزق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[البقرة:٢١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾[الرعد:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[فاطر:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا[2] نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»[3].

قوله: «مُميت بلا مخافة»: أي يميت من شاء من عباده ليس لخوف ممن أماته أن يعتدي عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهذا لكمال صفاته جَلَّ جَلَالُهُ؛ وفيه إثبات صفة الإماتة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤﴾[النجم:٤٤].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧).
(٢) يغيضها: أي لا ينقصها.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

وقال تعالىٰ عن قوم صالح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾[الشمس:١٤-١٥].

والموت صفة وجودية، وليس صفة عدمية كما يقول الفلاسفة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[المُلك:٢].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَىٰ بِالموْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ[1]، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ[2] وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ»[3].

قوله: «باعثٌ بلا مَشقة»: أي يخرج الناس من قبورهم للحشر والحساب يوم القيامة بلا تعب ولا مشقة، وهذا فيه إثبات صفة البعث؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

---

(١) **أملح**: أي أبيض خالص، وقيل: هو الذي فيه بياض وسواد، وبياضُه أكثر.
(٢) **فيشرئبون**: أي يرفعون رؤوسهم إلىٰ المنادي.
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِ البَرِيَّةِ اسْتَفَادَ اسْمَ البَارِئِ.

الشرح

قوله: «ما زال بصفاته قديما قبل خلقه»: أي لم يزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متصفا بصفاته قبل خلق الخلق؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزه عن النقص، واتصافه بالصفة بعد أن لم يكن متصفًا بها نقص وعجز؛ فصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أزلية.

قوله: «لم يزدد بكونهم شيئا لم يكنْ قبلهم من صفاته»: أي لم يزدد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بخلقهم شيئًا من كماله لم يكن قبل خلقهم؛ بل مازال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوفا بصفات الكمال، ولا يتوقف اتصافه بصفات الكمال علىٰ خلقه المخلوقات.

قوله: «وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما هو موصوف بصفات الكمال أزلا، فهو موصوف بها أبدا، فلا يقال: إن الله لم يكن عالما قبل أن يعلم، أو: لم يكن خالقا قبل أن يخلق، أو: لم يكن متكلما

قبل أن يتكلم؛ فالله عَزَّوَجَلَّ متصف بصفات الكمال في الأزل وإلىٰ الأبد، وليس لصفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بداية، وليس لها نهاية.

قوله: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق»: أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ قبل إيجاد المخلوقات؛ فمن أسمائه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخالق قبل أن يخلق المخلوقات؛ وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متصف بصفة الخلق في الأزل قبل إيجاده المخلوقات؛ فلا يقال: لم يكن خالقا إلا بعد الخلق؛ لأن هذا يستلزم النقص، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منزه عنه.

قوله: «ولا بإحداث البرية استفاد اسم البارئ»: أي من أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ البارئ قبل أن يخلق الخلق، ومعنىٰ البارئ: المنشئ للأعيان من العدم إلىٰ الوجود(١)؛ والبرية: الخلق(٢)؛ وهي فعيلة بمعنىٰ مفعولة.

مسألة: الفرق بين البارئ والخالق.

البارئ: هو المبدع المحدِث.

والخالق: هو المقدر الناقل من حال إلىٰ حال(٣).

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (٥/ ٦٧).

(٢) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٢٢-١٢٣).

(٣) **انظر**: تفسير القرطبي (١/ ٤٠٢).

لَـهُ مَعْنَـىٰ الرُّبُوبِيَّـةِ وَلَا مَرْبُـوب، وَمَعْنَـىٰ الخَـالِقِ وَلَا مَخْلُـوق، وَكَمَـا أَنَّـهُ مُحْيِي المَـوْتَىٰ بَعْـدَ مَـا أَحْيَـا، اسْـتَحَقَّ هَـذَا الاسْـمَ قَبْـلَ إِحْيَـائِهِمْ، كَـذَلِكَ اسْـتَحَقَّ اسْـمَ الخَـالِقِ قَبْـلَ إِنْشَـائِهِمْ؛ ذَلِـكَ بِأَنَّـهُ عَلَـىٰ كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ، وَكُـلُّ شَـيْءٍ إِلَيْـهِ فَقِيـرٌ، وَكُـلُّ أَمْـرٍ عَلَيْـهِ يَسِـيرٌ؛ لَا يَحْتَـاجُ إِلَـىٰ شَـيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

الشـرح

قولـه: «لـه معنـىٰ الربوبيـة ولا مربـوب، ومعنـىٰ الخـالق ولا مخلـوق»: أي أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متصـف بالربوبيـة قبـل إيجـاد المربوبين، وكذلك متصف بالخلق قبل إيجاد المخلوقين.

وهـذا كلـه فيـه رد علـىٰ الجهمية والمعتزلـة الـذين يقولـون: إن الله لـم يتصـف بصـفاته، ولـم يتسـمَّ بأسـمائه إلا بعـد إيجـاده المخلوقـات؛ فلـم يكـن خالقـا إلا بعـد خلقـه المخلوقـات، ولـم يكـن رازقـا إلا بعـد رَزْقـه المخلوقـات، ونحـو ذلـك؛ وهـذا بنـاء علـىٰ أصـلهم الفاسـد، وهـو أن أسـماء الله وصـفاته مخلوقـة؛ ومعنـىٰ هـذا أنـه لما رزق سـماه النـاس رازقـا، وخلـق لـه اسـم الـرَّزاق، ولمـا خلـق سماه الناس خالقا، وخلق له اسم الخالق، ونحوه[1].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٠٣-١٠٥).

قوله: «وكما أنه محيي الموتىٰ بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متصف بالإحياء والإماتة قبل وبعد إحياء الموتىٰ وإماتتهم.

قوله: «كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مستحق لاسم الخالق قبل خلق المخلوقات.

يفهم من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان متصفا بصفاته وله الأسماء، ولكن لم تظهر آثار أسمائه وصفاته إلا بعد أن أوجد العالم؛ يعني ظلَّ زمنا طويلا معطَّلًا عن الأفعال؛ فمن أسمائه الخالق الرازق المحيي المميت، ولكنه لم يخلق ولم يرزق ولم يحيي ولم يميت إلا بعد إنشائه لهذا العالَم؛ وهذا كله مذهب الأشاعرة(١)، ....

(١) **الأشاعرة**: نسبة إلىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ علىٰ مذهب المعتزلة، وتتلمذ علىٰ أبي علي الجُبَّائي زوج أمه، ومضىٰ علىٰ ذلك ضربا من حياته، ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كُلَّاب وانتشر مذهبه، ثم رجع منه إلىٰ مذهب أهل الحديث، وانتسب إلىٰ الإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة «الإبانة الموجزة»، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كُلاب، توفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ومن عقائدهم: إثبات سبع صفات وهي السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام، ونفي الصفات المتعلقة بالمشيئة، ويميلون في القدر إلىٰ القول بالجبر تحت مسمىٰ الكسب، والقول بالإرجاء في الإيمان. [انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)].

والماتريدية[(١)(٢)].

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الكمال المطلق، فلم يزل بأسمائه وصفاته أزليا، كما أنه لم يزل أبديا؛ ولم يكن اسم وصفة بعد أن لم يكن.

قوله: «ذلك بأنه علىٰ كل شيء قدير»: هذا تعليل لما سبق، وفيه رد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: الله علىٰ ما يشاء قدير، أو: الله قادر علىٰ ما هو مقدور له؛ وأما نفس أفعال العباد، فلا يقدر عليها عندهم[(٣)]؛ وذلك لأن القدرة عندهم تتعلق بما شاءه الله لا بما لم يشأه؛ فيقولون: الله غير قادر علىٰ عدم إيجاد الموجود كالسماوات والأرض؛ وهذا فاسد؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

---

(١) **الماتريدية**: هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرىٰ سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، من المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن، هل الله متكلم بمشيئته وقدرته، أم القرآن لازم لذاته؟ وأثبتوا الصفات السبعة التي أثبتتها الأشاعرة وزادوا صفة ثامنة وهي التكوين، ونفوا الصفات الخبرية، ويميلون في القدر إلىٰ القول بالجبر، والقول بالإرجاء في الإيمان. [**انظر**: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠، ٧/ ٤٣١-٤٣٤)].

(٢) **انظر**: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٠٩-١١٠)، وشرح العقيدة الطحاوي، د. صالح آل الشيخ (١/ ١٧٣-١٧٤).

(٣) **انظر**: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١١٧).

ذكر في كتابه الحكيم أنه علىٰ كل شيء قدير؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥]، وهذا لم يَشَأه الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومع ذلك تعلقت به القدرة[١].

قوله: «وكل شيء إليه فقير»: أي لا يستطيع أحد أن يستغني عن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه هو الغني سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بذاته؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥]، أي يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلىٰ ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، والله هو الغنيُّ عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم، المحمود علىٰ نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال[٢].

قوله: «وكل أمر عليه يسير»: أي لا يعجزه شيء، فكل شيء عليه هين وسهل؛ لكمال قدرته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، د. صالح آل الشيخ (١/ ١٨٥-١٨٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥٤).

أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [العنكبوت:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

قوله: «لا يحتاج إلىٰ شيء»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس بحاجة إلىٰ الخلق؛ لكمال غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا تأكيد لما سبق من احتياج المخلوقات إليه.

قوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾»: فيه رد علىٰ المشبِّهة؛ الذين يقولون: إن صفات الله تشبه صفات المخلوقين، أو: إن صفات المخلوقين تشبه صفات الله؛ وقد تقدم قول نُعيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنهم كفار.

قوله: «﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»: فيه رد علىٰ المعطلة؛ الذين يعطلون الله من أسمائه وصفاته.

مسألة: التعطيل نوعان:

أحدهما: تعطيل كلي، وهو نفي جميع الأسماء والصفات، وإثبات ذات مجردة؛ وهذا مذهب الجهمية.

الثاني: تعطيل جزئي، وهو نفي الصفات أو بعضها، وإثبات

الأسماء؛ وهذا مذهب المعتزلة والأشاعرة؛ أما المعتزلة فيثبتون الأسماء فقط دون الصفات، وأما الأشاعرة فيثبتون الأسماء وسبع صفات، وهي الحياة، والعلم، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، والكلام.

وسيأتي الرد عليهم عند قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ».

قاعدة [١]: طريقة السلف في الإثبات والنفي.

طريقة السلف في الإثبات والنفي أنهم يثبتون إثباتا مفصلا، وينفون نفيا مجملا، وهي طريقة القرآن الكريم، بخلاف طريقة المبتدعة؛ فإنهم يثبتون إثبات مجملا، وينفون نفيا مفصلا.

ومثال طريقة السلف في الإثبات أنهم يثبتون الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة علىٰ وجه التفصيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[التحريم:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾[الحديد:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤].

أما في النفي فينفون عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النقائص والعيوب علىٰ وجه

الإجمال، كما قال تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:٣-٤].

ومثال طريقة المبتدعة: أنهم يصفونه بالصفات السلبية علىٰ وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا؛ فيقولون في النفي: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل(١).

قاعدة [٢]: لا يلزم من اتفاق الأسماء تماثل المسميات.

أي الاتفاق في اسم عام لا يقتضي التماثل في المسمىٰ؛ ولهذا سمىٰ الله نفسه بأسماء، وسمّىٰ صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمّىٰ بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما.

فقد سمّىٰ الله نفسه حيًّا، فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وسمّىٰ بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

---

(١) انظر: التدمرية، صـ(٨-١٦).

﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾[الروم:١٩]، وليس هذا الحيّ مثل هذا الحي؛ لأن قوله ﴿ٱلۡحَيُّ﴾اسم لله مختص به، وقوله ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به.

وكذلك سمّىٰ الله نفسه عليمًا حليمًا، وسمّىٰ بعض عباده عليمًا، فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات:٢٨]، يعني إسحاق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وسمّىٰ آخر حليمًا، فقال: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ١٠١﴾[الصافات:١٠١]، يعني إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

ووصف نفسه بالمحبة، ووصف عبده بالمحبة، فقال: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١].

ووصف نفسه بالرضا، ووصف عباده بالرضا، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[المائدة:١١٩][1].

---

(١) انظر: التدمرية، صـ(٢٠-٣٠).

خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ؛ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ؛ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَنْدَادِ؛ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

الشرح

قوله: «خلق»: أي أوجد وأنشأ وأبدع.

قوله: «الخلق»: أي المخلوقين.

قوله: «بعلمه»: أي عالما بهم غير جاهل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[المُلك:١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ

وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنعام:٥٩-٦٠].

وفي هذا رد على المعتزلة الغلاة الذين ينفون علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأشياء، ويقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها؛ واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[البقرة:١٤٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[آل عمران:١٤٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[المائدة:٩٤]، وغير ذلك من المواضع.

وأجيب بأنه روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي لنرىٰ، وروي لنميز، وهكذا قال عامة المفسرين إلا لنرىٰ ونميز[١]، وكذلك قال جماعة من أهل العلم، قالوا: لنعلمه موجودا واقعا بعد أن كان قد علم أنه سيكون، ولفظ بعضهم قال: العلم علىٰ منزلتين: علمٌ بالشيء قبل وجوده، وعلمٌ به بعد وجوده، والحكم للعلم به بعد وجوده؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب، قال: فمعنىٰ قوله ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٦٠-١٦٢).

أي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب، ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون لكن لم يكن المعلوم قد وجد(١).

هذا مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها، علىٰ أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون، وقد نص الأئمة علىٰ أن من أنكر العلم القديم فهو كافر؛ ومن هؤلاء غلاة القدرية، الذين ينكرون علمه بأفعال العباد قبل أن يعملوها، والقائلون بالبداء من الرافضة(٢)، ونحوهم(٣).

قوله: «وقدر لهم أقدارا»: أي قدر وهيأ للخلق أقدارهم بمقادير لا تتغير ولا تتبدل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[الأعلىٰ:٢-٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٩٦)، والرد علىٰ المنطقيين، صـ(٤٦٦).

(٢) الرافضة: سُموا بذلك؛ لأنهم رفضوا خلاف أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقيل: لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين حينما أبىٰ أن يطعن في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن عقائدهم: العصمة، والرجعة، وتكفير أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن أكثرهم ضلوا بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري «ت ٣٢٤هـ» (١/ ٣٣).

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٩/ ٣٦٦).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الماءِ»(١).

قوله: «وضرب لهم آجالا»: أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدر للمخلوقات آجالا ونهايات لا تتغير ولا تتبدل، فإذا جاء أجل أحدهم لا يحيد عنه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤].

وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر:١١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ»(٢).

مسألة: الفرق بين الأجل، والعمر.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٣).

الأجل: هو آخر مدة العمر المضروبة في علمه تعالىٰ، فهو لا يتبدل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[النحل:٦١].

والعمر: هو ما يتبدل، ويحتمل الزيادة والنقصان[1]؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾[فاطر:١١].

قوله: «ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم»: أي الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يعلم أحوال العباد قبل إيجادهم، ويعلم ما هم عاملون قبل خلقهم؛ لكمال علمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فهو يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام:٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾[الأنفال:٢٣].

وهذا فيه رد علىٰ القدرية الذين يقولون: إن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يعلم الأشياء إلا بعد خلقها.

قوله: «وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته»: أي بعد خلقهم أمرهم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بطاعته، ونهاهم عن معصيته؛ كما قال تعالىٰ:

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري «ت ٣٩٥هـ»، صـ(١٨-٢٠).

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وهذا فيه رد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يأمر بالطاعة، ولم ينهَ عن المعصية؛ وإنما عرفنا ذلك عن طريق العقل.

قوله: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفذ لا مشيئة للعبادِ إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن»:

أي مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شاملة لكل شيء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢].

وفي هذا رد علىٰ المعتزلة الذين ينفون مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأفعال العباد.

قوله: «يَهْدِي مَن يَشاءُ»: أي يهدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من يريد الهداية، ويحرص عليها تفضُّلا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة:٢١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ

﴿٧﴾ [الليل:٥-٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الأعلىٰ:٨].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل:٥-١٠][1].

قوله: «ويعصم ويعافي فضلا»: أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعافي ويشفي من يشاء تفضلا وتكرما منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس واجبا عليه أن يعافي خلقه.

قوله: «ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلا»: الخِذْلَانُ: تَرْكُ المعونة[2]، أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يضل من يعرض عن هداه عدلا، ليس ظالما لهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج:١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [المدَّثر:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة «خذل».

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزُّمَر:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].

وهذا فيه رد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: يجب علىٰ الله فعل الأصلح للعبد.

قوله: «وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله»: أي كل العباد يتقلبون في مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يخرجون عنها؛ فمن هداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ الإيمان والطاعة فبفضله، ومن أضله فبعدله؛ لأنه الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[التغابن:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤].

قوله: «وهو متعال»: أي مرتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصفاته وذاته.

قوله: «عن الأضداد»: أي المعارضين والمخالفين له؛ والضد هو المخالِف؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا معارض له؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤].

قوله: «والأنداد»: أي الأمثال؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مثل له، ولا

نظير له، ولا شبيه له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

وهذا فيه رد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

قوله: «لا راد لقضائه»: أي لا يستطيع أحد أن يرد قضاء الله جَلَّجَلَالُهُ الكوني؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [الرعد:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة:١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس:٨٢] .

أما القضاء الشرعي فمن العباد من يردُّه؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[الإسراء:٢٣].

قوله: «ولا معقب لحكمه»: أي لا مؤخِّر لحكم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الكوني؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾[الرعد:٤١].

أما الحكم الشرعي فمن العباد من يردُّه؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾[ص:٢٦].

قوله: «ولا غالب لأمره»: أي لا يغلب أحد أمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

الكوني؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢].

أما الأمر الشرعي فمن العباد من يخالفه؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل:٩٠].

قوله: «آمنا بذلك كله»: أي أيقنا وصدقنا بما تقدم كله.

قوله: «وأيقنا أن كلا من عنده»: أي بقضاء الله وقدره ومشيئته وحكمه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ والإيقان من اليَقِين، وهو إزاحة الشك، وتحقيق الأمر؛ وتَيَقَّنْتُ بالأمر، واسْتَيْقَنْتُ به، كله واحد(١)؛ والإيقان بالشيء: هو العلم بحقيقته بعد النظر والاستدلال(٢).

---

(١) انظر: العين، مادة «أيقن».

(٢) انظر: التعريفات، صـ(٤٠).

[الإيمان بنبوة النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَىٰ، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَىٰ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَىٰ.

الشرح

قوله: «وإن محمدًا»: هذا الكلام معطوف علىٰ ما سبق «**ونقول في توحيد الله معتقدين: إن الله ...**»؛ أي ونقول: إن محمدا؛ وكسرت همزة «إن» في الموضعين؛ لأنها معمول القول «**نقول**».

والشاهد من ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا أن الإيمان لا يعرف إلا عن طريق الوحي، والوحي ينزل علىٰ الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولا سبيل لنا لمعرفة الإيمان إلا عن طريق الوحي؛ فوجب لذلك معرفة هذا الطريق ألا وهو طريق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورىٰ:٥٢].

ومحمد أشهر أسماء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أربع مرات.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل

عمران:١٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[الأحزاب:٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾[محمد:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[الفتح:٢٩].

وقد ورد كذلك في السنة المطهرة في مواطن كثيرة، منها حديث جبريل[١] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنها أن الأعراب كانوا إذا جاؤوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: يا محمد، دون أي لقب، وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[٢].

قوله: «عبده»: أي عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فليس له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء؛ وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم[٣]، وقد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها، قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[الجن:١٩]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).
(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٧٦).

عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[الفرقان:١].

وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾[النجم:١٠].

وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[البقرة:٢٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكر الله سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته وهي مقام التحدي، ومقام الإسراء، ومقام الدعوة، فقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة:٢٣]، وقال في مقام الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[الإسراء:١]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]، وإذا تدافع أولو العزم الشفاعة الكبرىٰ يوم القيامة يقول المسيح لهم: اذهبوا إلىٰ محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فنال ذلك المقام بكمال العبودية لله وكمال مغفرة الله له؛ فأشرف صفات العبد صفة العبودية»(١).

وفي وصفه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية رد علىٰ الغلاة الذين غالوا في جنابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأعطوه من صفات الربوبية والألوهية ما لا يستحقه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فعَنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»**(٢).

---

(١) انظر: روضة المحبين، لابن قيم الجوزية، صـ(٥٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٤٤٥).

قولـه: «المصطفىٰ»: أي المختار الذي اصطفاه واختاره من بين عباده؛ ليكون نبيا ورسولا، وهو بمعنىٰ المجتبىٰ والمرتضىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج:٧٥].

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»(١).

قولـه: «ونبيه المجتبىٰ»: أي المختار الذي اجتباه من بين عباده؛ ليكون نبيا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[آل عمران:١٧٩].

وقوله تعالىٰ عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف:٦].

قولـه: «ورسوله المرتضىٰ»: أي الذي ارتضاه؛ ليكون رسولا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[الجن:٢٧].

مسألة: الفرق بين الرسول والنبي.

أولا: في اللغة:

الرسول لغة: فعول بمعنىٰ مفعول، أي مرسَل، وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه؛ أُخذ من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا، أي: متتابعة(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٧٦).

(٢) **انظر**: تهذيب اللغة، مادة «رسل».

والنَّبِي لغة: فعيل بمعنىٰ فاعل للمبالغة، مشتق من النبإ: الخبر؛ لأنه أنبأ عن الله، أي أخبر.

وقيل: إن النبي مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع[(١)]؛ ومنه قوله تعالىٰ عن إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم:٥٧].

ثانيا: في الاصطلاح:

اختلف العلماء في الفرق بين الرسول والنبي علىٰ أربعة أقوال:

القول الأول: لا فرق بين الرسول والنبي.

قالوا: جُمع بين الرسول والنبي في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢]؛ لأن الأنبياء تخص البشر، والرسل تعم الملائكة والبشر[(٢)].

القول الثاني: الأولياء أفضل من الأنبياء؛ وهذا قول الفلاسفة، وطوائف من الصوفية[(٣)].

القول الثالث: الرسول أخص من النبي، فالرسول له تبليغ في الجملة وإن كان بيانا وتفصيلا لشرع سابق، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغ أصلا[(٤)].

---

(١) **انظر:** تهذيب اللغة، مادة «نبا»، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٣-٤).
(٢) **انظر:** تفسير الماوردي «ت ٤٥٠هـ» (٤/ ٣٤-٣٥)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، والتعريفات، صـ(١١٠).
(٣) **انظر:** النبوات، لابن تيمية (٢/ ٧١٣).
(٤) **انظر:** تفسير الألوسي (٩/ ١٦٥).

وأجيب عليه بعدة أمور:

الأول: أن الله نصَّ علىٰ أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج:٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ.

الثاني: أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالىٰ، والله لا ينزل وحيه؛ ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»(١)، فدلّ هذا علىٰ أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدىٰ الاستجابة لهم(٢).

القول الرابع: الرسول أخص من النبي، فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولا؛ فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها؛ فالنبوة جزء من الرسالة؛ وهذا قول عامة أهل العلم بما فيهم الأشاعرة والماتريدية(٣).

فالرسول من بعثه الله تعالىٰ بشرع جديد يدعو الناس إليه، والنبي

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) **انظر:** الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، صـ(١٤-١٥).

(٣) **انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٥٥)، وتفسير الماتريدي «ت٣٣٣هـ» (١/ ١٦٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٤-٣٥)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٠).

من بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسىٰ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالنبي هو الذي يُنبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلىٰ أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول»[(٢)].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج:٥٢] دليلٌ علىٰ أن النبيّ مرسل، ولا يسمىٰ رسولًا عند الإطلاق؛ لأنّه لم يرسل إلىٰ قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنّه حقّ؛ كالعالِم، ولهذا قال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»[(٣)].

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان علىٰ ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا علىٰ شريعة التوراة؛ كما قال تعالىٰ عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدۡ

---

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج، «ت ٣١١هـ» (٣/ ٤٣٤)، وتفسير الرازي «ت ٦٠٦هـ» (٢٣/ ٢٣٦)، وتفسير الألوسي «ت١٢٧٠هـ» (٩/ ١٦٥).

(٢) انظر: النبوات (٢/ ٧١٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني.

جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾[غافر:٣٤][1].

الأدلة:

١ - العطف في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ﴾[الحج:٥٢] يدل علىٰ المغايرة بين الرسول والنبي، وهو المشهور[2].

٢ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّىٰ عِدَّةُ الأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»[3]، أي مجتمعين كثيرين.

٣-وصف الله تعالىٰ بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل علىٰ أن الرسالة أمر زائد علىٰ النبوة، كقوله في حقِّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم:٥١][4].

٤ - جاء في السنة أن أول رسل الله إلىٰ أهل الأرض هو نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما في حديث الشفاعة «**فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ**

(١) انظر: النبوات (٢/ ٧١٨-٧١٩).

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٤-٣٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨)، والمشكاة (٥٧٣٧).

(٤) انظر: الرسل والرسالات، صـ(١٤).

أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ»[١]، بينما وصف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه «**نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**»[٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٨)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨).

[خصائص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وَإِنَّـهُ خَـاتَمُ الأَنْبِيَـاءِ، وَإِمَـامُ الأَتْقِيَـاءِ، وَسَـيِّدُ المُرْسَـلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ.

.... الشـــرح ....

قـولــه: «وإنه خاتم الأنبياء»: أي لا نبي بعده، وإذا كـان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس[١].

قـال تعـالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠]، أي ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلىٰ قيام الساعة[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟» قَالَ: «فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[٣].

وعـن جُبَيْـرِ بْـنِ مُطْعِـمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِـيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَـالَ: «أَنَـا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٨).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦).

مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الماحِي، الَّذِي يُمْحَىٰ بِيَ الكُفْرُ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي، وَأَنَا العَاقِبُ، وَالعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[(٢)].

والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالىٰ بالعباد إرسال محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم من تشريفه لهم أنه ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالىٰ في كتابه، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السُّنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعىٰ هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتىٰ بأنواع السحر والطلاسم[(٣)].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خاتم النبيين، لا نبي بعده .. وأخبر عن الله تعالىٰ أنه خاتم النبيين، وأنه أُرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة علىٰ حمل هذا الكلام علىٰ ظاهره، وأن مفهومه

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤)، وهذا لفظ مسلم.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٢٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٠-٤٣١).

المراد به دون تأويل، ولا تخصيص»[(١)].

مسألة:

قرأ عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**خاتَم**» بفتح التاء على الاسم بمعنى آخر الأنبياء، وأنه صار كالخاتم لهم الذي يتختَّمون به، ويتزينون بكونه منهم.

وقرأ باقي القُرَّاء: «**خاتِم**» بكسر التاء على الفاعل بمعنى أنه الذي خَتَم الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه خُتِم به الأنبياء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

قوله: «وإمام الأتقياء»: أي الذي يأتم به الأتقياء، وهم المتبعون أوامره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، المجتنبون نواهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[الأحزاب:٢١]، أي هلَّا اقتديتم به، وتأسَّيتم بشمائله؟[(٣)].

قوله: «وسيد المرسلين»: أي إمامهم وأفضلهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فعن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ**

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، للقاضي عياض «ت٥٤٤هـ» (٢/ ٦١٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧٩)، وتفسير البغوي (٣/ ٦٤٦)، وفتح القدير، للشوكاني «ت ١٢٥٠هـ» (٤/ ٣٢٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١).

آدَمَ، وَلَا فَخْرَ»[(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

هذا الحديث دليل لتفضيله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الآدميين وغيرهم.

والسيد هو الذي يفوق قومَه في الخير، وقيل: هو الذي يُفزع إليه في النوائب والشدائد، فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم، وسبب التقييد بيوم القيامة في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة أن في يوم القيامة يظهر سُؤْدَدُه لكل أحد، ولا يبقىٰ منازع ولا معاند ونحوه بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] مع أن المُلك له سبحانه قبل ذلك لكن كان في الدنيا من يدعي الملك، أو يُضاف إليه مجازا، فانقطع كل ذلك في الآخرة.

قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم**» لم يقله فخرا بل صرح بنفي الفخر في قوله: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ،**

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).

وَلَا فَخْرَ»[(١)] وإنما قاله لأمرين:

أحدهما: امتثال قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضُّحىٰ:١١].

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلىٰ أمته؛ ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالىٰ[(٢)].

مسألة: وجه الجمع بين أحاديث التفضيل بين الأنبياء، وأحاديث النهي عنه.

جمع العلماء بين أحاديث التفضيل المتقدمة، وبين النهي عن التفضيل، كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تفضِّلوا بينَ الأنبياءِ»[(٣)] من خمسة أوجه:

أحدهما: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

الثاني: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله أدبا وتواضعا.

الثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلىٰ تنقيص المفضول.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي «ت٦٧٦هـ» (١٥/ ٣٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ».

الرابع: إنما نهىٰ عن تفضيل يؤدي إلىٰ الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرىٰ ولا بد من اعتقاد التفضيل؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣][(١)].

قوله: «وحبيب رب العالمين»: لو قال: وخليل رب العالمين، لكان أولىٰ؛ لعدة أمور:

أحدها: لأن المحبة درجات، أفضلها وأكملها الخلة.

الثاني: لأن المحبة ثبتت لغيره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشترك فيها جميع المؤمنين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، أما الخلة فلا يبلغها كل أحد، ولم تثبت إلا له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

الثالث: لم يثبت في النصوص أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبيب الله، إنما ثبت وصفه بالخُلة؛ فعن جُنْدَبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٣٧-٣٨).

تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»(١).

وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»(٢).

والخليل: هو المنقطع إليه، وقيل: هو المختص بشيء دون غيره، وقيل: هو مشتق من الخَلة بفتح الخاء، وهي الحاجة، وقيل: من الخُلة بضم الخاء، وهي تخلل المودة في القلب(٣).

مسألة [١]: هل يوصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمحبة والخلة؟

نعم يوصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمحبة والخلة علىٰ ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير تحريف ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تعطيل.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُحبُّ ويُحَبُّ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

مسألة [٢]: مراتب المحبة عشرة.

أولها: العَلاقة: سميت عَلاقة؛ لتعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة: هي ميل القلب إلىٰ محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة: هي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور، ويقال: صبا وصبوة، وصبابة؛ فالصبا:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٢).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٣).
(٣) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٥/ ١٣).

أصل الميل، والصبوة: فوقه، والصبابة: الميل اللازم، وانصباب القلب بكليته.

الرابعة: الغرام: هو الحب اللازم للقلب، الذي لا يفارقه، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه، ومنه سمي عذاب النار غراما للزومه لأهله، وعدم مفارقته لهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

الخامسة: الوداد: هو صفو المحبة، وخالصها ولُبها.

السادسة: الشغف: هو وصول الحب إلىٰ شغاف القلب، كما قال النسوة عن امرأة العزيز: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠]، وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنه الحب المستولي علىٰ القلب، بحيث يحجبه عن غيره. **الثاني:** الحب الواصل إلىٰ داخل القلب. **الثالث:** أنه الحب الواصل إلىٰ غشاء القلب، والشغاف غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب.

السابعة: العشق: هو الحب المفرط الذي يخاف علىٰ صاحبه منه، وهو مشتق من العَشَقَة، وهي نبت أصفر يلتوي علىٰ الشجر، فشبه به العاشق، والثاني: أنه من الإفراط؛ وعلىٰ القولين: فلا يوصف به الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا العبد في محبة ربه.

الثامنة: التتيم: هو التعبد، والتذلل، يقال: تيمه الحب أي ذلَّله وعبده، وَتَيْمُ اللهِ: عَبْدُ اللهِ؛ والمتيم المنفرد بحبه وشجوه.

التاسعة: التعبد: هو فوق التتيم؛ وحقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبوب.

العاشرة: الخلة: التي انفرد بها الخليلان -إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم- كما صح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ اللهَ اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»[(١)].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[(٢)].

والحديثان يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليله ومحمد حبيبه.

والخُلة: هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب[(٣)].

والعشق: أمرُّ هذه الأسماء وأخبثها، وقلَّ ما ولعت به العرب، فلم يكادوا يفصحوا به، ولا تكاد تجده في شعرهم القديم، وإنما أولع به المتأخرون، ولم يقع هذا اللفظ في القرآن، ولا في السنة[(٤)].

مسألة [٣]: هل يوصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعشق:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: مدارج السالكين (٣/ ٢٩-٣٤).

(٤) **انظر**: روضة المحبين (٣/ ٢٩-٣٤).

اختلف الناس هل يطلق هذا الاسم في حق الله تعالىٰ علىٰ قولين:

فقالت طائفة من الصوفية: لا بأس بإطلاقه، وذكروا فيه أثرا لا يثبت، وفيه: «**فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته**».

وقال جمهور العلماء: لا يطلق ذلك في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يقال: إنه يعشق، ولا يقال: عشقه عبده(١).

مسألة [٤]: لماذا لا يوصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعشق؟

اختلف العلماء في سبب المنع من إطلاق العشق في حق الله تعالىٰ علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: عدم التوقيف بخلاف المحبة.

الثاني: أن العشق إفراط المحبة، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالىٰ، فإن الله تعالىٰ لا يوصف بالإفراط في الشيء، ولا يبلغ عبده ما يستحقه من حبه فضلا أن يقال: أفرط في حبه.

الثالث: أنه مأخوذ من التغير، كما يقال للشجرة العاشقة(٢) عاشقة، ولا يطلق ذلك علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(٣).

---

(١) **انظر**: روضة المحبين، صـ(٢٨).

(٢) **العاشقة**: هي شجرة تخضر، ثم تدق وتصفر، وقد اشتق منها لفظ العشق. [**انظر**: روضة المحبين، صـ(٢٨)].

(٣) **انظر**: روضة المحبين، صـ(٢٨-٢٩).

وَكُلُّ دَعْوَىٰ النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ فَغيٌّ وَهَوَىٰ.

وَهُوَ المَبْعُوثُ إِلَىٰ عَامَّةِ الجِنِّ، وَكَافَّةِ الوَرَىٰ بِالحَقِّ وَالهُدَىٰ، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ.

الشـــرح

قولـه: «وكل دعوىٰ النبوة بعده فغي وهوىٰ»: أي كل من ادعىٰ النبوة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعواه باطلة لا دليل عليها؛ وهو كافر بالإجماع[1]؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء، فعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[2].

والغي ضد الرشد[3]، والهوىٰ: ميلان النفس إلىٰ ما تستلذه من شهوات تخالف الشرع[4].

قولـه: «وهو المبعوث إلىٰ عامة الجن»: لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١-٢].

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٦٠٩-٦١٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وصححه، ووافقه الألباني.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، مادة «رشد»، ومقاييس اللغة، مادة «غَوِيَ».

(٤) انظر: التعريفات، صـ (٢٥٧).

قوله: «وكافة الورىٰ»: الورَىٰ: الإنس والجن[١]؛ أي أنه أرسل صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإنس والجن كافة، وأجمعت الأمة علىٰ هذا[٢]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[سبأ:٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾[الفرقان:١].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ**

---

(١) **انظر**: العين، مادة «ورىٰ».

(٢) **انظر**: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٦١٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

النَّارِ»(١).

وكونه مبعوثا للناس كافة من خصائصه؛ فقد خصَّ الله جَلَّجَلَالُهُ سائر الأنبياء بقومهم، وبعث محمدا صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ الخلق كافة(٢).

قوله: «بالحق»: أي بالإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينًا(٣)، وهذا الوصف الأول للدين الذي جاء به الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[البقرة:١١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾[آل عمران:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء:١٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢].

قوله: «والهدىٰ»: أي الذي يهدي الناس ويرشدهم إلىٰ طريق الحق؛ وهذا الوصف الثاني للدين الذي جاء به الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة:٣٣].

والهدىٰ: هو ما جاء به من الأخبار الصادقة، والإيمان الصحيح،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٥٣).
(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (١/ ١٣٣-١٣٤).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤١٢).

والعلم النافع، ودين الحق: هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة(١).

قوله: «وبالنور والضياء»: أي الذي ينير ويضيء للناس طريقهم؛ وهذان الوصفان الثالث والرابع للدين الذي جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٦]، أي: وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء:١٧٤]، أي: يبين لكم المحجَّة الواضحة، والسبل الهادية إلىٰ ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه، إن سلكتموها واستنرتم بضوئه، وذلك «**النور المبين**»، هو القرآن الذي أنزله الله علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦).
(٢) السابق (٦/ ٤٣٩).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٢٨).

[الإيمان بأن القرآن كلام الله جَلَّ وَعَلَا]

وَإِنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ المُؤْمِنُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَقًّا؛ وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ البَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدَّثر:٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدَّثر:٢٥]، عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ البَشَرِ.

وَمَنْ وَصَفَ اللهَ تَعَالَىٰ بِمَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ.

فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالبَشَرِ.

.... الشــرح ....

قوله: «وإن القرآنَ»: هذا الكلام معطوف علىٰ ما قبله «**نقول في توحيد الله ...**».

والقرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأُ قراءةً وقُرْآنا[1]، سمِّي به الكتاب

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٢٦).

المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر، وقيل: هو وصف علىٰ وزن فعلان مشتق من القَرْءِ بمعنىٰ الجمع، ومنه قرأتُ الماء في الحوض أي جمعته.

وسمِّي بذلك؛ لأنه جمع السور بعضها إلىٰ بعض[١]، وقيل: لكونه جامعا لثمرة جميع العلوم، وقد خصّ بالكتاب المنزّل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار له كالعَلَم[٢].

والقرآن في الاصطلاح: هو المنزل علىٰ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة[٣].

قوله: «كلام الله»: كلام الله صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو إضافة صفة إلىٰ موصوف.

والأدلة علىٰ إثبات كلام الله متواترة، منها:

قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىٰ إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي «ت ٩١١هـ» (١/ ١٨٢).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(١/ ٦٦٨-٦٦٩).

(٣) انظر: التعريفات، صـ(١٧٤).

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا للذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ»(٢).

وأهلُ السنة والجماعة، ومن انتسب إليهم كالكُلَّابية(٣)، والكرَّامية، والأشعرية، والسالمية(٤) يقولون: إن كلام الله غير مخلوق، والقرآن

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٠١)، ومسلم (٢٢٢٩).

(٣) الكُلَّابية: نسبة إلىٰ أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب القطان البصري، وهو رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وهو أول من ابتدع بدعة الكلام النفسي القديم، وقال بنفي الأفعال الاختيارية لله، لُقِّبَ بكُلَّابٍ؛ لأنه كان يجرُّ الخصم إلىٰ نفسه ببيانه وبلاغته، وأصحابه هم الكُلَّابية، توفي في حدود الأربعين ومائتين، ظن ابنُ كُلَّاب أن الرب لا يتصف بالأمور الاختيارية التي تتعلق بقدرته ومشيئته، فلا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا يحب العبد ويرضىٰ عنه بعد إيمانه وطاعته، ولا يغضب عليه ويسخط بعد كفره ومعصيته، بل محبا راضيا أو غضبانا ساخطا علىٰ من علم أنه يموت مؤمنا أو كافرا، ولا يتكلم بكلام بعد كلام. [انظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٤)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٦٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤)].

(٤) السالمية: هم أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم الزاهد البصري، وهو آخر أصحاب سهل التستري وفاة، يقولون: إن كلام الله تعالىٰ حروف وأصوات قديمة=

كلام الله غير مخلوق، وهذا هو المتواتر المستفيض عن السلف والأئمة من أهل البيت وغيرهم، والنقول بذلك متواترة مستفيضة عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم بإحسان وتابعي تابعيهم(١).

قوله: «منه بدا»: أي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدأ لا من بعض مخلوقاته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزُّمَر:١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

وفي هذا رد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: إن القرآن لم يبدأ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الكلام عندهم مخلوق خلقه الله منفصلا عنه.

قوله: «بلا كيفية»: أي لا نعلم كيفية تكلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وليس المراد نفي الكيفية، إنما المراد نفي معرفة الكيفية.

قوله: «قولًا»: أي متكلما به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وفيه رد علىٰ الأشعرية الذين يقولون: إن الله لم يتكلم بالقرآن، إنما وضعه في روح جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو: في الهواء وأخذه جبريل من الهواء، أو: في اللوح

=أزلية، وأن لها اقترانا ثابتا ذواتها، ولا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولن تُعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسميع والبصير؛ لذلك سُمُّو بالاقترانية، وجمهور العقلاء يقولون: إن هذا المذهب كافٍ في الجزم ببطلانه. [انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية (٢/ ٤٩٩)].

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٦٣).

المحفوظ وأخذه جبريل منه دون أن يتكلم الله به.

قوله: «وأنزله علىٰ رسوله وحيًا»: أي أنزله إليه علىٰ لسان الملك؛ فسمعه جبريل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسمعه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الملك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٦].

الوحي في اللغة: الواو والحاء والياء أصل يدل علىٰ إلقاء علم في خفاء أو غيره إلىٰ غيرك؛ فالوحي: الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلىٰ غيرك حتىٰ علمه فهو وحي كيف كان[١].

وفي الشرع: ما يلقيه الله إلىٰ أنبيائه من كلام[٢] بواسطة، أو غير واسطة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورىٰ:٥١].

قوله: «وصدقه المؤمنون علىٰ ذلك حقًّا»: أي المؤمنون من الصحابةِ والتابعين مصدقون مؤمنون بأن القرآن كلام الله أنزله علىٰ رسوله وحيًا من عنده.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، وتهذيب اللغة، مادة «وحي».

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٨٥٨).

قولـه: «وأيقنوا أنه كلام الله تعالىٰ بالحقيقة»: أي ليس مجازا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤].

وفيه رد علىٰ الجهمية والمعتزلة الذين يزعمون أن القرآن كلام الله مجازا، وليس حقيقة.

جاء رجل إلىٰ أبي بكر بن عيَّاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: سَمِعْتُ رَجُلًا يَقْرَأُ: «وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا قَرَأَ هَذَا إِلَّا كَافِرٌ، قرأتُ عَلَىٰ الأَعْمَشِ، وَقَرَأَ الأَعْمَشُ عَلَىٰ يَحْيَىٰ بْنِ وَثَّابٍ، وَقَرَأَ يَحْيَىٰ بْنُ وثَّاب عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيّ، وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤].

وَإِنَّمَا اشْتَدَّ غَضَبُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَلَىٰ مَن قَرَأَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ حَرَّف لَفْظَ الْقُرْآنِ وَمَعْنَاهُ، وَكَانَ هَذَا مِنَ المعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ اللهُ كلَّم مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أَوْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ المعْتَزِلَةِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَىٰ بَعْضِ المشَايِخ: «وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا» فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ اللخْنَاء، فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]، يَعْنِي: أَنَّ هَذَا لَا يَحْتَمِلُ التَّحْرِيفَ وَلَا التَّأْوِيلَ(١).

قولـه: «ليس بمخلوق ككلام البرية»: فيه رد علىٰ الجهمية

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٤).

والمعتزلة الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق.

قوله: «فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»: لأنه جحد صفة من صفات الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ومن جحد صفة من صفات الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ كفر.

قوله: «وقد ذمه الله تعالىٰ وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾[المدَّثر:٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾[المدَّثر:٢٥]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر»: لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[الإسراء:٨٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[النساء:٨٧].

ولأنه صفة من صفاته، وصفات الله لا تشبه صفات المخلوقين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

قوله: «ومن وصف الله بمعنىٰ من معاني البشر، فقد كفر»: أي من شبه الله بخلقه فقد كفر؛ لأن الله جَلَّجَلَالُهُ ليس كمثله شيء، وله المثل الأعلىٰ.

قوله: «فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر»: أي من نظر وتأمَّل وتفكَّر فيما قاله من إثبات الصفات، ونفي التشبيه وما

توعد الله به المشبِّهةَ اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار.

قوله: «وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر»: كما قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

مسألة [١]: أقوال الناس في كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

اختلف الناس في كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ علىٰ تسعة أقوال:

أحدها: كلام الله ما يفيض علىٰ النفوس من المعاني التي تفيض: إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره؛ وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم كأصحاب وحدة الوجود.

الثاني: كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلا عنه؛ وهذا قول الرافضة المتأخرين والزيدية والمعتزلة والجهمية.

الثالث: كلام الله معنىٰ واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستفهام، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبَّر عنه بالعبرية كان توراة، وهذا قول ابن كُلَّاب، والأشعري، وغيرهما.

الرابع: كلام الله حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث.

الخامس: كلام الله حروف وأصوات لكن تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته بعد أن لم

يكن متكلما ولا فاعلا؛ وهذا قول الكرَّامية، وبعض الشيعة، وغيرهم.

السادس: لم يزل الله متكلما إذا شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يُسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم؛ وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

السابع: كلام الله يرجع إلىٰ ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته، ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله الرازي .

الثامن: كلام الله يتضمن معنىٰ قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره، ثم من هؤلاء من يقول في ذلك المعنىٰ بقول ابن كُلَّاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

التاسع: كلام الله مشترك بين المعنىٰ القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات؛ وهذا قول أبي المعالي الجُويني ومن اتبعه من متأخري الأشعرية(١).

مسألة [٢]: أدلة المعتزلة علىٰ أن القرآن مخلوق:

الدليل الأول: أن الله أضاف الكلام لنفسه، وإضافته إليه إضافة تشريف كبيت الله، وناقة الله، ونحوه.

أجيب بأنه باطل؛ لأن المضاف إلىٰ الله نوعان:

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٥٨-٣٦٣).

أحدهما: أعيان؛ كبيت الله، وناقة الله، ونحوه، وهذا للتشريف.

الثاني: معان؛ كعلم الله، وقدرته، وكلامه، وهذه من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلىٰ الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق، كقوله: «بيت الله» و «ناقة الله»، و «عباد الله»، بل وكذلك «روح الله» عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم.

ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل كلام الله وعلم الله، ويد الله ونحو ذلك، كان صفة له»[(٢)].

الدليل الثاني: يلزم من إثبات الكلام لله التشبيه والتجسيم.

أجيب بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم كيف شاء علىٰ الوجه الذي يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ألا ترىٰ أنه تعالىٰ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٥]، فنحن نؤمن أنها تتكلم، ولا نعلم كيف تتكلم، وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فُصِّلَت:٢١]، وكذلك تسبيح الحصا والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك

---

(١) **انظر**: الكافية الشافية، لابن قيم الجوزية، صـ(٥٠).

(٢) **انظر**: الجواب الصحيح (٤/ ٤١٦).

بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة، المعتمد على مقاطع الحروف.

الدليل الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[الزُّخرُف:٣]، أي خلقناه؛ لأن «**جعل**» تأتي بمعنىٰ خلق.

أجيب بأن «**جعل**» إذا كان بمعنىٰ خلق يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأنعام:١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾[الأنبياء:٣٠-٣١].

وإذا تعدىٰ إلىٰ مفعولين لم يكن بمعنىٰ خلق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[البقرة:٢٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾[الحِجر:٩١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الإسراء:٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[الزُّخرُف:٣].

الدليل الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزُّمَر:٦٢]،

والقرآن شيء، فيكون داخلا في عموم «**كل**» فيكون مخلوقا.

أجيب عنه بثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالىٰ، وإنما يخلقها العباد، فأخرجوها من عموم «**كل**»، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]، ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقا لزم أن يكون مخلوقا بأمر آخر، والآخر بآخر، إلىٰ ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل، وهو باطل.

وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته تعالىٰ مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء، وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم كل، فيكون مخلوقا بعد أن لم يكن، تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا.

وكيف يصح أن يكون متكلما بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضا ما خلقه في الحيوانات، لا يفرق حينئذ بين نَطَق وأَنْطَق، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾[فُصِّلَت:٢١]، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلما بكل كلام خلقه في غيره، زُورًا كان أو كذبا أو كفرا أو هذيانا! ! تعالىٰ الله عن ذلك.

الوجه الثاني: عموم «**كل**» في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك

بالقرائن؛ ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾[الأحقاف:٢٥]، ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير، وكذا قوله تعالىٰ حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[النمل:٢٣]، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام؛ إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلىٰ ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

الوجه الثالث: المراد من قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦]، أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوىٰ الله فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتما، ولم يدخل في العموم الخالق تعالىٰ، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم.

الدليل الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[القصص:٣٠]، دل علىٰ أن الكلام خلقه الله تعالىٰ في الشجرة فسمعه موسىٰ منها.

أجيب بأن الله تعالىٰ قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾[القصص:٣٠]، والنداء هو الكلام من بُعْد، فسمع موسىٰ

عَلَيْهِ السَّلَامُ النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[القصص:٣٠]، أي: إن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم! ولو كان الكلام مخلوقا في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:٣٠]، ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢٤]، صدقا، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله! وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة، فقالوا: ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون! فحرَّفوا، وبدلوا، واعتقدوا خالقا غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[(١)].

مسألة [٣]: شبهة والرد عليها.

إن قيل: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾[التكوير:١٩]، وهذا يدل على أن الرسول أحدث الكلام العربي.

قيل: هذا باطل من وجوه:

الوجه الأول: لأن الله ذكر هذا في القرآن في موضعين؛ والرسول في أحد الموضعين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول في الآية الأخرى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٥-١٨٣).

﴿٤٣﴾ [الحاقة:٤٠-٤٣]، فالرسول هنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير:١٩-٢٠]، فالرسول هنا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فلو كان أضافه إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين فإنه إن كان أحدهما هو الذي أحدثها امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثها.

الوجه الثاني: أن الله قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير:١٩]، ولم يقل: لقول ملك ولا نبي، ولفظ «**الرسول**» يستلزم مرسِلا له فدل ذلك على أن الرسول مبلِّغ له عن مرسِله؛ لا أنه أنشأ منه شيئا من جهة نفسه؛ وهذا يدل على أنه أضافه إلى الرسول؛ لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأ منه شيئا وابتدأه.

الوجه الثالث: أن الله قد كفَّر من جعله قول البشر بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدَّثر:٢٥]، ومحمد بشر؛ فمن قال: إنه قول محمد فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: هو قول بشر، أو جني، أو مَلَك فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر؛ ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير:١٩]، فجعله قول الرسول البشري مع تكفيره من يقول: إنه قول البشر، فعلم أن المراد بذلك أن الرسول بلغه عن مرسِله لا أنه قولٌ له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي أرسله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ

ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلام الرسول؛ والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلِّغا مؤديا(١).

مسألة [٤]: مذاهب الناس في مسمىٰ الكلام والقول عند الإطلاق:

اختلف الناس في مسمىٰ الكلام، والقول عند الإطلاق علىٰ أربعة أقوال:

أحدها: أنه يتناول اللفظ والمعنىٰ جميعا كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعا؛ وهذا قول السلف والفقهاء والجمهور.

الثاني: أنه اللفظ، والمعنىٰ ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلىٰ السنة، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

الثالث: أنه المعنىٰ، وإطلاق الكلام علىٰ اللفظ مجاز؛ لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كُلَّاب، ومن اتبعه.

الرابع: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنىٰ، وهو قول بعض المتأخرين من الكُلَّابية، ولهم قول ثالث يروىٰ عن أبي الحسن الأشعري أنه مجاز في كلام الله، وحقيقة في كلام الآدميين(٢).

مسألة [٥]: دليل القائلين بأن كلام الله معنىٰ واحد.

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ١٣٥-١٣٧).
(٢) السابق (٧/ ١٧٠).

استدلوا بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جُعل اللسانُ علىٰ الفؤاد دليلا

أجيب بأنه استدلال فاسد من وجوه:

الوجه الأول: أنه موضوع منسوب إلىٰ الأخطل، وليس هو في ديوانه.

الوجه الثاني: أنه إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد، وهذا أقرب إلىٰ الصحة.

الوجه الثالث: أن النصارىٰ قد ضلوا في معنىٰ الكلام، وزعموا أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أيْ: شيء من الإله بشيء من الناس! أَفَيُسْتَدَلُّ بقول نصراني قد ضل في معنىٰ الكلام علىٰ معنىٰ الكلام، ويُترك ما يُعلم من معنىٰ الكلام في لغة العرب؟!

الوجه الرابع: أن معناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمىٰ متكلِّما؛ لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه.

الوجه الخامس: أنَّ الأَخْطَلَ من المولَّدِيْن؛ وليس من الشعراء القدماء الذين يحتج بشعرهم[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٣٨-١٤٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٩٩-٢٠٠).

[رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حق]

وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ، وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَعَلِمَهُ؛ وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا أَرَادَ؛ لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

الشرح

قوله: «والرؤية حق»: أي ثابتة ومتحققة، هذه المسألة أشرف مسائل الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطرا، ورؤيته سبحانه هي أعلىٰ مراتب نعيم الجنة وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين(١)؛ وإن كانوا في الرؤية علىٰ درجات علىٰ حسب قربهم من الله ومعرفتهم به، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون، والحجاب عنه لأهل الجحيم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٨٥).

أشد عليهم من عذاب الجحيم[١]، وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد ثبت بالسنة المتواترة، وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين ائتموا بهم في دينهم أن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يُرىٰ في الدار الآخرة بالأبصار عيانًا، وقد دل علىٰ ذلك القرآن في مواضع»[٣].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركنا الناس وما ينكرون من أحاديث الرؤية شيئًا، وكانوا يُحدِّثون بها علىٰ الجملة يمرونها علىٰ حالها غير منكرين لذلك، ولا مرتابين[٤].

وقال أيضا: «مسألة الرؤية كانت هي أكبر المسائل الفارقة بين السنة المثبِتةِ وبين الجهمية حتىٰ كان علماء أهل الحديث والسنة يصنفون الكتب في الإثبات، ويقولون: كتاب الرؤية والرد علىٰ

(١) انظر: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، صـ(٢٨٥).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩-٢٨٠).
(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية (٢/ ٣٩٢).
(٤) انظر: السابق (٢/ ٣٩٥).

الجهمية»(١).

قـولـه: «لأهـل الجنـة»: أي أهـل الطاعـات، والإيمـان؛ أمـا أهـل النـار، فـلا يرونـه؛ لقولـه تعـالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطفِّفين:١٥].

مسألة [١]: هل ترىٰ المؤمنات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآخرة؟

أحاديـث الرؤيـة تشـمل المـؤمنين جميعـا مـن الرجـال والنسـاء، وكذلك كلام العلماء(٢).

مسألة [٢]: هل يرىٰ الكفار ربهم يوم القيامة؟

اختلف العلماء في رؤية الكفار ربهم علىٰ ثلاثة أقول:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال سواء كان مظهِرًا للكفر، أو مُسِرًّا له؛ وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد، وغيرهم.

الثـاني: أنـه يـراه مـن أظهـر التوحيـد مـن مـؤمني هـذه الأمـة ومنافقيهـا وغُبَّـرات مـن أهـل الكتـاب، وذلـك في عَرْصَـة القيامـة، ثـم يحتجـب عـن المنـافقين، فـلا يرونـه بعـد ذلـك؛ وهـذا قـول أبـي بكـر ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة أهل السنة.

---

(١) **انظر**: التدمرية، صـ(٥٩).

(٢) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٢٠).

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأىٰ السلطان - ثم يحتجب عنهم؛ ليعظم عذابهم، ويشتد عقابهم؛ وهذا قول السالمية، وغيرهم[(١)].

قوله: «بغير إحاطة»: أي يراه المؤمنون، ولا يحيطون بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام:١٠٣]، إنما نفىٰ الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء، ولم ينفِ مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يُرىٰ[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]، فعلمُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحيط أحد به.

قوله: «ولا كيفية»: أي لا يجوز لأحد أن يكيف رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فالكيف مجهول؛ فيجب علينا أن نؤمن بالرؤية، ولا نكيفها؛ فلا نقول: كيفية رؤية الله كذا وكذا.

وكذلك القول في جميع صفات الله جَلَّ وَعَلَا الواردة في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة؛ فالواجب علينا أن نؤمن بها من غير تمثيل ولا تكييف، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿الرَّحْمَٰنُ

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٨٧-٤٨٨).

(٢) **انظر**: السابق (٦/ ٤٨٧-٤٨٨).

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟

فَغَضِبَ الإمامُ مالِكٌ غَضَبًا شَدِيدًا، وَعَلَاهُ الرُّحَضَاءُ -يَعْنِي العَرَقَ- وَأَطْرَقَ القَوْمُ، وَجَعَلُوا يَنْتَظِرُونَ مَا يَأْتِي مِنْهُ فِيهِ، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَقَالَ: «**الكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا**»، وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ[(١)].

وكذلك نقول في جميع صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ فإذا قيل: كيف الاستواء؟ أو كيف الرضا؟ أو كيف الرحمة؟ أو كيف الغضب؟ ونحو ذلك.

قلنا: كل هذه الصفات معلومة المعنىٰ، لكن كيفيتها غير معقولة لنا.

وإذا قيل: كيف ينزل؟

قلنا: النزول معناه معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وإذا قيل: كيف يغضب؟

قلنا: الغضب معناه معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

(١) انظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥)، والأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٣٠٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١).

وإذا قيل: ما كيفية يده؟

قلنا: اليد معناها معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة.

قوله: «كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾»: من النضارة، أي حسنة بهية مشرقة مسرورة[1].

قوله: «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾»: أي تراه عيانا[2].

هذه الآية من أظهر الأدلة علىٰ إثبات الرؤية، ووجه الاستدلال منها من وجوه:

الوجه الأول: إضافة النظر إلىٰ الوجه، الذي هو محله دل علىٰ أن المراد هو النظر.

الوجه الثاني: تعدية النظر بأداة إلىٰ الصريحة في نظر العين.

الوجه الثالث: لا توجد قرينة في الآية تدل علىٰ أن المراد بالنظر غير الحقيقة[3].

ومن الأدلة علىٰ إثبات الرؤية غير هذه الآية:

١ - قوله تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٢٨٤)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩).

(٣) انظر: حادي الأرواح، صـ(٢٩٥-٢٩٦).

وَقدْ أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ اللِّقَاءَ هَاهُنَا لَا يَكُونُ إِلَّا مُعَايَنَةً وَنَظَرًا بِالأَبْصَار[١].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق:٣٥].

قال علي وجابر وأنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: هو النظر إلىٰ وجه الله الكريم[٢].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦]، فالحسنىٰ هي الجنة، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء، والزيادة هي النظر إلىٰ الله[٣].

وفَسر النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الزيادةَ بالنظر إلىٰ اللهِ جَلَّجَلَالُهُ، وكذا فسرها الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ من بعده؛ فعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ»، ثُمَّ تَلَا هَـذِهِ الآيَـةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦]»[٤].

٤- قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين:١٥]،

---

(١) انظر: الإبانة الكبرىٰ، لابن بطة «ت ٣٨٧هـ»، (٧/ ٦٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٦٨-٣٧٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٧٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٦٢).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨١).

فلا يرونه، ولا يرون شيئا من كرامته يصل إليهم[١].

سُئل الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية فقال: «**لما حجب أعداءه فلم يروه تجلىٰ لأوليائه حتىٰ رأوه**»[٢].

وقال الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذه الآية فيها دلالة علىٰ أن أولياء الله يرون الله عيانا[٣].

وقال أيضا: «**لما أن حجب هؤلاء في السَّخط كان في هذا دليل علىٰ أن أولياءه يرونه في الرضا**»[٤].

٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ**»[٥].

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**

---

(١) **انظر**: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٨٩).
(٢) **انظر**: تفسير البغوي (٥/ ٢٢٥).
(٣) **انظر**: السابق (٥/ ٢٢٥).
(٤) **انظر**: حادي الأرواح، صـ (٢٩٢).
(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

كَذَلِكَ»[(١)].

٧- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**[(٢)]»[(٣)]؛ فشبَّه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي[(٤)]؛ فإن العباد لا يحيطون بالله علما؛ ولا تدركه أبصارهم[(٥)].

٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»[(٦)]؛ فأخبر أنهم لا يمنعهم من النظر إلا ما على وجهه رداء الكبرياء[(٧)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

(٢) **لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**: يجوز ضم التاء وفتحها وهو بتشديد الميم من الضم أي لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول: أرنيه بل كل ينفرد برؤيته؛ وروي بتخفيف الميم من الضيم، وهو الظلم يعني لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٤) **انظر**: التدمرية، صـ(٧٨)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٤٧).

(٥) **انظر**: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨١).

(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

(٧) **انظر**: بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٣٧).

فهذا يدل علىٰ أن رداء الكبرياء علىٰ وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو المـانع من رؤية الذات، ولا يمنع من أصل الرؤية، فإن الكبرياء والعظمة أمر لازم لذاته تعالىٰ، فإذا تجلىٰ سبحانه لعباده يوم القيامة وكشف الحجاب بينهم وبينه فهو الحجاب المخلوق، وأما أنوار الذات الذي يحجب عن إدراكها فذاك صفة للذات لا تفارق ذات الرب جَلَّجَلَالُهُ، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سُبُحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه(١).

مسألة: معاني النظر تختلف بحسب استعمالاته.

النظر له عدة معان تختلف بحسب صِلَاته، وتعديه بنفسه:

أحدها: التوقف والانتظار: إن عُدِّي بنفسه، كقوله ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾[الحديد:١٣].

الثاني: التفكر والاعتبار: إن عُدِّي بـ «في»، كقوله ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأعراف:١٨٥].

الثالث: المعاينة بالأبصار: إن عُدِّي بـ «إلىٰ»، كقوله ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾[الأنعام:٩٩]، فكيف إذا أضيف إلىٰ الوجه الذي هو محل البصر؟!(٢).

قوله: «وتفسيره علىٰ ما أراده الله تعالىٰ وعلمه»: أي تفسير الرؤية علىٰ ما أراده الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وعلمه؛ فلا تفسر بما

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، صـ(٢٥٧).
(٢) انظر: حادي الأرواح، صـ(٢٩٦).

يخالف مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١].

وقال أبو عُبيد القاسم بن سلَام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذُكرت عنده الأحاديث التي في الرؤية: «هذه عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلىٰ أن صارت إلينا، إلا أنا إذا قيل لنا: فسروها، قلنا: لا نفسر منها شيئا، ولكن نمضيها كما جاءت»[٢].

قوله: «وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كما قال، ومعناه علىٰ ما أراد»: أي من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل؛ وقد بلغت أدلة الرؤية حد التواتر[٣].

قوله: «لا ندخل في ذلك متأوِّلين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا»: فلا نأول الرؤية بما يناسب عقولنا وأهوائنا؛ لأن كل من حكَّم عقله في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ضل.

قوله: «فإنه ما سلِم في دينه إلا من سَلَّم لله عَزَّوَجَلَّ، ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي سلَّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعارضها بعقله.

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي «ت ٦٢٠»، صـ (٧).
(٢) انظر: الإبانة الكبرىٰ (٧/ ٦٠).
(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٩٢).

قولـه: «ورد علم ما اشتبه عليه إلىٰ عالمه»: أي إذا اشتبه شيء من نصوص الكتاب والسنة علىٰ المسلم وجب رد علمه إلىٰ الله ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه طريقة الراسخين في العلم؛ أما الذين لا يريدون أن يعارضوا آي الكتاب فإنهم يتبعون ما تشابه منه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران:٧].

مسألة [١]: مذاهب الناس في رؤية الله يوم القيامة:

اختلف الناس في الرؤية علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الله لا يُرىٰ يوم القيامة.

القائلون به: الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية.

قالوا: لأن ذلك يستلزم أن يكون بجهة من الرائي، وأن يكون جسمًا متحيزًا وذلك منتفٍ عندهم(١).

القول الثاني: أن الله يرىٰ ليس إلىٰ جهة.

القائلون به: الأشاعرة.

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٩٤).

ورد عليه المعتزلة بأن هذا تناقض، فكيف يعقل أن يرىٰ شيء ليس إلىٰ جهة؟!

القول الثالث: أن الله يرىٰ بالأبصار كما يرىٰ القمر ليلة البدر.

القائلون به: أهل السنة والجماعة(١).

مسألة [٢]: أدلة المعتزلة علىٰ نفي الرؤية يوم القيامة.

استدلت المعتزلة علىٰ نفي الرؤية بعدة أدلة أقواها دليلان:

الدليل الأول: قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣].

الدليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣].

والآيتان دليل عليهم:

أما الآية الأولىٰ: فالاستدلال منها علىٰ ثبوت رؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من وجوه(٢):

أحدها: أنه لا يُظن بكليم الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يسأل ربه جَلَّ وَعَلَا ما لا يجوز عليه، بل ما هو من أبطل الباطل، وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالا لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يريه كيف يحيي الموتىٰ؟ لم ينكر عليه، ولما سأل عيسىٰ ابن مريم ربه

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٠٧-٢٢٠).
(٢) انظر: حادي الأرواح، صـ(٢٨٥-٢٨٧).

إنزال المائدة من السماء لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: لا تراني، ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل علىٰ أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرىٰ، ولكن موسىٰ لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالىٰ.

الوجه الرابع: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟!

الوجه الخامس: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر علىٰ أن يجعل الجبل مستقرا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام؛ فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[الأعراف:١٤٣]، وهذا من أبين الأدلة علىٰ جواز رؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإنه إذا جاز أن يتجلىٰ للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب

عليه، فكيف يمتنع أن يتجلىٰ لأنبيائه ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأوليائه في دار كرامتهم ويريهم نفسه؟ فأعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسْمِع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولىٰ بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحدا، أو يراه أحد.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ فإنما يدل علىٰ النفي في المستقبل، ولا يدل علىٰ دوام النفي -ولو قيدت بالتأبيد- فكيف إذا أُطلقت؟ انظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة:٩٥]، مع قوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزُّخرُف:٧٧]، فذكر أنهم لن يتمنوا الموت، ثم حكىٰ عنهم أنهم يتمنونه؛ فدلَّ علىٰ أن «**لن**» لا تفيد النفي المؤبَّد.

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالىٰ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾[يوسف:٨٠]، فثبت أن «**لن**» لا تقتضي النفي المؤبد(١).

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) انظر: حادي الأرواح، صـ(٢٨٥-٢٨٧).

ومن رأىٰ النفي بلن مؤبدا فقوله اردُد، وخِلافه اعضُدا(١)

قال بدر الدين المرادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لن**» حرف نفي ينصب المضارع، يفيد الاستقبال، ولا يلزم أن يكون مؤبدا، خلافا للزمخشري(٢).

وأما الآية الثانية فهي علىٰ جواز الرؤية أدل منها علىٰ امتناعها؛ فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق المدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا كتمدُّحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا؛ فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣] أنه لا يرىٰ بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم المحض لا يُرىٰ ولا تُدركه الأبصار، والرب جَلَّ جَلَالُهُ يتعالىٰ أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض؛ فإذا المعنىٰ أنه يرىٰ، ولكنه لا يدرك، ولا يحاط به.

فقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يدل علىٰ غاية عظمته، وأنه أكبر

---

(١) انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك «ت ٦٧٢هـ»، (٣/ ١٥١٥).

(٢) انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لبدر الدين المرادي، «ت ٧٤٩هـ» (٣/ ١٢٢٩).

من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد علىٰ الرؤية كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢]، فلم ينف عن موسىٰ الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ إنا لمرئيون؛ فإن موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نفىٰ إدراكهم إياهم بقوله: ﴿كَلَّآ﴾.

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالىٰ يرىٰ، ولا يدرك كما يعلم، ولا يحاط به.

وهذا هو الذي فهمه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، والأئمة من الآية؛ فالمؤمنون يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنىٰ أنها لا تحيط به(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: نفىٰ الإدراك الذي هو الإحاطة وذلك يقتضي كمال عظمته، وأنه بحيث لا تدركه الأبصار، فهو يدل علىٰ أنه إذا رئي لا تدركه الأبصار، وهو يقتضي إمكان رؤيته، ونفىٰ إدراك الأبصار إياه ولم ينفِ رؤيته، فهو دليل علىٰ إثبات الرؤية، ونفي إحاطة الأبصار به، وهذا يناقض قول النفاة، وأما مجرد نفي الرؤية فليست صفة مدح، فإن المعدوم لا يُرىٰ(٢).

مسألة [٣]: حكم من جحد رؤية الله في الدار الآخرة.

---

(١) **انظر**: حادي الأرواح، صـ(٢٩٣-٢٩٤).

(٢) **انظر**: الصفدية (٢/ ٦٦).

الذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر؛ فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك عُرِّف ذلك كما يعرف من لم تبلغه شرائع الإسلام؛ فإن أصر علىٰ الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر[١].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٨٦).

[خطورة ترك التسليم والاستسلام]

وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الإِسْلَامِ إِلَّا عَلَىٰ ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ؛ فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي المَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الإِيمَانِ، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإِقْرَارِ وَالإِنْكَارِ؛ مُوَسْوَسًا، تَائِهًا، شَاكًّا، زَائِغًا؛ لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا.

.... الشـــرح ....

قوله: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا علىٰ ظهر التسليم والاستسلام»: أي لا يثبت إسلام من لم يستسلم لنصوص الكتاب والسنة.

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»[(١)].

قوله: «فمن رام علم ما حُظر عنه علمه»: أي طلب علم ما حظره وحجبه الله عنا؛ كعلم كيفية الصفات الإلهية، والعلوم الغيبية.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٩/ ١٥٤).

والـرَّوْمُ: طَلَبُ الشَّيْءِ؛ والمَرامُ: المَطْلَبُ؛ رام يروم رومًا ومراما، أي طَلَبَ(١).

قوله: «ولم يقنع بالتسليم فهمه»: أي لم يسلِّم لنصوص الكتاب والسنة، وطلب شيئا مما حُظِر عليه علمه.

قوله: «حجبه مرامه عن خالص التوحيد»: أي منعه طلبه عن التوحيد الكامل؛ فالذي يطلب علم ما حُجِب عنه من الغيبيات، ولم يسلِّم لنصوص الكتاب والسنة، فإن توحيده ينقص على قدر انحرافه عن الكتاب والسنة.

قوله: «وصافي المعرفة»: أي خالص العلم لا سيما التوحيد، فالعلم الخالص لا يؤتاه إلا من سلَّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض على شيء منهما.

قوله: «وصحيح الإيمان»: أي بأركانه الستة؛ فالذي لا يسلِّم لنصوص الوحيين لا يكون إيمانه صحيحا؛ لأن طلبه لما لم يرد فيه دليل أو برهان من الكتاب والسنة دليلٌ على عدم إيمانه؛ لأن الإيمان مبني على التسليم والانقياد؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١].

---

(١) انظر: العين، مادة «روم».

وقد حذرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من البحث عما حَجَب عنا فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦]؛ وهذا نهي عن التكلم بلا علم، وهو عام في جميع أنواع الأخبار، وقد يتناول ما أخبر به الإنسان، وما قد يعتقده بغير الأخبار من الدلائل، والآيات، والعلامات، فلا يتكلم بلا علم، ولا ينفي شيئا إلا بعلم، ولا يثبته إلا بعلم[1].

قوله: «فيتذبذب بين الكفر والإيمان»: أي يضطرب ويتردد بين الكفر والإيمان؛ فتارة يكون من الكفار، وتارة يكون مع المؤمنين؛ وهذه حال كل من أعرض عن الكتاب والسنة، ولجأ إلىٰ العقل؛ وهذا أيضا حال المنافقين الذين وصفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه، فقال: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾[النساء:١٤٣].

قوله: «والتصديق والتكذيب»: أي يتردد بين التصديق بنصوص الوحيين، وبين التكذيب بها؛ فتارة يكون مع المؤمنين بتصديقه، وتارة

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٦/ ٤٥٨).

يكون مع الكفار بتكذيبه وشكِّه؛ وهذه صفة المنافقين الذين ذكرهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه؛ فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥﴾ [التوبة:٤٥].

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة:١٤-١٥].

قوله: «والإقرار والإنكار»: أي يتردد بين الإقرار بالنصوص، وبين إنكارها؛ وهذه حال المنافقين الذين وصفهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه.

قوله: «موسوسًا تائهًا»: أي من أجل وسوسة الشيطان له يكون في تِيْهٍ وحيرةٍ في أمر دينه.

قوله: «شاكًّا»: أي مترددا.

قوله: «زائغا»: أي منحرفا عن الطريق المستقيم، والفهم الصحيح؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

قوله: «لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا»: أي ليس من المؤمنين المصدقين بالله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما جاء به، ولا منكرا مكذبا لهما؛ بل هو بين هؤلاء وهؤلاء.

وَلَا يَصِحُّ الإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ؛ إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًىٰ يُضَافُ إِلَىٰ الربوبية بترك التَّأْوِيلِ وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ وَعَلَيْهِ دِينُ المُسْلِمِينَ.

الشرح

قوله: «ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام»: أي لا يصح الإيمان برؤية الله جَلَّجَلَالُهُ لأهل الجنة.

ودار السلام هي الجنة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[الأنعام:١٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما وصف الله الجنة هاهنا بدار السلام؛ لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلىٰ دار السلام[(١)].

قوله: «لمن اعتبرها منهم بوَهْم»: أي لمن توهم كيفية رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة.

والوَهم: خطرات القلب، أو المرجوح من طرفي المتردَّد فيه[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٨).

(٢) انظر: القاموس المحيط، مادة «وهم».

قوله: «أو تأوَّلها بفهم»: أي تأوَّل الرؤية بفهمه الذي يخالف ظاهرها؛ ولم يُذعن لنصوص الوحيين.

وفي هذا رد علىٰ المعتزلة والجهمية الذين ينفون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرة.

قوله: «إذ كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنىٰ يضاف إلىٰ الربوبية - بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين»: هذا الكلام تأكيد لما سبق من وجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة الذي عليه دين المسلمين، وترك التأويل الفاسد الذي عليه أهل البدع.

ودين المسلمين مبني علىٰ التسليم والإذعان لنصوص الكتاب والسنة، وعدم الخوض فيها بالآراء والأفهام والتأويلات التي تخالف ظواهرها.

أما دين المبتدعة فمبني علىٰ عدم التسليم لنصوص الكتاب والسنة، والشك في معناها، والخوض فيها بما يناسب عقولهم القاصرة وأفهامهم الضعيفة.

مسألة: تعريف التأويل لغة واصطلاحا:

التأويل لغة: المَرجع والمَصير، مَأْخُوذ من: آل يَؤُول إِلَىٰ كَذَا، أَي صَار إِلَيْهِ(١).

واصطلاحا: التأويل عند السلف له معنيان(٢):

الأول: التفسير سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه، ومنه قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(٣)، وهذا هو الغالب علىٰ اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**واختلف علماء التأويل**»، و: «**القول في تأويل قوله تعالىٰ كذا**»؛ وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧]

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يُتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما حكىٰ تعالىٰ عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا

(١) **انظر**: تهذيب اللغة، مادة «أَوَل».

(٢) **انظر**: التدمرية صـ (٩١-٩٣)، والفتوىٰ الحموية الكبرىٰ، لابن تيمية، صـ (٢٨٧-٢٩٠).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٩٧)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

﴿رَبِّي حَقًّا﴾[يوسف:١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف:٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[النساء:٥٩].

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله؛ وعليه يجب الوقف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:٧].

ثم حدث اصطلاح ثالث عند كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله؛ وهو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، كتأويل من تأول: استوىٰ، بمعنىٰ استولىٰ، ونحوه، فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته[1].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٨٢).

[الرد على المشبهة]

وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ؛ فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ، وَتَعَالَىٰ عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ، وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ.

الشرح

قوله: «ومن لم يتوقَّ النفي»: فيه تحذير للمؤمن من نفي الأسماء والصفات.

وفيه رد علىٰ المأوِّلة والمحرِّفة الذين نفوا أسماء الله وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وهم علىٰ أقسام:

- منهم من نفىٰ جميع الأسماء والصفات، وهم الجهمية.
- ومنهم من أثبت الأسماء، ونفىٰ جميع الصفات، وهم المعتزلة.
- ومنهم من أثبت الأسماء، ونفىٰ جميع الصفات إلا سبعة[1]، وهم الأشاعرة.

---

(١) هي: السمع، والبصر، والإرادة، والقدرة، والعلم، الحياة، والكلام النفسي.

- ومنهم من أثبت الأسماء، ونفى جميع الصفات إلا ثمانية[١]، وهم الماتريدية.

قوله: «والتشبيه»: فيه أيضا تحذير للمؤمن من تشبيه الله بخلقه، أو العكس.

وفيه رد على المشبِّهة الذين شبهوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمخلوق؛ وهم على أقسام:

- منهم من شبَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمخلوق؛ فقالوا: يد الله كيد الإنسان، ووجه الله كوجه الإنسان ونحوه، تعالى الله عما يقولون.

- ومنهم من شبَّه المخلوقَ بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فقالوا: يد الإنسان كيد الله، وسمع الإنسان كسمع الله ونحوه، تعالى الله عما يقولون.

- ومنهم من شبَّه الله بالمعدومات والجمادات والمستحيلات؛ فقالوا: ليس لله اسما ولا صفة؛ تعالى الله عما يقولون.

قوله: «زلَّ»: أي انحرف عن الطريق الصحيح.

---

(١) هي: السمع، والبصر، والإرادة، والقدرة، والعلم، الحياة، والكلام النفسي، والتكوين.

قوله: «ولم يُصب التنزيه»: أي لم يُصب تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما لا يليق به جَلَّ وَعَلَا.

قوله: «فإن ربَّنا جَلَّ وَعَلَا موصوف بصفات الوحدانية»: أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحد لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١].

قوله: «منعوت بنعوت الفردانية»: أي موصوف بصفات الكمال التي تفرد بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو فرد في صفات ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته؛ وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص:٢-٣].

قوله: «ليس في معناه أحد من البرية»: أي لا تشبه صفاته صفات أحد من المخلوقين؛ وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤].

قوله: «وتعالىٰ»: أي تنزَّه وتقدَّس وتباعد.

قوله: «عن الحدود»: جمع حدٍّ؛ والحدُّ له معنيان: أحدهما: حقٌّ، والثاني: باطلٌ.

أما المعنىٰ الحق فهو ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالىٰ غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه.

وأما المعنىٰ الباطل فهو بمعنىٰ العِلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السنة(١).

ويحمل كلام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ المعنىٰ الثاني؛ وحاصله أنه لا يستطيع أحد أن يعلم حدود صفات الله جَلَّ وَعَلَا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠].

قوله: «والغايات»: أي تنزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن أن يكون خلق الخلق لأجل حاجته إليهم؛ فالغاية تحتمل معنيان: أحدهما باطل، والآخر حق.

فإن كان المراد بالغاية: الحكمة من خلق المخلوقات، وأنه خلقها لحكمة، فهذا حق، ولكن يقال: حكمة، لا يقال: غاية، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[الذاريات:٥٦].

وإن أريد بالغاية: الحاجة إلىٰ المخلوقات، فنعم، هذا نفي صحيح، فالله عَزَّوَجَلَّ لم يخلق الخلق لحاجته وفقره إليهم، فإنه غني عن العالمين(٢).

قوله: «والأركان»: أي تنزَّه الله جَلَّ وَعَلَا عن وصفه بالأركان؛ لأن الركن جزء الماهية، والله تعالىٰ هو الأحد الصمد، لا يتجزأ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٤٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٣).
(٢) انظر: التعليقات المختصرة علىٰ متن العقيدة الطحاوية، للشيخ الفوزان، صـ (٨٧).

والأعضاء فيها معنىٰ التفريق والتقطيع(١).

قوله: «والأعضاء»: أي تنزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن وصفه بالأعضاء والجوارح؛ لأن فيها معنىٰ الاكتساب والانتفاع(٢).

قوله: «والأدوات»: أي تنزه الله جَلَّ وَعَلَا عن وصفه بالأدوات، وهي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة، ودفع المضرة.

وإذا أُريد بالأركان والأعضاء والأدوات نفي الصفات الذاتية عن الله تعالىٰ من الوجه واليدين، وما ثبت له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من صفاته الذاتية، فهذا باطل.

أما إن أُريد بذلك أن الله منزَّه عن مشابهة أبعاض المخلوقين وأعضاء المخلوقين وأدوات المخلوقين، فهذا حق، فالله منزه عن ذلك؛ لأنه لا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته(٣).

قوله: «لا تحويه الجهات الست»: أي لا تحيط به الجهات الست المخلوقة؛ وهي: اليمين، والشمال، والأمام، والخلف، والأعلىٰ، والأسفل؛ لأنه فوق المخلوقات كلها.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٧٣).

(٢) انظر: السابق (٤/ ١٧٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٦)، والتعليقات المختصرة علىٰ متن العقيدة الطحاوية، صـ (٨٧-٨٨).

قولــــه: «كســـائر المبتـــدعات»: أي كبقيـــة المخلوقـــات؛ وسائر بمعنىٰ البقية، ومنه السؤر، وهو البقية والفضلة(١).

مسألة [١]: معنىٰ لفظ «الجهة»:

لفظ «**الجهة**» له معنيان؛ أحدهما باطل، والثاني: صحيح.

أما المعنىٰ الباطل، فهو الموجود، ولا ثَمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق؛ فلا يجوز إطلاق لفظ الجهة علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بهذا المعنىٰ؛ لأن الله تعالىٰ لا يحصره، ولا يحيط به شيء من المخلوقات؛ فإنه بائن من المخلوقات.

وأما المعنىٰ الصحيح، فهو المعدوم، أي هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق العالم؛ ويجوز إطلاقه علىٰ الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الله سبحانه منزه عن أن تحيط به المخلوقات، أو أن يكون مفتقرا إلىٰ شيء منها: العرش أو غيره(٢).

مسألة [٢]: الواجب في باب الأسماء والصفات من حيث الإثبات والنفي.

الواجب أن ينظر في هذا الباب، فما أثبته الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيناه، فنقف عند الألفاظ التي ورد بها النص في الإثبات والنفي، فنثبت

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة «سأر».

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٢٣).

ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، ونفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني(١).

مسألة [٣]: مذاهب الناس في إطلاق الألفاظ المحدثة التي لم ترد في الكتاب والسنة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ مثل: الجهة، والحد، والجسم، نحو ذلك.

المذهب الأول: النفي المطلق.

المذهب الثاني: الإثبات المطلق.

المذهب الثالث: التفصيل؛ فإن كان معناها حقًّا أُثبتت، وإن كان معناه باطلا نفيت؛ ولا يجوز إثباتها إلا عند الحاجة مع وجود قرينة تدل عليها؛ كعند مناظرة المخالفين، أما عند ذكر العقيدة مستقلة فلا يجوز استعمال هذه الألفاظ؛ وهذا مذهب السلف(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وأما الألفاظ التي تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين، مثل لفظ «الجسم»، و«الجوهر»، و«المتحيز»، و«الجهة»، ونحو ذلك، فلا تطلق نفيا ولا إثباتا حتىٰ ينظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنىٰ صحيحا موافقا لما أخبر به الرسول** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صوب المعنىٰ الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يعبر عنه بألفاظ النصوص، لا يعدل إلىٰ هذه**

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٥٤).

(٢) انظر: السابق (٢/ ٣٢١-٣٢٢).

الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنىٰ باطل نفي ذلك المعنىٰ، وإن جمع بين حق وباطل، أُثبت الحق وأُبطل الباطل»(١).

والمتبعون للسلف لا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين أن ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقًّا وباطلا، ويذكرون عن مثبتيها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل فيها معنىٰ باطلا مخالفا لقول السلف ولما دل عليه الكتاب والميزان(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتا؛ لئلا يثبت معنىٰ فاسد، أو ينفىٰ معنىٰ صحيح، وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحِق والمبطل»(٣).

مسألة [٤]: لماذا لجأ الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ استعمال هذه الألفاظ المجملة؟

أراد الرد بهذا الكلام علىٰ المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٥٤-٥٥٥).
(٢) انظر: السابق (٢/ ٣٢٢).
(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٦).

القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء وغير ذلك، تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا[١].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦١).

[الإيمان بالإسراء والمعراج]

وَالمِعْرَاجُ حَقٌّ وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي اليَقَظَةِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ العُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم:١١]، فـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخرة والأولىٰ.

الشـــرح

قولــه: «وَالمعْـرَاجُ»: المعـراج لغـة: علىٰ وزن مِفعـال مـن عَـرَجَ يعرُجُ عُروجًا، أي: صَعِد.

والمَعْرَجُ: المَصْعَد، وهـو آلـة الصـعود؛ والمَعْـرَجُ: الطريـقُ الـذي تصعَدُ فيه الملائكة، وهو مثل السُّلَّم(١).

وشـرعا: هـو الصـعود بـالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـن بيـت المقـدس إلـىٰ السماوات السبع العلىٰ، ورؤيتـه الأنبيـاء في منـازلهم، ثـم صـعوده إلـىٰ سدرة المنتهىٰ وتكليمه ربه عَزَّوَجَلَّ وفرض الصلاة عليه وعلىٰ أمته.

قولــه: «حَـقٌّ»: أي واقـع وحاصـل، ولـيس بكـذب؛ فهـو مـن الغيبيات التي يجب الاعتقاد بها.

والحـق يقـال في الاعتقـاد للشـيء المطـابق لمـا عليـه ذلـك

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «عرج»، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٣).

الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢١٣][1].

قوله: «وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: الإسراء لغةً: السير بالليل؛ يُقَال: أَسرَيْتُ وسَرَيْت: إذا سِرْت لَيْلًا[2].

وشرعا: هو الانتقال بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام إلىٰ بيت المقدس، ورجوعه من ليلته.

والإسراء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[الإسراء:١].

وأما السنة: فحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ - فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ المقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ المسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٢٤٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «سرىٰ».

خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم:٥٧].

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ البَيْتِ المعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ السِّدْرَةِ المُنْتَهَىٰ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلَالِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً.

فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[(١)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَىٰ رَجُلًا آدَمَ طُوَالًا جَعْدًا، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ رَجُلًا مَرْبُوعًا، مَرْبُوعَ الخَلْقِ إِلَىٰ الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، سَبِطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة:٢٣]»[(٢)].

وأما الإجماع: فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (١٦٢) .

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ هو نص القرآن، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أحاديث كثيرة منتشرة(١).

قوله: «وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ»: أي بجسده وروحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الأدلة على المعراج:

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١-١٠].

مسألة [١]: هل كان الإسراء بالروح، أو بالجسد، أو بهما معا؟

اختُلف في الإسراء هل كان بالروح، أو بالجسد، أو بهما معا على قولين:

القول الأول: كان الإسراء بروحه، ولم يفقد جسده.

قال به: عائشة، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والحسن البصري.

القول الثاني: عُرج بروحه وبدنه.

وكلا الطائفتين لم يريدوا أن المعراج كان مناما.

والصحيح القول الثاني؛ وهو أن الإسراء كان بالروح والجسد

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٤٤).

معا[١].

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾[الإسراء:١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح؛ فيكون الإسراء بهذا المجموع.

٢- لو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلىٰ إنكار النبوة وهو كفر[٢].

مسألة [٢]: الفرق بين أن يقال: كان الإسراء مناما، وبين أن يقال: كان بروحه دون جسده.

ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة، فيرىٰ كأنه قد عُرج به إلىٰ السماء، أو ذُهب به إلىٰ مكة وأقطار الأرض، وروحه لم تصعد ولم تذهب.

والذين قالوا: كان الإسراء بروحه إنما أرادوا أن الروح ذاتها أُسري بها، وعُرج بها حقيقة، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة، وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلىٰ السماوات سماء

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٠، ٣٦).
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

سماء حتىٰ ينتهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة، فتقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، فيأمر فيها بما يشاء، ثم تنزل إلىٰ الأرض، والذي كان لرسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة؛ ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم[(١)].

قوله: «فِي اليَقَظَةِ»: أي ليس في المنام.

وذهب معظم السلف والمسلمين إلىٰ أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حَبَّة البدري، وابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج، وهو دليل قول عائشة، وهو قول الطبري، وأحمد بن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، والمفسرين.

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلىٰ بيت المقدس، وإلىٰ السماء بالروح.

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]؛ فجعل ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٦).

ٱلْأَقْصَا﴾ غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به، وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه.

قال: ولو كان الإسراء بجسده إلىٰ ما بعد المسجد الأقصىٰ لذكره، فيكون أبلغ في المدح(١).

قوله: «**إِلَىٰ السَّمَاءِ**»: أي السماوات السبع.

قوله: «**ثُمَّ إِلَىٰ حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنَ العُلَا**»: أي ثم صعد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ حيث شاء الله مما فوق السبع سماوات.

قوله: «**وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ**»: أي أكرمه الله برؤية الآيات الكبرىٰ، ورؤيته الجنة والنار، وأكرمه بتكليمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «**وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ**»: أي فأوحىٰ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحىٰ؛ أو: فأوحىٰ الله إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحىٰ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكلا المعنيين صحيح(٢).

قوله: «﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾»: أي من الآيات الكبرىٰ.

قوله: «**فَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ**»: الصلاة من الله ثناؤه في الملأ الأعلىٰ.

---

(١) **انظر**: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (١/ ٣٦٢).

(٢) **انظر**: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»(١).

قوله: «وَسَلَّمَ»: أي من الآفات والشرور(٢).

قوله: «في الآخرة والأولىٰ»: أي في يوم القيامة والدنيا.

مسألة [١]: متىٰ كان الإسراء والمعراج؟

كان الإسراء والمعراج برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بيت المقدس وإلىٰ السماء قبل هجرته إلىٰ المدينة بسنة.

وقيل: كان بين الإسراء والهجرة سنة وشهران(٣).

مسألة [٢]: هل رأىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في المعراج؟

اختلف الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في رؤية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه ليلة المعراج علىٰ ثلاثة أقوال(٤):

القول الأول: رأىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

القائلون به: عائشة، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

القول الثاني: رأىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه جَلَّ وَعَلَا بفؤاده.

القائلون به: ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠).
(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «سلم».
(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٧).
(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٣-٣٤).

القول الثالث: لم ير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه جَلَّ وَعَلَا.

القائلون به: عائشة، وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قالا: إن قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم:١٣-١٤]، إنما هو جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَىٰ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ:٥١]....»[(١)].

وقد حكىٰ عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ير ربه جَلَّ وَعَلَا[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كان النزاع بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل رأىٰ ربه ليلة المعراج؟ فكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأكثر علماء السنة يقولون: إن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وطائفة معها تنكر ذلك،

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

(٢) **انظر:** الرد علىٰ الجهمية، للدارمي، «ت٢٨٠هـ»، صـ (١٢٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ حرب المعطلة والجهمية، لابن قيم الجوزية، صـ (٢٢).

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ هل يقال: إن محمدا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربه بعيني رأسه؟ أو يقال: بعين قلبه، أو يقال: رآه، ولا يقال: بعيني رأسه، ولا بعين قلبه؟ علىٰ ثلاث روايات[(١)].

فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «**رأىٰ محمدٌ ربَّه بفؤادِهِ مَرَّتَين**»، وعائشة أنكرت الرؤية؛ فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد؛ والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول: رأىٰ محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَّه، وتارة يقول: رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تارة يطلق الرؤية؛ وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد: إنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين؛ كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ففهم منه رؤية العين؛ وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل علىٰ ذلك؛ بل النصوص الصحيحة علىٰ نفيه أدل؛ كما في حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ**»[(٢)]، وقد

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٨٦-٣٨٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٧٨).

قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولىٰ، وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم:١٢]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٨]، ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولىٰ(١).

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يأتِ حديث صحيح ومرفوع إلىٰ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: رأيت ربي ليلة أسري بي(٢).

مسألة [٣]: كم مرة أسري بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

اختلف الناس في عدد مرات إسراء النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أربعة أقوال:

القول الأول: كان الإسراء مرة واحدة.

القول الثاني: كان الإسراء مرتين: مرة يقظة، ومرة مناما.

وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك، وقوله: «**ثمَّ استيقظْتُ**»(٣)، وبين سائر الروايات.

القول الثالث: كان الإسراء مرتين، مرة قبل الوحي؛ لقوله في

---

(١) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥١٠-٥١١).

(٢) **انظر:** موسوعة الألباني في العقيدة، للألباني (٧/ ٧٤٣-٧٤٤).

(٣) **صحيح:** رواه البخاري (٧٥١٧)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حديث شريك: «وذَلكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ»(١)، ومرة بعد الوحي، كما دلت عليه سائر الأحاديث.

القول الرابع: ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتين بعده(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل هذا(٣) خبط، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرىٰ، فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع، والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة.

ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا، كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسىٰ حتىٰ تصير خمسا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي»، ثم يعيدها في المرة الثانية إلىٰ خمسين، ثم يحطها عشرا عشرا، وقد غلَّط الحفَّاظ شَريكا في ألفاظ من حديث الإسراء(٤)، ومسلم أورد المسند منه

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر:** زاد المعاد (٣/ ٣٧-٣٨).

(٣) أي القول الثاني والثالث والرابع.

(٤) **قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد علىٰ ذلك:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السماوات، وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة. =

ثم قال: فقدم وأخر وزاد ونقص، ولم يسرد الحديث، فأجاد رَحِمَهُٱللَّهُ»[(١)].

=**الثالث**: كونه مناما.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهىٰ، وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله والمشهور أنها في السابعة أو السادسة.

الخامس: مخالفته في النهرين، وهما النيل والفرات، وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة، وأنهما من تحت سدرة المنتهىٰ.

السادس: شق الصدر عند الإسراء.

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والمشهور في الحديث أنه جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الرجوع إلىٰ سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضىٰ رواية ثابت عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان بعد التاسعة.

العاشر: قوله: فَعَلَا به الجبار، فقال: وهو مكانه.

الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الأحاديث أن موسىٰ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أمره بالرجوع بعد أن انتهىٰ التخفيف إلىٰ الخمس فامتنع.

الثاني عشر: زيادة ذكر التور في الطست. [**انظر**: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٣/ ٤٨٥-٤٨٦)].

(١) **انظر**: زاد المعاد (٣/ ٣٨).

[الإيمان بالحوض]

وَالحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ حَقٌّ.

الشـــرح

قولــه: «والحـوض»: الحَـوْضُ: لغـة: مُجْتَمَـعُ المَـاءِ مَعْـرُوفٌ، وَالجَمْعُ أَحْواض وحِيَاض(١).

وشـرعا: هـو حـوض عظـيم يعطـاه النبـي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يـوم القيامـة طوله شهر وعرضه شهر، تشرب منه أمته، لا يشـرب منـه أحـد غيـرهم، عدد آنيته كعدد نجوم السماء، مـاؤه أشـد بياضـا مـن اللـبن وأحلـىٰ مـن العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

قـولـــه: «الـذي أكرمـه الله تعـالىٰ بـه»: أي أكـرم الله بـه النبـي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قـولــه: «غياثًـا لأمتـه»: أي تفريجـا لهـم؛ ومنـه قـول الوَاقِـع فِـي بَلِيَّةٍ: أَغِثني: أَي فرِّج عَنِّي؛ والغِياثُ: ما أغَاثك الله به(٢).

قـولـــه: «حـق»: أي واقـع وحاصـل، ولـيس بكـذب؛ فهـو مـن الغيبيـات التـي يجـب الإيمـان بهـا علـىٰ مـا جـاء في سـنة النبـي

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «حوض».

(٢) انظر: العين، مادة «غوث».

ﷺ.

وفي هـذا رد علىٰ الخـوارج وبعـض المعتزلـة الـذين أنكـروا الحـوض؛ كما قال ابـن حجـر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَنْكَـرَهُ الخَـوَارِجُ وَبَعْـضُ المُعْتَزِلَةِ**»[(١)].

قَـالَ القَاضِـي عِيَـاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَحَادِيـثُ الحَـوْضِ صَـحِيحَةٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ فَرْضٌ، وَالتَّصْدِيقُ بِهِ مِنَ الإِيمَانِ، وَهُوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ لَا يُتَأَوَّلُ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ، وَحَدِيثُهُ مُتَوَاتِرُ النَّقْلِ رَوَاهُ خَلَائِقُ مِنَ الصَّحَابَةِ**»[(٢)].

فمِمَّا يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ خَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَوْضِ المُصَرَّحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَابِهِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِهَا العِلْمُ القَطْعِيُّ؛ إِذْ رَوَىٰ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ نَيِّفٌ عَلَىٰ الثَّلَاثِينَ مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يُنِيفُ عَلَىٰ العِشْرِينَ وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ نَقْلُهُ وَاشْتُهِرَتْ رُوَاتُهُ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ المَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا، وَأَجْمَعَ عَلَىٰ إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الخَلَفِ، وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنَ المُبْتَدِعَةِ وَأَحَالُوهُ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَغَلَوْا فِي تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٣).

وَلَا عَادِيَّةٍ تَلْزَمُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَلَا حَاجَةَ تَدْعُو إِلَىٰ تَأْوِيلِهِ فَخَرَقَ مَنْ حَرَّفَهُ إِجْمَاعَ السَّلَفِ وَفَارَقَ مَذْهَبَ أَئِمَّةِ الخَلَفِ(١).

ومن الأدلة علىٰ إثبات الحوض:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١].

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١]، قَالَتْ: «**نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ**»(٢).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً(٣)، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ**»(٤).

وعَنْ عَبْدِ الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ**»(٥)، أي أنا أول من يسبق إلىٰ الحوض.

وعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الحَوْضِ؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**

---

(١) **انظر**: فتح الباري (١١/ ٤٦٧).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٦٥).
(٣) **أثرة**: أي يفضل عليكم غيركم في الأموال.
(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٠٦١).
(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٩).

وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ المُصْحِيَةِ[١]، آنِيَةُ الجَنَّةِ[٢] مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ[٣] فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ»[٤].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ[٥]، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»[٦].

قَالَ العُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: معناه: طوله كعرضه[٧] كما قال في حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ»[٨].

---

(١) **في الليلة المظلمة المصحية:** خص الليلة المظلمة المصحية؛ لأن النجوم ترىٰ فيها أكثر، وأراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة؛ فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم. [**انظر:** شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٠)].

(٢) **آنية الجنة:** ضبطه بعضهم برفع آنية، وبعضهم بنصبها، وهما صحيحان، فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف، أي هي آنية الجنة، ومن نصب فبإضمار أعني، أو نحوه. [**انظر:** شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٠)].

(٣) **يشخب:** أي يسيل. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٠)].

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٠٠).

(٥) **الورق:** أي الفضة. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٧٥)].

(٦) **صحيح:** رواه مسلم (٢٢٩٢).

(٧) **انظر:** شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٥).

(٨) **صحيح:** رواه مسلم (٢٣٠٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ**»(١)، كما يذود الساقي الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادتِ الشرب مع إبله(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّىٰ عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا**(٣) **دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٤).

فهؤلاء صنفان: **أحدهما**: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة، **والثاني**: مرتدون إلىٰ الكفر حقيقة ناكصون علىٰ أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين(٥).

وعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»، فيقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُمْ مِنِّي**»، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٠٢).
(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤).
(٣) **اختلجوا**: أي اقتطعوا. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤)].
(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).
(٥) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤-٦٥).

«سُحْقًا سُحْقًا(١) لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»(٢).

ظَاهِر هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ جَمِيعَ الأُمَّةِ يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنِ ارْتَدَّ وَصَارَ كَافِرًا(٣).

قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج علىٰ اختلاف فرقها، والروافض علىٰ تباين ضلالها، والمعتزلة علىٰ أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخِفُّون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع(٤).

مسألة [١]: أين يكون الحوض؟

لا يخطر ببالك أو يذهب وهمُك إلىٰ أن الحوض يكون علىٰ وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدَّلة التي تكون بدلًا

(١) **سحقا سحقا:** أي بُعدًا بُعدًا.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٣) **انظر:** شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٤).

(٤) **انظر:** التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة، للقرطبي «ت ٦٧١هـ»، صـ (٧١٠-٧١١).

من هذه الأرض، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط [١].

مسألة [٢]: هل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط أو بعده؟

الحوض يكون قبل الصراط [٢]، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ** -أي عَلَى الحَوض- **إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى، فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ** [٣]» [٤].

فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون

(١) **انظر**: السابق، صـ(٧٠٧).

(٢) **انظر**: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٠٤).

(٣) **همل النعم**: ما يترك مهملا لا يرعى حتى يضيع ويهلك، والمعنى: لا ينجو من النار منهم إلا القليل؛ وهذا يشعر بأنهم صنفان كفار وعصاة. [**انظر**: عمدة القاري (٢٣/ ١٤٢)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٨٧).

في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر علىٰ جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار[(١)].

وظاهر الأحاديث الواردة في الصراط تقتضي ذلك؛ لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون علىٰ أدبارهم، وأعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفارا فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يُكب علىٰ وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وقيل: إن الصراط طريق ومعبر إلىٰ الجنة، فهو إنما ينصب للمؤمنين، والعصاة، والفساق، والظلمة، تحفظهم عليه الكلاليب، فمنهم المخدوش المسلم، ومنهم من يأخذ الكلوب فيهوي في النار علىٰ وجهه، وإن كان المشار إليهم بالردة عصاة من المسلمين فيبعد حجبهم عن الحوض، لاسيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَعْرِفكُم غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ**»[(٢)].

ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجيا مسلَّمًا، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض، لذلك الحوض يكون قبل الصراط[(٣)].

وحكىٰ بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يكون بعد الصراط وهو غلط من قائله[(٤)].

---

(١) انظر: التذكرة، صـ(٧٠٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٩/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٤) انظر: التذكرة، صـ(٧٠٣).

مسألة [٣]: أيهما قَبْلُ: الحوض، أو الميزان؟

اختلف أهل العلم في الحوض والميزان أيهما قبل الآخر:

أحدهما: الميزان قبل الحوض.

القول الثاني: الحوض قبل الميزان، وهو الصحيح؛ لأن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، فيُقدم قبل الميزان[1].

(١) انظر: التذكرة، صـ (٧٠٣).

[الإيمان بالشفاعة]

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ.

الشــرح

قولــه: «والشـفاعة»: الشـفاعة في اللغـة: مـأخوذة مـن الشَّـفع؛ والشفع: ضم الشيء إلىٰ مثله[١]، وهو ما كان من العدد أزواجًا، تقول: كان وترًا فشفعته بالآخَر حتىٰ صار شفعًا؛ والشَّافعُ: الطالب لغيره[٢].

وشــرعا: هــي الانضــمام إلــىٰ آخــر؛ ناصــرا لــه وسـائلا عنـه، وأكثـر مـا يسـتعمل في انضـمام مـن هـو أعلـىٰ حرمـة ومرتبـة إلـىٰ مـن هو أدنىٰ[٣].

وَقيل: هي السُّؤالُ في التَّجاوُز عن الذُّنوب والجَرائِم[٤].

وقيل: هي سؤال الخير للغير[٥].

مسألة: الشفاعة في الدنيا قسمان:

أحدهما: شفاعة حسنة؛ هي انضمام إنسان إلىٰ غيره؛ ليعينه ويقويه

---

(١) **انظر**: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٥٧).

(٢) **انظر**: العين، مادة «شفع».

(٣) **انظر**: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٥٧-٤٥٨).

(٤) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٨٥).

(٥) **انظر**: لوامع الأنوار (٢/ ٢٠٤).

علىٰ فعل الخير.

الثاني: شفاعة سيئة؛ هي انضمام إنسان إلىٰ غيره؛ ليعينه ويقويه علىٰ فعل الشر[(١)].

قوله: «التي ادَّخرها»: أي اختبأها، والضمير يعود إلىٰ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»[(٢)].

معنىٰ الحديث: أن كلَّ نبي له دعوة مُتيَقَّنَةَ الإجابة وهو علىٰ يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم علىٰ طمع من إجابتها، وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب، وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة؛ لذلك أخَّر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته لأمته إلىٰ أهم أوقات حاجاتهم[(٣)]، وهو يوم القيامة.

قوله: «لهم»: أي لأمته؛ والمقصود بالأمة هنا: أمة الإجابة الذين أجابوا النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانقادوا لشرعه.

---

(١) **انظر**: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٥٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.

(٣) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٣/ ٧٥).

قولــه: «حــق»: أي ثابتـة لا ريـب فيهـا؛ والإيمـان بالشـفاعة مـن جملـة الإيمـان بـالأمور الغيبيـة كـالميزان والحـوض والصـراط، ونحوه من أمور يوم القيامة.

قولــه: «كمــا روي في الأخبــار»: أي عــن النبــي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وثبتــت الشــفاعة في نصــوص كثيــرة وأحاديــث عديــدة عــن النبــي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ والشـفاعة التـي تكـون يـوم القيامـة أنـواع، منهـا مـا هـو خــاص بالرســول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهــا مــا هــو عــام لجميــع الأنبيــاء والصالحين.

فأما الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي خمسة:

الأولىٰ: الشفاعة العظمىٰ «**المقام المحمود**»، وهـي شـفاعة النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الموقف لبدء الحساب.

لقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩].

قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هـو يقومـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم جَلَّ وَعَلَا من عظيم مـا هـم فيـه من شدّة ذلك اليوم [1].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي**

(١) **انظر**: تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٦).

الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟

يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له.

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ.

فَيَأْتُونَ، مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ.

فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ

البَـابِ الأَيْمَـنِ مِـنْ أَبْـوَابِ الجَنَّـةِ، وَهُـمْ شُـرَكَاءُ النَّـاسِ فِيمَـا سِـوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ».

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ -أَوْ: كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ-»(١).

الثانية: الشفاعة لأهل الجنة بأن يدخلوها، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له.

لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ»(٤).

قَالَ العُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ: الآخِرُونَ فِي الزَّمَانِ وَالوُجُودِ،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٦).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٨٥٥).

السَّابِقُونَ بِالفَضْلِ وَدُخُولِ الجَنَّةِ فَتَدْخُلُ هَذِهِ الأُمَّةُ الجَنَّةَ قَبْلَ سَائِرِ الأمم»(١).

الثالثة: شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب بأن يخفف عنه العذاب.

لحديثِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(٢).

والضحضاح: ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار(٣)؛ والدرك الأسفل: قعر جهنمَ وأقصى أسفلها(٤).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(٥).

الرابعة: الشفاعة لمن دخل الجنة بأن تُرفع درجته فيها.

---

(١) **انظر:** شرح صحيح مسلم (٦/ ١٤٢).
(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).
(٣) **انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٥).
(٤) **انظر:** شرح صحيح مسلم (٣/ ٨٥).
(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

لحديث أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لأَبِي سَلَمَةَ، فقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ**»(١).

الخامسة: شفاعته في قوم أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»(٢).

وأما الشفاعات العامة فاثنتان، هما: الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين فيمن دخلها أن يخرج منها، ومن استحق دخولها ألا يدخلها بغير حِساب.

لحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**يُحْبَسُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُهِمُّوا بِذَلِكَ**(٣)، **فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّىٰ يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ:**

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٩٢٠).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

(٣) **يُهمُّوا بذلك:** أي يقصدوا، ويعزموا، ويعتنوا بسؤال الشفاعة، وإزالة الكرب عنهم.

لَسْتُ هُنَاكُمْ[١]، قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَىٰ: عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَىٰ عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ: فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ

---

(١) **لست هناكم**: أي لست أهلا لذلك.

فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ - ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ: فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، - قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ - حَتَّىٰ مَا يَبْقَىٰ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ»، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَـٰذِهِ الآيَةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، قَالَ: «وَهَذَا المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١].

وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ»[٢].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦٦).

وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾[النساء:٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ...» الحديث[1].

مسألة [١]: لا تقبل هذه الشفاعات المتقدمة إلا بشرطين:

أحدهما: إذن الله في الشفاعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

﴿مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه:١٠٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣].

الثاني: رضا الله عن الشافع أن يشفع والمشفوع أن يشفع فيه؛ لقوله تعالىٰ عن الشافع: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم:٢٦].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدَّثر:٤٨].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم:٢٦].

وقوله عن المشفوع: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء:٢٨].

مسألة [٢]: الشفاعة من حيث الإثبات والنفي قسمان:

أحدهما: شفاعة مُثبَتة: هي التي تطلب من الله تعالىٰ؛ لأهل التوحيد، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ: نَفْسِهِ**»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٩).

الثاني: شفاعة منفية: هي ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة:٢٥٤][(١)].

مسألة [٣]: أقوال الناس في الشفاعة:

الناس في الشفاعة علىٰ ثلاثة أقوال:

فالمشركون والنصارىٰ والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر.

وأما أهل السنة والجماعة فيقرُّون بشفاعة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر وشفاعة غيره؛ لكن لا يشفع أحد حتىٰ يأذن الله له؛ كما في حديث الشفاعة المتقدم: أنهم يأتون آدم، ثم نوحا، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كلٌّ يقول: اذهبوا إلىٰ غيري، حتىٰ يأتوا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيشفع لهم[(٢)].

مسألة [٤]: أقسام الشفاعة من حيث القبول والرد ثلاثة أقسام:

أحدها: شفاعة متفق عليها بين المسلمين جميعا لم ينكرها أحدٌ،

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٤).

(٢) انظر: الصفدية (٢/ ٢٩٠).

وهي الشفاعة العظمىٰ.

الثاني: شفاعة اختلف فيها أهل السنة مع أهل البدع كالخوارج، والمعتزلة؛ وهي الشفاعة في أهل الكبائر في الخروج من النار.

الثالث: شفاعات مختلف فيها بين أهل السنة؛ وهي باقي أنواع الشفاعات؛ والاختلاف لأجل التسمية، هل تسمىٰ شفاعة أو لا.

[الإيمان بالميثاق]

وَالمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

الشــرح

قولــه: «والميثـاق»: الميثـاق في اللغـة: علـىٰ وزن مِفعـال مـن الوثاقة، والواو والثاء والقاف كلمة تدل علىٰ عقد وإحكام، وَوَثَّقْتُ الشيء: أي أَحْكَمْتُهُ.

والميثـاق: العهـد المحْكَـمُ[١] مـن المواثقـة والمعاهـدة، ومنـه المَوْثِقُ[٢].

اصطلاحا: ما وُثِّق به العهد من القبول والإلزام والحلف[٣].

قولـه: «الـذي أخـذه الله تعـالىٰ مـن آدم وذريتـه حـق»: أي ثابت ومتحقق، وهو من الأمور الغيبية المتعلقة بالقدر، فيجب الإيمان به.

ومن الأدلة علىٰ إثبات الميثاق:

عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ هَــذِهِ الآيَــةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «وثق».
(٢) انظر: العين، مادة «وثق».
(٣) انظر: التوقيف علىٰ مهمات التعريف، صـ(٣٢٠).

أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢]، فَقَالَ عُمَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ يَمُوتَ عَلَىٰ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»(١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَخَذَ اللهُ المِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا»، قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣١٠)، ومالك في الموطأ (٢)،وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١١١٢٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

﴿١٧٣﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣][1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَىٰ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ»[2].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»[3].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٥٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١١١٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠١).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وحسنه الألباني في المشكاة (١١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفَّىٰ به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوفِّ به فهو الكافر، فمراد الحديث أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيت إذ أخرجتك إلىٰ الدنيا إلا الشرك(١).

مسألة: اختلاف العلماء في حقيقة الميثاق:

اختلف أهل العلم في حقيقة الميثاق علىٰ قولين:

القول الأول: أن الله جَلَّ وَعَلَا استخرج ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من صلبه أمثال الذرِّ، وأشهدهم علىٰ أنفسهم بلسان المقال بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو ربهم، ثم أعادهم إلىٰ ظهر أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الأدلة:

استدلوا بظاهر الأدلة المتقدمة.

القول الثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق بني آدم مفطورين علىٰ أنه هو ربهم ومليكهم

الأدلة:

استدلوا بعدة أدلة منها(٢):

١ - أنه سبحانه احتج عليهم بذلك، وهو لا يحتج عليهم بما لا

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٠٣).

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة، لابن قيم الجوزية (٢/ ٩٤٩).

يعرفه أحد منهم ولا يذكره، بل بما يشركون في معرفته، والإقرار به.

٢- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠][(١)].

٣- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ المجَاشِعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**»[(٢)].

وأجيب عن الاستدلال بالآية بعدة وجوه منها:

١- أنه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولم يقل: «من آدم».

٢- أنه قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولم يقل: «من ظهره».

٣- أنه قال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ولم يقل: «ذريته».

٤- أنه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهذا يقتضي إقرارهم بربوبيته إقرارا تقوم عليهم به الحجة، وهذا إنما

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥).

هو الإقرار الذي احتج به عليهم علىٰ ألسنة رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم:١٠]، يحتج عليهم بما فطروا عليه من الإقرار بربهم وفاطرهم، ويدعوهم بهذا الإقرار إلىٰ عبادته وحده، وألا يشركوا به شيئا.

وأجيب عن الأحاديث المتقدمة بأنها لا تدل علىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الأرواح في مكان واحد ناطقة بتوحيده، كما أنها لا تدل علىٰ سبق الأرواح الأجساد سبقا مستقرا ثابتا.

والحق أنه لا تنافي بين القولين، فيقال: إن الله استخرج بني آدم من ظهر أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفطرهم علىٰ ربوبيته، وأرسل إليهم الرسل بعد ذلك فمن آمن فقد وفىٰ، ومن جحد فقد كفر.

[الإيمان بالقضاء والقدر]

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً؛ فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ العَدَدِ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَفْعَالَهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ.

وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

وَالأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ .

وَالسَّعِيدُ: مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَالشَّقِيُّ: مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَأَصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ؛ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فَالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ.

فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ

تَعَالَىٰ، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ؛ لِأَنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَوْجُودٌ وَعِلْمٌ فِي الخَلْقِ مَفْقُودٌ؛ فَإِنْكَارُ العِلْمِ المَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ العِلْمِ المَفْقُودِ كُفْرٌ.

وَلَا يَثْبُتُ الإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ العِلْمِ المَوْجُودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ العِلْمِ المَفْقُودِ.

الشرح

القضاء في اللغة: مصدر قضىٰ يقضي قضاءً، والقاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل علىٰ إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فُصِّلَت:١٢]، أي أحكم خلقهن[(١)].

والقضاء: الحكم[(٢)]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢]، أي اصنع واحكم، ولذلك سمي القاضي قاضيا؛ لأنه يحكم الأحكام وينفذها؛ وسميت المنية قضاء؛ لأنه أمر ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق[(٣)].

فالقضاء في اللغة علىٰ وجوه، مرجعها إلىٰ انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أُحكم عمله، أو أُتم، أو خُتم، أو أُدي، أو أُوجب، أو أُعلم، أو

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «قضىٰ».

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «قضىٰ».

(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة «قضىٰ».

أُنفذ، أو أُمضي، فقد قُضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث(١).

ويطلق القضاء في القرآن، ويراد به عدة معان، منها:

١- **الأمر**، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، أي: أمر بذلك.

٢- **الوحي، والإعلام**، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾[الإسراء:٤]، أي: أعلمناهم، وأوحينا إليهم وحيا جزما.

٣- **الخلق**، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:١٢].

٤- **الفصل**، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾[الشورىٰ:١٤]، أي: لفُصِل.

٥- **الإتمام**، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص:٢٨].

٦- **الانتهاء**، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١]، أي: افرغوا من أمركم(٢).

واصطلاحا: «هو عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٨).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٦٧٤-٦٧٥).

الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد»[(١)].

القدر لغة: مصدر قَدِرَ يقْدَرُ قدَرًا، وَقَدْ تُسَكَّن داله[(٢)]؛ والقاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكُنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُهُ كذا، أي مبلغه، وكذلك القدر، وَقَدَرْتُ الشيء أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ من التقدير، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ[(٣)].

واصطلاحا: «هو أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية»[(٤)].

وقيل: «خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدًا بعد واحد، مطابقًا للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال»[(٥)].

وقيل: «هو ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن

---

(١) انظر: التعريفات، صـ(١٧٧).
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٢).
(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة «قدر».
(٤) انظر: فتح الباري (١/ ١١٨).
(٥) انظر: التعريفات، صـ(١٧٤).

إلىٰ الأبد، وأنه عَزَّوَجَلَّ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالىٰ، وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها»(١).

وقيل: «هو قضاء الله تعالىٰ الأشياء علىٰ مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا»(٢).

ويطلق القدر في القرآن، ويراد به عدة معان، منها:

١ - التضييق، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق:٧]، أي: ضُيّق عليه.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، أي: لن نضيّق عليه.

٢ - المعرفة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١]، أي: ما عرفوا كنهه.

٣ - الحكم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ:١١]، أي: أحكمه.

٤ - القضاء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة:٦٠]، أي: قضينا، وحكمنا.

---

(١) انظر: لوامع الأنوار (١/ ٣٤٨).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٦٢).

٥- تحديد المقدار، أو الزمان، أو المكان، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾[سبأ:١٨][1].

منزلة القضاء والقدر من الدين:

القضاء والقدر ركن من أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ولا يصح إيمان عبد حتىٰ يؤمن به، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾[القمر:٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾[الأحزاب:٣٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه:٤٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩﴾[عبس:١٩].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَأَلَهُ جِبرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الإِيمَانِ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»[3].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا**

---

(١) **انظر**: المفردات في غريب القرآن، صـ(٦٥٩-٦٦٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٤)، وأحمد (٢٧٤٩٠)، وصححه الألباني.

يُـؤْمِنُ عَبْـدٌ حَتَّـىٰ يُـؤْمِنَ بِـأَرْبَعٍ: يَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُـولُ اللهِ بَعَثَنِـي بِـالحَقِّ، وَيُـؤْمِنُ بِـالمَوْتِ، وَبِالبَعْـثِ بَعْـدَ المَـوْتِ، وَيُـؤْمِنُ بِالقَدَرِ»[١].

وعــنْ عَبْــدِ اللهِ بْــنِ عُمَــرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَــالَ: قَــالَ رَسُــولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُـلُّ شَـيْءٍ بِقَـدَرٍ، حَتَّـىٰ العَجْـزِ وَالكَـيْسِ، أَوِ: الكَـيْسِ وَالعَجْزِ»[٢].

وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْـأَلِ المَـرْأَةُ طَـلَاقَ أُخْتِهَـا؛ لِتَسْـتَفْرِغَ صَـحْفَتَهَا، وَلْتَـنْكِحْ، فَـإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»[٣].

وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُـؤْمِنُ القَـوِيُّ، خَيْـرٌ وَأَحَـبُّ إِلَـىٰ اللهِ مِـنَ المُـؤْمِنِ الضَّـعِيفِ، وَفِـي كُـلٍّ خَيْـرٌ احْـرِصْ عَلَـىٰ مَـا يَنْفَعُـكَ، وَاسْـتَعِنْ بِـاللهِ وَلَا تَعْجَـزْ، وَإِنْ أَصَـابَكَ شَـيْءٌ، فَلَا تَقُـلْ: لَـوْ أَنِّـي فَعَلْـتُ كَـانَ كَـذَا وَكَـذَا، وَلَكِـنْ قُـلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٤].

قـولـه: «وقد علم الله تعالىٰ فيما لم يزل عـدد مـن يـدخل الجنة،

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٥)، وأحمد (١١١٢)، وصححه الألباني.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٥).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠٠).

وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه»: يشير المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [البقرة:٢٨٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٠].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟**» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ للذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَىٰ: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، ثُمَّ قَالَ للذِي فِي شِمَالِهِ: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَىٰ آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا؛ فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «**فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**»[1].

قوله: «وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه»: أي علم كذلك في الأزل أفعالهم التي سيفعلونها؛ فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا فِي

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤١)، وأحمد (٦٥٦٣)، وصححه الألباني.

جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟

فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥-١٠][1].

قوله: «وكل ميسَّر لما خلق له»: أي أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ييسرون لعمل أهل النار، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥-١٠].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧)، واللفظ له.

قولـه: «والأعمال بالخواتيم»: يشير إلىٰ حديث عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

قولـه: «والسعيد من سعد بقضاء الله تعالىٰ، والشقي من شقي بقضاء الله تعالىٰ»: أي السعيد هو الذي قضىٰ الله عليه أن يكون سعيدا، والشقي من شقي بعمله الذي قدره الله عليه، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّقِيُّ مِنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مِنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٨٨)، وابن بطة في الإبانة (٤/ ٣١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٦٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٥٣٠)، والأوسط (٢٦٣١) موقوفا علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني ظلال الجنة (١/ ٨٣).

قولـه: «وأصل القدر سر الله تعالىٰ في خلقه»: أي أن القدر لا يطلع عليه أحد، فهو سر أخفاه الله عن جميع خلقه؛ لذا يجب علىٰ العبد أن يؤمن به، وألا يبحث عن أسراره.

قولـه: «لم يطلع علىٰ ذلك مَلَك مقرَّب، ولا نبي مرسَل»: أي لم يطلع علىٰ سر القدر أحد وإن كان قريبا من ربه جَلَّجَلَالُهُ؛ لأن الله استأثر بعلمه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

وهذا الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[الأنعام:٥٠].

ويقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[الأعراف:١٨٨].

وهذا نوح يقول: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [هود:٣١].

قولـه: «والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان»: أي كثرة السؤال والتفكير في القدر والبحث في مسائله يؤدي إلىٰ خذلان العبد؛ لأن الله حجب ذلك عن عباده.

وخِذْلانُ الله للعبد: ألا يعصمه من السوء(١).

---

(١) انظر: العين، مادة «خذل».

قولـه: «وسُلَّم الحرمان»: أي يوصل إلىٰ حرمان العبد من الطاعة؛ لأنه ينشغل بما نُهي عنه.

قولـه: «ودرجة الطغيان»: أي من درجات الطغيان، والطغيان هو مجاوزة الحد[١]؛ فالذي يتعمق في القدر يتعدىٰ حدود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن التعمق في القدر، فعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»[٢].

قولـه: «فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة»: أي احذر من التعمق والنظر والتفكير والوسوسة في القدر.

والوسوسة: هي حديث النّفس[٣].

قولـه: «فإن الله تعالىٰ طوىٰ علم القدر عن أنامه»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخفىٰ علم القدر عن خلقه.

قولـه: «ونهاهم عن مرامه»: أي نهىٰ الله خليقته عن البحث في القدر، فلا يجوز ذلك؛ لحديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، وَهُمْ

---

(١) **انظر**: لسان العرب، مادة «طغىٰ».

(٢) **صحيح**: رواه عبد الرزاق في الأمالي (٥١)، والطبراني في الكبير (١٤٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، والبيهقي في القضاء والقدر (٤٤٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤).

(٣) **انظر**: العين، مادة «وسوس».

يَخْتَصِمُونَ فِي القَدَرِ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الغَضَبِ، فَقَالَ: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ: لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ القُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ**»(١).

وهذا الكلام تأكيد لقوله: «**وأصل القدر سر الله تعالىٰ في خلقه، لم يطلع علىٰ ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

قوله: «كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ۝٢٣﴾»: أي هو الحاكم الذي لا معقِّب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد؛ لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ أي: وهو سائل خلقه عما يعملون(٢).

قوله: «فَمَنْ سأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟»: أي قال: لمَا قدَّر الله هذا، أو: لما أوجد الله هذا.

قوله: «فقد رد حكم الكتاب»: لأن مبنىٰ الإيمان علىٰ التسليم وترك البحث عما أخفاه الله علينا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[الأنبياء:٢٣].

قوله: «ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين»: لأنه لم يسلِّم لنصوصه، وكان الواجب عليه التسليم والقبول.

قوله: «فهذا»: أي ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده، والعمل به

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٨٥)، وقال الألباني: «حسن صحيح».
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٧).

مما جاء في القرآن والسنة.

قوله: «جملة ما يحتاج إليه»: أي لا بد منه.

قوله: «من هو منوَّر قلبُه من أولياء الله تعالىٰ»: أي من في قلبه نور؛ لأجل تسليمه وإيمانه، ولا يكون القلب منوَّرا إلا بهذا.

قوله: «وهي درجة الراسخين في العلم»: أي في العلم الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحكام، والاعتقادات، والأخبار.

والراسخون في العلم: «**هم الذين قد رَسخوا في العلم بأحكام الله التي جاءت بها أنبياؤه، وأتقنوا ذلك، وعرفوا حقيقته**»[١].

قوله: «لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود»: أي علم الشريعة سواء كان عقيدة أو أحكاما[٢].

قوله: «وعلم في الخلق مفقود»: أي علم الغيب، وعلم القدر الذي استأثر الله جَلَّ جَلَالُهُ به، وأخفاه عن خلقه، ونهاهم عن البحث فيه.

قوله: «فإنكار العلم الموجود كفر»: أي من أنكر شيئا مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان من الكافرين؛ لأن الله جَلَّ جَلَالُهُ إنما أنزله للتصديق، والعمل.

قوله: «وادعاء العلم المفقود كفر»: أي من ادعىٰ علم الغيب

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٩٣).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٤٣).

كان من الكافرين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

قال تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**»، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤] الآيَةَ[١].

قوله: «ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود»: أي لا يثبت إيمان أحد إلا بقبول ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك التعرض لعلم الغيب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس:٢٠].

مسألة [١]: الفرق بين القضاء، والقدر:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

اختلف العلماء في الفرق بين القضاء، والقدر علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: القدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق؛ فالقضاء من الله تعالىٰ أخص من القدر، وهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

قال الخطابي: القدر اسم لما صدر مقدرًا عن فعل القادر كما الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر، يقال: قدَّرت الشيء وقدَرت، خفيفة وثقيلة بمعنىٰ واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق.

وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن أراد الفصل بينهما فقد أراد هدم البناء ونقضه[1].

وقال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**القدر هو وجود الأفعال علىٰ مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله، ويجوز أن يكون القدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه والمقدر الموجد له علىٰ ذلك الوجه، وقيل: أصل القدر هو وجود الفعل علىٰ مقدار ما أراده الفاعل وحقيقة ذلك في أفعال الله تعالىٰ وجودها علىٰ مقدار المصلحة،**

---

(١) انظر: معالم السنن، للخطابي (٤/ ٣٢٢-٣٢٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٨).

والقضاء هو فصل الأمر على التمام»(١).

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل»(٢).

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قضى الشيء قضاء: صنعه وقدره؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[فُصِّلَت:١٢]؛ أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن وأحكم خلقهن، والقضاء بمعنى العمل، ويكون بمعنى الصنع والتقدير»(٣).

القول الثاني: القضاءُ هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدرُ هو وقوعه كما جاء في الأزل(٤).

قال الجُرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها»(٥).

قال ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال العلماء: القضاء هو الحكم

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، صـ(١٩١).
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٦٧٥-٦٧٦).
(٣) انظر: لسان العرب (١٥/ ١٨٦).
(٤) انظر: القضاء، والقدر، للأشقر، صـ(٢٤).
(٥) انظر: التعريفات، صـ(١٧٤).

الكُلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله[١].

وقال: «**القضاء الحكم بالكليات علىٰ سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات علىٰ سبيل التفصيل**»[٢].

القول الثالث: لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنىٰ الآخر[٣].

والراجح والله أعلم أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ إذا اجتمعا في نص واحد كان لكل واحد منهما معنىٰ مختلف عن الآخر، وإذا ورد القضاء في نص، والقدر في نص آخر شمل كل واحد منهما الآخر.

مسألة [٢]: مراتب الإيمان بالقضاء، والقدر:

لا يتحقق إيمان عبد بالقضاء والقدر حتىٰ يؤمن بمراتبه الأربعة، وهي:

المرتبة الأولىٰ: العلم: معناها: أن علم الله تعالىٰ محيط بكل شيء، فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، كما قال تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[الحشر:٢٢].

---

(١) **انظر**: فتح الباري (١١/ ٤٧٧).

(٢) **انظر**: فتح الباري (١١/ ١٤٩).

(٣) **انظر**: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢١٤).

وقال تعالىٰ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق:١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَرَارِيِّ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّيَ صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: طُوبَىٰ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ لا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا، وَلِهَذِهِ أَهْلًا»(٢).

المرتبة الثانية: الكتابة: معناها: أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس:١٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة:٥١].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الماءِ»(٢).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ مَرَّتَيْنِ»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

المرتبة الثالثة: المشيئة: معناها: أن ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس:٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[الأنعام:٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾[السجدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الكهف:٢٤].

وعن أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا شَاءَ**»(١).

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ: رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ،**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٤٣٢).

وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الملَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ مَا أُمِرَ، وَلَا يَنْقُصُ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ»(٣).

المرتبة الرابعة: الخلق: معناها: أن الله خالق كل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[الرعد:١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات:٩٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزُّمَر:٦٢].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٤٥).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٤).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٢].

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ»(٢).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(٤).

مسألة [٣]: تقادير الكتابة:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٤).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١).

لا يتحقق الإيمان بمرتبة الكتابة إلا بالإيمان بما يدخل تحتها من تقادير، وهي:

التقدير الأول: التقدير الأزلي، قبل خلق السماوات والأرض.

لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة:٥١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[الحديد:٢٢].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[(٢)].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ:**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣١٩١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

التقدير الثاني: تقدير يوم الميثاق.

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ آدَمَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَىٰ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ، فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ»(٢).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا،

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وحسنه الألباني في المشكاة (١١٨).

وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»(١).

التقدير الثالث: التقدير العمري عند تخليق النطفة في الرحم.

لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾ [فاطر: ١١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»[١].

التقدير الرابع: التقدير الحولي في ليلة القدر، يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلىٰ مثله.

لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان:٣-٤].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليلة القدر هي ليلة الحكم[٢].

وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُؤذن للحجاج في ليلة القدر فيُكتبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يُزاد فيهم، ولا ينقص منهم»[٣].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله تعالىٰ كل أجل وعمل ورزق إلىٰ مثلها[٤].

الخامس: التقدير اليومي، وهو سوق المقادير إلىٰ المواقيت التي

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، واللفظ له.

(٢) **انظر:** تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

(٣) **انظر:** السابق (٢٤/ ٥٣٢).

(٤) **انظر:** السابق (٢٤/ ٥٣٢-٥٣٣).

قدرت لها فيما سبق.

لقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن:٢٩].

قال ابن عباس رَضِّيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «**إن مما خلق الله تعالىٰ لوحا محفوظا من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن:٢٩]**»[1].

وقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في تفسير الآية: «**يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا، وَيَرْفَعُ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ**»[2].

مسألة [٤]: المخالفون في القدر فرقتان:

الفرقة الأولىٰ: القدرية، وهم فرقتان:

الأولىٰ: تنكر علم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالأشياء قبل وجودها، وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلا، ولم يتقدم علمه بها، وكانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتىٰ فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه؛ ولهذا قالوا: الأمر أُنُف، أي مستأنف، أي مبتدأ.

قال العلماء: المنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفرهم عليه

---

(١) **حسن موقوف:** الحاكم (٢/ ٥١٩،٤٧٤)، و ابن جرير (٢٧/ ١٣٥).

(٢) **صحيح:** رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٦/ ١٤٤).

الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم الذين قال فيهم الشافعي: إن سلم القدرية العلم خُصِموا؛ يعني يقال لهم: أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم؟ فإن منعوا وافقوا أهل السنة، وإن أجازوا لزمهم نسبة الجهل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«قد انقرض هذا المذهب فلا نعرف أحدا يُنسب إليه من المتأخرين»**[(٢)].

وقال الإمام أحمد في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[الأحزاب:٧]: **«هذه حجة علىٰ القدرية»**.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أراد القدرية المنكرة للعلم بالأشياء قبل كونها، وهم غلاتهم الذين كفرهم السلف»**[(٣)].

الثانية: المقرون بالعلم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«القدرية اليوم مطبقون علىٰ أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم علىٰ جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول، والمتأخرون منهم أنكروا**

---

(١) انظر: لوامع الأنوار (١/ ٣٠٠-٣٠١).
(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١١٩).
(٣) انظر: بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية (٣/ ١١٤).

تعلق الإرادة بأفعال العباد؛ فرارا من تعلق القديم بالمحدَث»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك؛ وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعُبَّاد كتب عنهم العلم»[(٢)].

والقدرية ثلاثة أصناف:

أحدها: قدرية مشركية: هم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٤٨]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾[النحل:٣٥]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾[الزُّخرُف:٢٠]؛ فهؤلاء يؤول أمرهم إلىٰ تعطيل الشرائع والأمر والنهي مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق.

الثاني: قدرية مجوسية: هم الذين يجعلون لله شركاء في خلقه كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالىٰ، وربما قالوا: ولا يعلمها أيضا، ويقولون: إن جميع أفعال الإنسان واقعة بغير قدرته ولا صُنعه، فيجحدون مشيئته النافذة وقدرته الشاملة؛ ويزعمون أن هذا هو العدل ويضمون إلىٰ ذلك سلب

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١١٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٨٥).

الصفات، ويسمونه التوحيد، كما يسمي الأولون الإلحاد توحيدا، فيلحد كل منهما في أسماء الله وصفاته.

الثالث: قدرية إبليسية: هم الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران، لكن هذا عندهم تناقض(١).

الفرقة الثانية: الجبرية الذين يقولون: إنا مجبرون على أفعالنا، فيسندون الأفعال إلى الله تعالى، **وهم فرقتان:**

الأولى: جبرية متوسطة: هم الذين يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فيسندون الفعل إلى الله، ويثبتون للعبد كسبًا.

الثانية: جبرية خالصة: هم الذين لا يثبتون للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا كالجهمية، وقالوا: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعلم الشيء قبل وقوعه، وعلمُه تعالى حادث لا في محل، ولا يوصف بما يوصف به غيره، كالعلم والقدرة والإرادة(٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٥٦-٢٦١).

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني «ت ٥٨٤هـ» (١/ ٨٥)، ولوامع الأنوار (١/ ٩٠).

[الإيمان باللوح والقلم]

وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ، فَلَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ؛ جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَمَا أَخْطَأَ العَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.

الشرح

قوله: «ونؤمن باللوح»: أي اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

وهو من المسائل الغيبية التي يجب أن نؤمن بها، ولا نعلم كيفيته.

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اللوح في قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج:٢١-٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة:٧٦-٧٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾ [الزُّخرُف:٤]، وغيرها من الآيات.

قوله: «والقلم»: أي الذي كُتب به المقادير، وقد ذكره الله في قوله تعالىٰ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم:١][1].

قال بعض أهل العلم: «**المراد هاهنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة**»[2].

وهو من المسائل الغيبية التي يجب أن نؤمن بها، ولا نعلم كيفيته.

قال العلماء رَحِمَهُمُٱللَّهُ: «كتاب الله تعالىٰ ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلىٰ الله تعالىٰ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء»[3].

قوله: «وبجميع ما فيه قد رُقِم»: أي ونؤمن بجميع ما خُطَّ في اللوح المحفوظ.

وهذه المسألة -أعني مسألة اللوح والقلم- تتعلق بمرتبة الكتابة حيث إن الكتابة كانت بالقلم في اللوح المحفوظ.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٣٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٧).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٩٨).

مسألة: أيهما خلق قبلُ: العرش، أم القلم؟

اختلف السلف في ذلك علىٰ قولين[١]:

القول الأول: العرش خُلق قبلُ.

لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»، قَالَ: «**وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الماءِ**»[٢].

فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم؛ لحديث عُبادةَ الآتي[٣].

القول الثاني: القلم خُلق قبل.

لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٤].

ولا يخلو قوله: «**إن أول ما خلق الله القلم**» إلىٰ آخره إما أن يكون جملة، أو جملتين.

---

(١) **انظر**: الصفدية (٢/ ٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) **انظر**: التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، صـ(٢٠٧).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

فإن كان جملة، وهو الصحيح كان معناه أنه عند أول خلقه قال له: اكتب كما في لفظ «**أولَ ما خلق الله القلمَ قال له: اكتب**» بنصب أول والقلم.

فإن كانا جملتين وهو مروي برفع أول والقلم فيتعين حمله علىٰ أنه أول المخلوقات من هذا العالم؛ ليتفق الحديثان؛ إذ حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صريح في أن العرش سابق علىٰ التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: «**لما خلق الله القلم قال له: اكتب**»[(١)].

والصحيح القول الأول، وهو قول جمهور أهل العلم، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)]، وابن القيم[(٣)].

قوله: «فلو اجتمع الخلق كلهم علىٰ شيء كتبه الله تعالىٰ فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم علىٰ شيء لم يكتبه الله تعالىٰ فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جفَّ القلم بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة»: أي لا يستطيع أحد أن يغير قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي كتبه في اللوح المحفوظ بالزيادة أو النقصان؛ لأن القلم كتب كل شيء، وانقطعت كتابته، فلا يزاد في اللوح المحفوظ شيء، ولا ينقص منه شيء.

---

(١) **انظر**: التبيان في أقسام القرآن، صـ(٢٠٧-٢٠٨).
(٢) **انظر**: الصفدية (٢/ ٨٠).
(٣) **انظر**: التبيان في أقسام القرآن، صـ(٢٠٧).

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

عن سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيمَا العَمَلُ اليَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلَامُ(١)، وَجَرَتْ بِهِ المقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ المقَادِيرُ**» قَالَ: فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»(٢).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(٣).

وفي رواية: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ، فَقَالَ:

---

(١) **جَفَّتْ بِهِ الأَقْلَامُ:** أي مضت به المقادير، وسبق علم الله تعالىٰ به، وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان. [**انظر:** شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٩٧-١٩٨)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٢٦٤٨).

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

«احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»(١).

وعَنِ ابن عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ أَمْرٌ مُبْتَدَعٌ، أَوْ مُبْتَدَأٌ، أَوْ فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: **«فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ يَا ابْنَ الخَطَّابِ وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ؛ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ»**(٢).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ، أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَمْ شَيْءٌ نَسْتَأْنِفُهُ؟ قَالَ: «**بَلْ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**»، قَالُوا: فَكَيْفَ بِالعَمَلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**كُلُّ امْرِئٍ مُهَيَّأٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢٨٠٣)، وصححه أحمد شاكر، والألباني في ظلال الجنة (٣١٨).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٣٥)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٥٤٨١)، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٧٤٨٧)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

قولـه: «وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه»: أي كل بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يصيب العبد إلا ما قدر له، ولا يخطئه إلا ما لم يُقدِّره الله عليه.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»**(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«المؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ المؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ(٢)»**(٣).

هذا الحديث محمول علىٰ التأسف علىٰ حظوظ الدنيا ونحوها (٤).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٤)، وأحمد (٢٧٤٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) **لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**: أي يلقي في القلب معارضة القدر، ويوسوس به الشيطان. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢١٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٨/ ١٥٦).

وَعَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا؛ لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ، وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِصٌ، وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ، وَأُصُولِ المَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرُبُوبِيَّتِه ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]، وَقَال تَعَالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨] .

فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعَالَىٰ فِي القَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ التَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا.

الشـرح

قوله: «وعلىٰ العبد أن يعلم أن الله تعالىٰ قد سبق علمه في كل كائن من خلقه»: أي علمُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحاط بكل شيء، وهذا فيه تقرير المرتبة الأولىٰ من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة العلم.

قوله: «فقدر ذلك»: أي قدر الله ما علمه.

قوله: «تقديرًا محكمًا»: أي متقنا؛ والإحكام: الإتقان[1]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١].

---

(١) انظر: العين، مادة «قتن».

قوله: «مبرمًا»: أي محكما لا ناقض له؛ والإبرام: إحكام الشّيء، وأَبرَمْتُ الأَمْرَ: أي أَحْكَمته(١).

قوله: «ليس فيه ناقض»: أي لا يستطيع أحد أن ينقض قدر الله؛ لأنه نافذ لا يرد.

قوله: «ولا معقب»: أي لا مؤخر لقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون:١١].

قوله: «ولا مزيل»: أي لا رافع لقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «ولا مغيِّر»: أي لا مبدل لقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «ولا ناقص ولا زائد»: أي لا ينقص شيء، ولا يزيد شيء عما كتبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في اللوح المحفوظ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [فاطر:١١].

قوله: «من خلقه في سماواته وأرضه»: أي ليس في حكمه ناقض، ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا ناقص، ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه.

قوله: «وذلك»: أي الإيمان بالقدر، والاعتقاد بأن الله علم كل شيء، وأنه أحاط بكل شيء.

---

(١) انظر: العين، مادة «برم».

قولـه: «من عَقْدِ الإيمان، وأصول المعرفة»: أي من أصول الإيمان، والمعرفة بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما تقدم.

قولـه: «والاعتراف بتوحيد الله تعالىٰ وربوبيته»: أي الإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية، فمن آمن بالله وربوبيته حقق الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن القدر من أفعال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قولـه: «كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾»: أي وخلق كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلىٰ المماليك طاعة مالكهم، وخدمة سيدهم دون غيره[1].

قولـه: «﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾»: أي فسوّىٰ كل ما خلق، وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.

قولـه: «وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾»: أي وكان أمر الله قضاء مقضيًّا[2].

قولـه: «فويل»: هذه الكلمة تحتمل الدعاء، والخبر.

قولـه: «لمن صار لله تعالىٰ في القدر خصيمًا»: أي خاصم الله تعالىٰ في القدر، وشكك فيه.

قولـه: «وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا»: أي أحضر للنظر والتأمل في القدر قلبا مريضا، فهذا بلا شك يوصله إلىٰ المخاصمة

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٣٦).
(٢) انظر: السابق (٢٠/ ٢٧٦).

والتشكيك في قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «لقد التمس بوَهمه»: أي بفهمه، وإدراكه الفاسد.

قوله: «في فحص الغيب سرًّا كتيمًا»: أي مكتوما لا يصل إليه أحد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

قوله: «وعاد بما قال فيه أفاكًا أثيمًا»: أي عاد بما قال في القدر كذّابا آثمًا.

[الإيمان بالعرش، والكرسي]

والعَرشُ والكُرسيُّ حَقٌّ.

وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَن العَرشِ ومَا دُونَه.

مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وفَوْقَهُ.

وقَدْ أعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ.

.... الشـــرح ....

قـولـه: «والعرشُ»: أي ومما نؤمن به العرش، وهو من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها.

والعرش في اللغة: العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل علىٰ ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك[1]، والعرش سرير الملك[2]، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[يوسف:١٠٠].

ويدلك علىٰ ذلك سرير ملكة سبأ سمَّاه الله جَلَّ جَلَالُهُ عرشا، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[النمل:٢٣].

والعرش في كلام العرب أيضا: سقف البيت، وجمعه عروش؛ ومنه

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «عرش».

(٢) انظر: العين، مادة «عرش».

قــــــــول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] أي علىٰ سقوفها(١).

والعرش في الشرع: هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة استوىٰ الله عليه، وهو كالقُبة علىٰ العالم، وهو سقف المخلوقات(٢).

قال البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ: أهل التفسير يقولون: إن العرش هو السرير المشهور، وهو جسم مجسَّم، خلقه الله تعالىٰ، وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة(٣).

وقال الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ: الذي جاءت به الآيات والأحاديث والآثار، وما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها في عرش الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه سرير، وأنه مخلوق، وأن الله سبحانه قد أمر ملائكته بحمله، وتعبَّدَهم بتعظيمه، وهو أعلىٰ المخلوقات، وأعظمها، وسقفها، وهو كالقبة علىٰ العالم(٤).

وقد كان سلف الأمة وأئمتها دائمًا يصرحون بذلك في كتبهم عند الحديث عن هذه المسألة، وقد وافقهم في هذا القول في عرش الله الكُلَّابية، والكَرَّامية، ومتقدمو الأشاعرة، وبعض الجهمية،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «عرش».
(٢) انظر: البداية والنهاية (١/ ٢٠).
(٣) انظر: الأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٢٧٢)، والاعتقاد (١/ ١١٢).
(٤) انظر: العرش، للذهبي (١/ ٢٧٨-٢٨٢).

والمعتزلة[١].

مسألة [١]: الأدلة من القرآن علىٰ إثبات العرش:

قد ذكر عرش الرحمن في واحد وعشرين موضعا من القرآن الكريم، ومجيء ذكر العرش بهذا العدد يدل علىٰ ما له من مكانة ومنزلة عالية عند الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢].

ومن هذه المواضع:

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[الأعراف:٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[التوبة:١٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾[الزُّمَر:٧٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾[غافر:١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[الحاقة:١٧].

---

(١) انظر: العرش، للذهبي (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر: السابق (١/ ٣٢٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج:١٥].

مسألة [٢]: الأدلة من السنة علىٰ إثبات العرش:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»(١).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَىٰ الفَيْضُ -أَوِ القَبْضُ- يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٤١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[(١)].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**»[(٢)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَىٰ**»[(٣)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»[(٤)].

مسألة [٣]: صفات العرش:

وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العرش في الآيات المتقدمة في المسألة الأولىٰ بأنه عظيم، وكريم، ومجيد، فهو عظيم؛ لكونه أكبر المخلوقات وأعظمها وأعلاها، وذلك لما خص الله به هذا العرش من الاستواء عليه، ومجيد وكريم؛ لما له من منزلة تميز بها عما سواه من

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٣)، واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم «فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ».

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٥٥).

المخلوقات، فهو إنما اتصف بهذه الصفات؛ لجلالته، وعظيم قدره(١).

مسألة [٤]: خصائص العرش:

خص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عرشه الكريم بخصائص عديدة ميَّزته على كثير من المخلوقات الأخرى، وذلك لما للعرش من المكانة الرفيعة عند البارئ عَزَّوَجَلَّ، ومن هذه الخصائص(٢):

١- الاستواء عليه:

يعتبر استواء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العرش أعظم الخصائص التي اختص بها العرش، بل إن ما سواها من الخصائص الأخرى التي تميز بها العرش إنما جعلت له؛ لأجل استواء الله عَزَّوَجَلَّ عليه، وقد جاء ذكر الاستواء في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ومجيء ذكر الاستواء في القرآن بهذا العدد يؤكد عِظم هذا الأمر وأهميته، وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار التي تثبت الاستواء وتؤكده.

٢- أنه أعلى المخلوقات أرفعها وسقفها.

إن مما اختص الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به العرش مع استوائه عليه كونه أعلى المخلوقات وأرفعها وأقربها إلى الله تعالى؛ فقد ثبت أن العرش أعلى من السماوات والأرض والجنة، وأنه كالسقف عليها، والقول بأن العرش أعلى المخلوقات هو قول السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر: العرش، للذهبي (١/ ٣٢٣).

(٢) انظر: السابق (١/ ٣٢٣-٣٢٩).

٣- أنه أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها.

إن عرش الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعتبر أكبر مخلوقات الله وأوسعها وأعظمها علىٰ الإطلاق، فقد خص الله عَزَّوَجَلَّ العرش بهذه الميزة العظيمة وشرفه بها مع غيرها من الميزات لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ عَزَّوَجَلَّ عليه.

وقد دل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، أي: هو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالىٰ(١).

كما يمتاز العرش مع كبر حجمه وسعته، بكونه أثقل المخلوقات، كمَا فِي قَولِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجُوَيرِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»(٢)(٣)، فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان(٤).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٦).
(٣) انظر: العرش (١/ ٣٢٩).
(٤) انظر: الرسالة العرشية، صـ (١٠).

مسألة [٥]: أقوال المخالفين في تعريف العرش[١]:

القول الأول: العرش هو المُلْك.

القائلون به: طائفة من الجهمية، والمعتزلة، والماتريدية، وعامة متأخري الأشاعرة.

أجيب بأنه تأويل باطلٌ، وصرف للفظ عن معناه إلىٰ معنىً آخر لا يحتمله، فليس في سياق الآيات ما يثبت أن العرش هو المُلك.

ولو قلنا: العرش كناية عن المُلك والسلطان، فماذا نصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود:٧]، هل نقول: إن المُلك كان علىٰ الماء؟!

وكذلك ماذا نصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، أنقول: ويحمل مُلكه يومئذ ثمانية؟!

وقوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ**»[٢]، أنقول: آخذ بقائمة من قوائم المُلك؟!

وكذا قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»[٣]، أيقول: اهتز ملكه وسلطانه؟

---

(١) انظر: العرش (١/ ٢٨٣-٢٩٢)، والرسالة العرشية، لابن تيمية، صـ(٣-٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٣)، واللفظ للبخاري، ولفظ مسلم «**فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ**»، عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

القول الثاني: العرش فَلَك مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة، وهو محدود الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس، أو الفلك التاسع، أو الأثير، أو الفلك الأعلىٰ.

القائلون به: طائفة من الفلاسفة منهم ابن سينا.

أجيب بأنه لا يوجد دليل لا من الشرع، ولا من العقل يدل علىٰ ذلك، وإنما قالوا بهذا القول؛ لأنهم نظروا في علم الهيئة وعلوم الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع -وهو الأطلس- محيط بها، ومستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها، وأن لكل فلَك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ذكر عرش الله، وذكر السماوات السبع، فقالوا بطريق الظن: إن العرش هو الفَلك التاسع؛ لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء، إما مطلقًا، وإما أنه ليس وراءه مخلوق.

وهم معترفون بأنه لم يقم لديهم دليل عقلي علىٰ صحة قولهم هذا.

ومما يدل علىٰ فساد قولهم ما ثبت في الشرع من أن للعرش قوائم وأنه يهتز، ومعلوم أن الأفلاك مستديرة وليس لها قوائم، كما أنها متحركة دائمًا بحركة متشابهة لا تتغير، كما ثبت أيضًا أن العرش أثقل الأوزان، وهم يقولون: إن الفلك لا ثقيل، ولا خفيف.

ويضاف إلىٰ هذا مخالفتهم للغة العرب، فالعرب لا تفهم من كلمة

العرش هذا المعنىٰ ولا هو مستعمل في لغتها، والقرآن إنما نزل بما يفهمون.

القول الثالث: العرش هو الكرسي.

القائلون به: الحسن البصري(١).

أجيب بأنه لم يثبت عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن في إسناده جُوَيبراً وهو متفق علىٰ ضعفه(٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**روىٰ ابن جرير من طريق جُوَيبر وهو ضعيف عن الحسن البصري أنه كان يقول: الكرسي هو العرش، وهذا لا يصح عن الحسن، بل الصحيح عنه، وعن غيره من الصحابة والتابعين أن الكرسي غير العرش**»(٣).

قوله: «**والكرسيُّ**»: أي مما نؤمن به الكرسي، وهو من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها.

والكرسي في اللغة: الكاف والراء والسين أصل صحيح يدل علىٰ تجمع شيء فوق شيء، واشتقت الكُرَّاسة من هذا؛ لأنها ورق بعضه فوق بعض(٤)، والكرسي: الشيء الذي يُعتمد

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٩٩).

(٢) انظر: العرش، للذهبي (١/ ٣٥٤).

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٢٣).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، مادة «كرس».

ويجلس عليه(١).

وشرعا: الكرسي جسم عظيم مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع قدمي الرب عَزَّوَجَلَّ.

وهذا القول هو مذهب السلف من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والتابعين، ومن سار علىٰ نهجهم، واقتدىٰ بسنتهم، وهو ما دل عليه القرآن والسنة والإجماع ولغة العرب التي نزل القرآن بها(٢).

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «**الكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ، وَالعَرْشُ لا يُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ**»(٣)، وهذا مما لا يقال بالرأي، فيأخذ حكم الرفع.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ: «اعلم أنه لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، كما في بعض الروايات أنه موضع القدمين، وأن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد، وأنه يحمله أربعة أملاك، لكل مَلك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة ... إلخ، فهذا كله لا يصح مرفوعا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبعضه أشد ضعفا من

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة، مادة «كرس».

(٢) **انظر**: العرش (١/ ٣٥١).

(٣) **صحيح موقوف**: رواه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٢٦٩)، وصححه الألباني في مختصر العلو، للذهبي (٤٥)، والصحيحة (١٠٩).

بعض»[(١)].

وقد ورد ذكر الكرسي في قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥]، أي: سعته مثل سعة السماوات والأرض[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكرسي ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع جمهور السلف»[(٣)].

وقال ابن زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أهل السنة: إن الكُرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدمي الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[(٤)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه»[(٥)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت علىٰ ذلك الآثار والأخبار»[(٦)].

مسألة: أقوال المخالفين في تعريف الكرسي[(٧)]:

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٨٤).

(٤) انظر: أصول السنة، لابن زمنين، صـ(٩٦).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٨).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٩٧-٤٠١)، ومجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٨٤-٥٨٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠-٦٨١)، والعرش (١/ ٣٤٨-٣٥٠).

القول الأول: الكرسي هو علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

القائلون به: روي عن ابن عباس بإسناد ضعيف(١)، والجهمية، وهو اختيار الطبري.

أجيب بأن الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الكرسي أنه: «مَوْضِعُ القَدَمَيْنِ، وَالعَرْشُ لا يُقَدِّرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ»(٢)، وأما ما روي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الكرسي هو العلم، فليس صحيحا(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد نُقل عن بعضهم: أن كرسي الله هو علمه، هو قول ضعيف؛ فإن علم الله وسع كل شيء؛ كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، والله يعلم نفسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السماوات والأرض لم يكن هذا المعنىٰ مناسبا؛ لا سيما وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥]، أي لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم

---

(١) قال ابن منده: «**لم يتابع عليه جعفر وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير**». [انظر: الرد علىٰ الجهمية، لابن منده، صـ(٢١)].

وقال الذهبي: «**فهذا جاء من طريق جعفر الأحمر لين، وقال ابن الأنباري: إنما يروىٰ هذا بإسناد مطعون فيه**». [انظر: العلو، للذهبي، صـ(١١٧)].

(٢) صحيح موقوف: رواه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٢٦٩)، وصححه الألباني في مختصر العلو، للذهبي (٤٥)، والسلسلة الصحيحة (١٠٩).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٣)، ومجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٨٤).

والآثار المأثورة تقتضي ذلك[١].

القول الثاني: الكرسي هو العرش نفسه.

القائلون به: الحسن البصري، ومال إليه الطبري[٢].

أجيب بما أجيب به القول الثالث في المسألة الخامسة المتقدمة.

القول الثالث: الكرسي هو قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض.

القائلون به: بعض المتكلمين من الفلاسفة المنسوبين للمسلمين كابن سينا وغيره، وهؤلاء هم الذين قالوا: إن العرش هو الفَلَك التاسع.

أجيب بأنه قول مخالف لما دلت عليه الأحاديث والآثار، ومخالف لما عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة ومخالف للغة العربية، وهو تأويل باطل ترده الأحاديث، وهو أيضًا تكذيب بالكرسي، وتكذيب للأحاديث الصحيحة التي دلت علىٰ وجود الكرسي.

القول الرابع: الكرسي هو الفَلَك الثامن، وهو فلك الثوابت الذي فوقه الفلك التاسع وهو الفلك الأثير ويقال له: الأطلس.

أجيب بأنه يكفي في إثبات بطلانه أن جماعة من أصحابه ردوا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٨٤).

(٢) في كلام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة تناقض، فقد ذكر أولًا أن هذا القول هو أولىٰ بتأويل الآية، ثم نقض كلامه فقال: «**أما الذي يدل علىٰ صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه**». [انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٠١)].

عليهم هذا القول، وبالإضافة إلىٰ ذلك فإن أصحاب هذا القول ليس لديهم أي دليل عليه كما سبق في قولهم في العرش.

قوله: «حَقٌّ»: أي ثابت يجب الإيمان بهما؛ لما تقدم من الأدلة.

قوله: «وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العرشِ ومَا دُونَه»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس في حاجة إلىٰ العرش وما دونه؛ لكمال غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[النساء:١٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤﴾[الحج:٦٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦﴾[لقمان:٢٦].

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ العرش والكرسي، ذكر غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش؛ ليبين أن خلقه للعرش واستواءه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافلُ حاويا للعالي، محيطا به، حاملا له، ولا أن يكون الأعلىٰ مفتقرا إليه[(١)].

قوله: «مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحاط بكل شيء علما؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾[فصلت:٥٤]،

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٧٢).

أي علمه محيط بكل شيء، وكذلك قدرته، فلا يعزب عنه علم شيء[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ الآية أن المخلوقات كلها تحت قهر الله تعالىٰ، وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ [البروج: ٢٠]، أي هو قادر عليهم، قاهر لا يفوتونه، ولا يعجزونه[(٣)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ مُّحِيطًا ١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦].

قوله: «وفَوْقَهُ»: أي أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فوق كل شيء، فلا شيء فوقه، فمن أسمائه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ العلي، ومن لوازمه العلو المطلق بكل اعتبار، ومن جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه العلي[(٤)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كون الله جَلَّ وَعَلَا فوق عباده من ثمانية عشر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٩٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٨).

(٣) السابق (٨/ ٣٧٣).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥).

نوعا:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونة بأداة «من» المعينة لفوقية الذات نحو: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل:٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة؛ كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ**»(١).

الرابع: التصريح بالصعود إليه؛ كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه؛ كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه؛ كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزُّمَر:١]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت:٤٢]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

وهذا يدل علىٰ علوه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ خلقه، وأن كلامه نزل به الروح الأمين من عنده من أعلىٰ مكان إلىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩﴾ [الأنبياء:١٩]، ففرق بين من له عموما، ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصا.

وقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالىٰ علىٰ نفسه «**إِنَّه عِنْدَهُ عَلَىٰ العَرْشِ**»(١).

التاسع: التصريح بأنه سبحانه في السماء، وهذا عند أهل السنة علىٰ أحد وجهين:

إما أن تكون «في» بمعنىٰ «**علىٰ**»، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يختلفون في ذلك، ولا يجوز حمل النص علىٰ غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة «**علىٰ**» مختصا بالعرش الذي هو أعلىٰ المخلوقات مصاحبا في الأكثر لأداة «**ثم**» الدالة علىٰ الترتيب والمهلة، وهو بهذا السياق صريح في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع، ولا يحتمل غيره ألبتة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلىٰ الله سبحانه؛ كقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١).

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلىٰ أسفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسًّا إلىٰ العلو كما أشار إليه من هو أعلم به من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع علىٰ وجه الأرض يرفع أصبعه إلىٰ السماء، ويقول: اللهم اشهد(٢)، ليشهد الجميع أن الرب تعالىٰ الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته علىٰ عرشه.

الرابع عشر: التصريح بلفظ الـ «**أين**» الذي هو عند الجهمية بمنزلة

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، من حديث سلمان رضي الله عنه، وصححه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

«**متىٰ؟**» في الاستحالة، ولا فرق بين اللفظين عندهم ألبتة، فالقائل «**أين الله؟**» و«**متىٰ كان الله؟**» عندهم سواء، كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأُمَّته، وأعظمهم بيانا عن المعنىٰ الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا بوجه «**أين الله؟**»[(١)] في غير موضع[(٢)].

الخامس عشر: شهادته التي هي أصدق شهادة عند الله وملائكته وجميع المؤمنين لمن قال: «**إن ربه في السماء**» بالإيمان، وشهد عليه أفراخ جهم بالكفر، وصرح الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن هذا الذي وَصَفَته من أن ربها في السماء إيمان، فقال: فلما وصفت الإيمان قال: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[(٣)]، وهي إنما وصفت كون ربها في السماء، وأن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقرنت بينهما في الذكر؛ فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان.

السادس عشر: إخباره سبحانه عن فرعون أنه رام الصعود إلىٰ السماء؛ ليطلع إلىٰ إله موسىٰ فيكذبه فيما أخبر به من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما روىٰ أحمد في مسنده (٧٩٠٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، فَأَشَارَتْ إِلَىٰ السَّمَاءِ بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ، فَقَالَ لَهَا: «**مَنْ أَنَا؟**» فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَإِلَىٰ السَّمَاءِ، أَيْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «**أَعْتِقْهَا**».

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، فكذب فرعون موسىٰ في إخباره إياه بأن ربه فوق السماء.

وعند الجهمية لا فرق بين الإخبار بذلك، وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب، وعلىٰ زعمهم يكون فرعون قد نزَّه الرب عما لا يليق به، وكذب موسىٰ في إخباره بذلك؛ إذ من قال عندهم: إن ربه فوق السماوات، فهو كاذب، فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون مخالفون لموسىٰ ولجميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولذلك سماهم أئمة السنة فرعونية قالوا: وهم شر من الجهمية؛ فإن الجهمية يقولون: إن الله في كل مكان بذاته، وهؤلاء عطلوه بالكلية، وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض، فأيُّ طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصانع علىٰ أي وجه كان قولهم خيرا من قولهم.

السابع عشر: إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أنه تردَّد بين موسىٰ وبين الله ويقول له موسىٰ: ارجع إلىٰ ربك فسله التخفيف، فيرجع إليه ثم ينزل إلىٰ موسىٰ فيأمره بالرجوع إليه سبحانه، فيصعد إليه سبحانه ثم ينزل من عنده إلىٰ موسىٰ**»، عدة مرار[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)، من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثامن عشر: إخباره تعالىٰ عن نفسه وإخبار رسوله ﷺ عنه أن المؤمنين يرونه عيانا جهرة كرؤية الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر(١)، والذي تفهمه الأمم علىٰ اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية رؤية المقابلة والمواجهة التي تكون بين الرائي والمرئي فيها مسافة محدودة غير مفرطة في البعد فتمتنع الرؤية ولا في القرب فلا تمكن الرؤية، لا تعقل الأمم غير هذا، فإما أن يروه سبحانه من تحتهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أو من خلفهم أو من أمامهم أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم أو من فوقهم، ولا بد من قسم من هذه الأقسام إن كانت الرؤية حقا، وكلها باطل سوىٰ رؤيتهم له من فوقهم، ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية أصلهم وصرحوا بذلك، وركبوا النفيين معا، وصدق أهل السنة بالأمرين معا، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفىٰ علو الرب علىٰ خلقه واستواءه علىٰ عرشه مذبذبا بين ذلك، لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء.

فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة إذا بُسطت أفرادها كانت ألف دليل علىٰ علو الرب علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه؛ فترك الجهمية ذلك كله وردوه بالمتشابه من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد:٤]، ورده زعيمهم المتأخر بقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[الإخلاص:١]، وبقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١][1].

مسألة [١]: أنواع العلو ثلاثة:

علو ذات، وعلو القهر، وعلو القدر، والجهمية المعطلة معترفون بوصفه تعالىٰ بعلو القهر، وعلو القدر، وأن ذلك كمال لا نقص؛ فإنه من لوازم ذاته[2].

مسألة [٢]: الأدلة علىٰ بطلان قول الجهمية.

ادَّعت الجهمية أن الفوقية مجاز في فوقية الرتبة والقهر، كما يقال: الذهب فوق الفضة والأمير فوق نائبه، وهذا ثابت للرب تعالىٰ، لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها علىٰ المجاز باطل من وجوه عديدة:

أحدها: أن الأصل الحقيقة، والمجاز علىٰ خلاف الأصل.

الثاني: أن الظاهر خلاف ذلك.

الثالث: أن هذا الاستعمال المجازي لا بد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته، فأين القرينة في فوقية الرب تعالىٰ؟

الرابع: أن الفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة علىٰ خلاف ذلك وأنه سبحانه فوق العالم بذاته، فالخطاب بفوقيته ينصرف

---

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (٢/ ٢١٥-٢١٧).
(٢) انظر: الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية (٤/ ١٣٢٤).

إلىٰ ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية(١).

الخامس: يقال: ما أثبتم به هذين النوعين من العلو والفوقية هو بعينه حجة خصومكم عليكم في إثبات علو الذات له سبحانه، وما نفيتم به علو الذات يلزمكم أن تنفوا به ذينك الوجهين من العلو فأحد الأمرين لازم لكم، ولا بد إما أن تثبتوا له سبحانه العلو المطلق من كل جهة ذاتا وقهرا وقدرا، وإما أن تنفوا ذلك كله(٢).

قوله: «وقَدْ أعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقهُ»: أي لا يستطيع أحد أن يحيط بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ شيئا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:٢٥٥]، أي العالم الذي لا يخفي عليه شيء، محيط بذلك كله، مُحصٍ له دون سائر من دونه، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئا إلا بما شاء هو أن يعلمه(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «أي لا يطلع أحد من علم الله علىٰ شيء إلا بما أعلمه الله عَزَّوَجَلَّ، وأطلعه عليه.

ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون علىٰ شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]»(٤).

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، لابن الموصلي «ت٧٧٤هـ»، صـ(٤٣١).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٤-١٣٢٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٩-٦٨٠).

[إثبات صفتي المحبة والكلام لله عَزَّوَجَلَّ]

ونَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وكَلَّمَ اللهُ مُوسىٰ تكْلِيمًا، إِيمَانًا وتَصْدِيقًا وتَسْلِيمًا.

الشرح

قوله: «ونَقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»: أي من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون أن الله اتخذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خليلا، والخلة أعلىٰ مراتب المحبة كما تقدم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يقتدىٰ به، حيث وصل إلىٰ غاية ما يتقرب به العباد له؛ فإنه انتهىٰ إلىٰ درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة[(١)].

ولم تثبت الخُلة إلا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لحديث جُنْدَبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهِ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢).

وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[1].

أما صفة المحبة فقد ثبتت لغيرهما، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:١٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ٤﴾[الصف:٤].

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»[2].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٨٣).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الخُلة من توابع المحبة، فمن كان من أصله: أن الله لا يُحِب ولا يُحَب، لم يكن للخلة عنده معنىٰ»(١).

وقال أيضا: «اتفق سلف الأمة وأئمتها وعلماؤها علىٰ أن الله يُحَب لذاته، لم ينازع في ذلك إلا طائفة من أهل الكلام والرأي الذين سلكوا مسلك الجهمية في بعض أمورهم فقالوا: إنه لا يُحِب، ولا يُحَب»(٢).

مسألة: أقوال الناس في إثبات صفة المحبة لله تعالىٰ.

اختلف الناس في إثبات صفة المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالىٰ يُحِبُّ ويُحَبُّ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون سواه، وهو سبحانه يحب ما أمر به، ويحب عباده المؤمنين، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها.

القول الثاني: أنه يستحق أن يُحَبُّ لكنه لا يُحِب إلا بمعنىٰ أن يريد، وهذا قول كثير من المتكلمين، ومن وافقهم من الصوفية.

القول الثالث: أنه لا يُحِب ولا يُحَب وإنما محبة العباد له إرادتهم طاعته، وهذا قول الجهمية، ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام،

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٢).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٦٢).

والرازي[(١)].

قوله: «وكَلَّمَ الله مُوسىٰ تكْلِيمًا»: أي ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون أن الله كلم نبيه موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تكليما حقيقيا من غير واسطة؛ لذا جاء بالمصدر ﴿تَكۡلِيمًا ﴾.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾[النساء:١٦٤].

وهذا تشريف لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بهذه الصفة؛ ولهذا يقال له: الكليم[(٢)].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العرب تسمي ما يصل إلىٰ الإنسان كلاما بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر، فإذا حُقِّق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام، كالإرادة يقال: أراد فلان إرادة، يريد حقيقة الإرادة، ويقال: أراد الجدار، ولا يقال: أراد الجدار إرادةً؛ لأنه مجاز غير حقيقة[(٣)].

قوله: «إيمَانًا وتَصْدِيقًا وتَسْلِيمًا»: أي نؤمن بذلك، ونصدقه، ونسلِّم له، وهذه الكلمات الثلاث مترادفة، فالإيمان هو التصديق، والتصديق يقتضي التسليم.

مسألة [١]: أول من زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلِّم

---

(١) **انظر**: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، صـ(٤٤).

(٢) **انظر**: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٣-٤٧٤).

(٣) **انظر**: تفسير البغوي (١/ ٧٢٣).

موسىٰ تكليما هو الجَعْد بن دِرهم، ثم أخذها عنه الجَهْم بن صفوان، ثم أخذتها عنه الجهمية، والمعتزلة، وغيرهم.

أما الجعد فقد ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحىٰ سنة إحدىٰ وتسعين، حيث قام يخطب الناس فقال: «**من كان منكم يريد أن يضحي فلينطلق فليضحِ فبارك الله له في أضحيته، فإنّي مضح بالجعد بن دِرهم؛ فإنه زعم أن الله لم يكلم موسىٰ تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلا، فسبحان الله عما يقول الجعد علوا كبيرا**»، ثم نزل فذبحه[(١)].

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والجهمية والمعتزلة تقول هذا، وتحرِّف نص التنزيل في ذلك، وزعموا أن الربَّ منزَّه عن ذلك**»[(٢)].

وفيه قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولأجل ذا ضحىٰ بجعد خالد الـ ـقسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسىٰ الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان[(٣)]

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد، للبخاري «ت ٢٥٦هـ»، صـ(٢٩)، ونقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، للدارمي (١/ ٥٨١)، والبيهقي في الأسماء والصفات «ت ٤٥٨»، (١/ ٦١٧)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي «ت ٥٩٧هـ»، (٦/ ٣٠٠)، والعلو، للذهبي، صـ(١٣١).

(٢) انظر: العلو، للذهبي، صـ(١٣١).

(٣) انظر: الكافية الشافية، صـ(٧-٨).

وأما الجهم بن صفوان فقد فذبحه سَلْمُ بن أحْوز أمير خُرسان في آخر ولاية بني أمية(١).

مسألة [٢]: قد ثبت الكلام لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة المعراج، وثبت أيضا لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[البقرة:٣٣].

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم «ت ٤٥٦هـ»، (٢/ ١٠١)، والملل والنحل، حيث قال: «سالم بن مسلم»، (١/ ٣٠)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٨/ ٦٧).

[الإيمان بالملائكة، والنبيين، والكتب]

ونؤمنُ بالملائكَةِ والنَّبيين والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلىٰ المرْسَلين ونَشْهَدُ أَنَّهم كانوا علىٰ الحَقِّ المبين.

الشرح

قوله: «ونؤمنُ بالملائكَةِ»: أي من أصول أهل السنة والجماعة التي يجب التصديق والإقرارا بها الإيمان الملائكةُ.

والملائكةُ: جمعُ مَلْأَكٍ، فِي الأَصْلِ، ثُمَّ حُذفَتْ همزته، لكثرة الاستعمال، فقيل: مَلَك، وقد تحذف الهاء فيقال: مَلَائِك.

وَقِيلَ: أصلُه: مَأْلَكٌ علىٰ وزن «مَفْعَلٍ»، مِنَ الألوك، وهو الرِّسالة، ثُمَّ قدِّمَت الهمزةُ، فَقِيلَ: مَلأَكٌ[1]؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾[الحج:٧٥].

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان يجب الإيمان به، لا يصح إيمان عبد بدونه، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧].

---

(١) انظر: العين، مادة «ملك»، المفردات في غريب القرآن، صـ (٨٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٥٩)، ولسان العرب، مادة «ملك».

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

مسألة [١]: مم خلقت الملائكة؟

خُلقت الملائكة من نور؛ كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»(٢).

مسألة [٢]: كيفية الإيمان بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الإيمان بالملائكة علىٰ درجتين:

الأولىٰ: درجة واجبة: هي الإيمان المجمل، معناها أن يؤمن العبد بالملائكة جملة، وأنهم ليسوا بناتٍ لله جَلَّ جَلَالُهُ.

الثانية: درجة مستحبة: هي الإيمان المفصَّل، معناها أن يؤمن العبد بكل ما وصله من أخبار الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما جاء في الكتاب والسنة، كأسمائهم، وصفاتهم، ووظائفهم، ونحو ذلك.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦).

ومعنىٰ الوجوب: أنه يجب تعلم ذلك، والإيمان به.

ومعنىٰ الاستحباب: أنه يستحب تعلم ذلك، فإذا بلغه وجب الإيمان به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو مثل الإيمان الذي يجب بعد نزول القرآن، والإيمان الذي يجب علىٰ من عَرَف ما أخبر به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفصلا ليس مثل الإيمان الذي يجب علىٰ من عرف ما أخبر به مجملا؛ فإنه لا بد في الإيمان من تصديق الرسول في كل ما أخبر، لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك.

وأما من بلغه القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصَّلة فيجب عليه من التصديق المفصَّل بخبر خبر وأمر أمر ما لا يجب علىٰ من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر.

وأيضا لو قُدِّر أنه عاش فلا يجب علىٰ كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول، وكل ما نهىٰ عنه وكل ما أخبر به، بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصَّل في الزكاة.

ومن لا استطاعة له علىٰ الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة، فصار

يجب من الإيمان تصديقا وعملا علىٰ أشخاص ما لا يجب علىٰ آخرين»(١).

وقال أيضا: «فلا يشترط في الإيمان المجمل العلم بمعنىٰ كل ما أخبر به؛ هذا لا ريب فيه؛ فكل من اشتبه عليه آية من القرآن ولم يعرف معناها وجب عليه الإيمان بها، وأن يَكِل علمها إلىٰ الله فيقول: الله أعلم، وهذا متفق عليه بين السلف والخلف، فما زال كثير من الصحابة يمر بآية ولفظ لا يفهمه فيؤمن به وإن لم يفهم معناه»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل، وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول معرفة وعلما وإقرارا ومحبة ومعرفة بضده وكراهيته وبغضه فهذا إيمان خواص الأمة وخاصة الرسول، وهو إيمان الصديق وحزبه»(٣).

مسألة [٣]: وظائف الملائكة:

أوكل الله تعالىٰ إلىٰ الملائكة مهام عظيمة، فمنهم الموكَّل بالوحي، وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٩٦).

(٢) انظر: السابق (١٦/ ٤١٠).

(٣)انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية، صـ (١٠٦).

وقال تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء:١٩٣].

ومنهم الموكَّل بالمطر والنبات، وهو ميكائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو ذو مكانة من ربه عَزَّوَجَلَّ، ومن أشراف الملائكة المقرَّبين، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جَلَّجَلَالُهُ(١).

ومنهم الموكل بالصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشو، وهو إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(٢).

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَىٰ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**»(٣).

ومنهم المُوكَّل بقبض الأرواح، وهو مَلَك الموت.

قال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام:٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة:١١].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/ ١٠٥-١٠٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٣١)، وحسنه، وأحمد (٥/ ١٤٥).

وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتىٰ تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها من يده فيلفوها في أكفان تليق بها، ولم يُصرَّح باسم ملك الموت في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل(١).

ومنهم المعقِّبات الذين يحفظون العبد في جميع أحواله.

قال الله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١٠-١١].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خَلَّوا عنه**»(٢).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ما من عبد إلا له ملك موكَّل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما يأتيه منها شيء إلا قال له: وراءك**»(٣).

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم.

فعن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٧١).

(٣) انظر: الهداية في بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب «ت ٤٣٧هـ»، (٥/ ٣٦٩٤).

الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

ومنهم الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد، وهم الكرام الكاتبون.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً﴾[الأنعام:٦١].

وقال تعالىٰ فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزُّخرُف:٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[ق:١٧-١٨]، أي أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات(٢).

ومنهم حملة العرش.

قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) **انظر**: تفسير البغوي (٤/ ٢٧٢).

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة:١٧].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»(١).

ومنهم الموكلون بفتنة القبر، وهم المنكر والنكير.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ**»(٢).

ومنهم خزنة الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٤٧)، وصححه الألباني.

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

﴿٢٤﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

ومنهم المبشِّرون بالجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٠-٣١].

وقال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء:١٠٣].

ومنهم خزنة جهنم، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّمَر:٧١].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر:٤٩-٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:٦].

ومنهم الموكَّل بالجبال.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي(١) عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي(٢)، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ(٣) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ

---

(١) عرضت نفسي: أي بالأمان؛ حتىٰ لا يتعرض إليه أحد بسوء.

(٢) فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي: أي فانطلقت حيرانا هائما لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك الغم، وصعوبته.

(٣) أطبق عليهم الأخشبين: أي أقلب عليهم الأخشبين، وهما جبلان في مكة.

أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

ومنهم الراكعون الساجدون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»(٢).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ(٣) السَّمَاءُ، وَحُقَّ(٤) لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ»(٥).

ومنهم السياحون الذين يتبعون مجالس الذكر.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٣٠).

(٣) أطت: أي صوَّتت، والأطيط صوت الأقتاب، وأطيطُ الإبل أصواتها وحنينها.

(٤) حُقَّ: أي يستحق وينبغي؛ والمعنىٰ: صوتت وحُق لها أن تصوت؛ لأن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتىٰ أطت.

(٥) حسن: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وأحمد (٢١٥١٦)، وحسنه الألباني.

وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُم» قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟»، قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا»، قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩).

جَاءَ لِحَاجَةٍ»، قَالَ: «هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

ومنهم زوار البيت المعمور.

فعَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديث المعراج أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»(٢).

مسألة [٤]: أفضل الملائكة.

أفضل الملائكة ثلاثة، وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصهم في دعائه من صلاة الليل: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٣).

وأفضلهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن الله خصه بالذكر في مواطن كثيرة، منها:

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة:٩٨]، وعطف الخاص

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

علىٰ العام يفيد التفضيل.

وقال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدْر:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم:٤].

مسألة [٥]: ما ثبت من أسماء الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

لم يثبت من أسماء الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلا ثمانية:

الأول، والثاني: جبريل، وميكائيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ذكرهما الله جَلَّ جَلَالُهُ في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨].

الثالث: إسرافيل، ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله في دعائه من صلاة الليل: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ....**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٧٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

الرابع، والخامس: هاروت وماروت عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، ذكرهما الله جَلَّجَلَالُهُ في قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠٢].

السادس: مالك خازن النار، ذكره الله في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزُّخرُف:٧٧].

السابع، والثامن: المنكر، والنكير، ذكرهما النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ»[(١)].

أما غير هذه الأسماء، فإما صفات، كرقيب، وعتيد.

وإما ورد باسم وظيفته، كملك الموت، وملك الجبال.

وإما ورد في أحاديث ضعيفة، أو موضوعة، كعزرائيل[(٢)]، ورضوان[(٣)].

قوله: «والنَّبيين»: أي ومن أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة التي يؤمنون بها إيمانا جازما الإيمان بالأنبياء، وقد تقدم تعريف النبي لغة، واصطلاحا، وبيان الفرق بينه، وبين الرسول عند

---

(١) **حسن:** رواه الترمذي (١٠٧١)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحسنه الألباني.

(٢) سيأتي كلام ابن كثير في ضعفة الآثار الواردة فيه.

(٣) ورد ذكره في حديث موضوع. [انظر: السلسلة الضعيفة (١٢/ ٧٩١-٧٩٢)].

قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن محمدًا عبده المصطفىٰ، ونبيه المجتبىٰ، ورسوله المرتضىٰ».

والأدلة علىٰ أن الإيمان بالأنبياء أصل من أصول الإيمان متواترة منها:

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

مسألة [١]: تفاضل الأنبياء والرسل.

لقد فضل الله تعالىٰ بعض النبيين علىٰ بعض؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[الإسراء:٥٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلَّم موسىٰ تكليما، وجعل الله عيسىٰ كمثل آدم خلقه من

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

تراب، ثم قال له: كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتىٰ سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتىٰ داود زبورا .... وغفر لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر»[(١)].

وفضَّل الرسل علىٰ الأنبياء، وفضل بعضهم علىٰ بعض، فقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «**هؤلاء رسلي فضلت بعضهم علىٰ بعض، فكلمت بعضهم، والذي كلمته منهم موسىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعت بعضهم درجات علىٰ بعض بالكرامة، ورفعة المنزلة**»[(٢)].

وقد أجمع المسلمون علىٰ أن الرسل أفضل من الأنبياء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء.

وأن أولي العزم منهم أفضلهم، وهم الخمسة المذكورون نصا في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧].

وفي الشورىٰ في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٣٧٨).

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[الشورىٰ:١٣].

ولا خلاف أن محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسىٰ علىٰ المشهور»[١].

مسألة [٢]: كيفية الإيمان بالرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

الإيمان بالرسل علىٰ درجتين:

الأولىٰ: درجة واجبة: هي الإيمان المجمل، معناها أن يؤمن العبد بالرسل جملة، وأنهم جاؤوا بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبصفاتهم العامة، كالصدق، والبر، وعدم الخيانة، ونحو ذلك.

الثانية: درجة مستحبة: هي الإيمان المفصَّل، معناها أن يؤمن العبد بكل ما وصله من أخبار الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، كما جاء في الكتاب والسنة، كأسمائهم، وكتبهم، وأحوالهم مع أقوامهم، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الناس من يؤمن بالرسل إيمانا عاما مجملا.

وأما الايمان المفصَّل، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك، فيؤمن بما بلغه عن الرسل، وما لم يبلغه لم يعرفه، ولو بلغه لآمن به، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيمانا مجملا،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧-٨٨).

فهذا إذا عمل بما علم أن أمره به مع إيمانه وتقواه، فهو من أولياء الله تعالىٰ، له من ولاية الله بحسب إيمانه وتقواه.

وما لم تقم عليه الحجة به، فإن الله تعالىٰ لم يكلفه معرفته، والايمان المفصل به، فلا يعذبه علىٰ تركه، لكن يفوته من كمال وَلاية الله بحسب ما فاته من ذلك، فمن علم بما جاء به الرسول، وآمن به إيمانا مفصلا، وعمل به، فهو أكمل إيمانا وولاية لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا، ولم يعمل به، وكلاهما ولي الله تعالىٰ»[١].

قوله: «والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلىٰ المرْسَلينَ»: أي ومن أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة الإيمان بالكتب.

والكتب لغة: جمع كتاب، والكتاب لغة: مصدر سُمي به المكتوب، كالخلق بمعنىٰ المخلوق، ومعنىٰ الكَتْب: الجمع، ومنه: الكتيبة، وهو العسكر المجتمع، ومنه: كتبت الكتاب، أي جمعت فيه الحروف والمعاني المحتاج إليها[٢].

وشرعا: هي الكتب التي حوت كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من توحيد وأحكام وقصص سواء نزلت مكتوبة، أو مشافهة.

والأدلة علىٰ أن الإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان متواترة، منها:

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، لابن تيمية، صـ (٤٣).
(٢) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «كتب».

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

مسألة [١]: كيفية الإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب علىٰ درجتين:

الأولىٰ: درجة واجبة: هي الإيمان المجمل، معناها أن يؤمن العبد بالكتب التي أنزلها الله جملة، وأنها من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنها جاءت بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحو ذلك.

الثانية: درجة مستحبة: هي الإيمان المفصل، معناها أن يؤمن العبد بكل ما وصله عن الكتب كما جاء في الكتاب والسنة، كأسمائها، ومن أنزلت عليه، وما تضمنته من شرائع، ونحو ذلك.

فما أعلمنا الله به تفصيلا، كالكتب التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

كتابه، وهي صحف إبراهيم، وتوراة موسىٰ، وزبور داود، وإنجيل عيسىٰ، والقرآن المنزل علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتكليم الله لموسىٰ، وإيحاء الله إلىٰ صالح وهود وشعيب، ووحي الله إلىٰ رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير القرآن، وقد تضمنته كتب السنة - نؤمن به تفصيلا كما أخبر الله تعالىٰ، ونؤمن بأن هناك كتبا ووحيا غير ذلك لم يعلمنا الله سبحانه بها(١).

مسألة [٢]: حكم من كذب بالكتب السماوية، أو بكتاب واحد منها.

قد أوجب علىٰ عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وحكم بكفر من آمن ببعض وكفر ببعض، فقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧]، وقد اتفق المسلمون علىٰ ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع ما أنزله الله من الكتب، فمن أنكر شيئا منها كفر(٢).

---

(١) انظر: الرسل والرسالات، صـ(٢٢٦).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٣٦٩-٣٧١).

قولــه: «ونَشْـهَدُ أَنَّهُـم كـانوا علـىٰ الحَـقِّ المبـين»: أي نشـهد بقلوبنا، ونقر بألسنتنا أن الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم كانوا علىٰ الحق الواضح الذي لا خفاء فيه.

مسألة: أقوال الناس في أصول الإيمان:

اختلف الناس في أصول الإيمان علىٰ خمسة أقوال:

القـول الأول: أصـول الإيمـان خمسـة، وهـي الإيمـان بـالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وهذا قول طائفة من أهل السنة والجماعة[1]، وأدخلوا الإيمان بالقدر في الإيمان بالله.

القول الثاني: أصول الإيمان ستة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذا قول طائفة من أهل السنة والجماعة.

القول الثالث: أصول الإيمان سبعة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر؛ والإيمان بالجنة والنار، وهذا القول حكاه ابن تيمية عن أبي طالب المكي[2].

القـول الرابـع: أصـول الإيمـان أربعـة، وهـي التوحيـد، والعـدل، والنبوة، والإمامة، وهذا معتقد الإمامية.

فقد أدخلوا في التوحيد نفي الصفات، والقول بأن القرآن مخلوق،

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٣٦٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤١٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٣٢).

وأن الله لا يرىٰ في الآخرة.

فقد أدخلوا في العدل التكذيب بالقدر، وأن الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضل من يشاء، وأنه قد يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وغير ذلك، فلا يقولون: إنه خالق كل شيء، ولا: إنه علىٰ كل شيء قدير، ولا: إنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

والإمامة عندهم هي الإيمان بأن الإمام معصوم غائب عن الأبصار كائن في الأمصار، سيُخْرج الدينار من قَعر البحار، دخل سرداب سَامَرَّاءَ سنة ستين.

وأما النبوة فغايتهم أن يكونوا مقرين بها كإقرار سائر الأمة، ويرون أن الإمامة أعلىٰ منها مرتبة(١).

القول الخامس: أصول الإيمان خمسة، وهي التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا اعتقاد المعتزلة(٢).

و «**توحيدهم**» هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات وغير ذلك، قالوا: إن الله لا يرىٰ، وإن القرآن مخلوق، وإنه ليس فوق العالم، وإنه لا يقوم به علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا

---

(١) **انظر**: منهاج السنة النبوية (١/ ٩٩-١٠٠، ٣/ ٤٨٤، ٥/ ١٧٦).

(٢) **انظر**: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٩)، والملل والنحل (١/ ٤٦-٤٩)، وبيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٠٢)، ومجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٥٧-٣٥٨).

كلام ولا مشيئة ولا صفة من الصفات.

وأما «**عدلهم**» فمن مضمونه التكذيب بالقدر وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة علىٰ شيء، وأن الله لم يشأ جميع الكائنات ولا خلقها كلها ولا هو قادر عليها كلها؛ بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله لا خيرها ولا شرها، ولم يرد إلا ما أمر به شرعا وما سوىٰ ذلك فإنه يكون بغير مشيئته.

وأما «**المنزلة بين المنزلتين**» فهي عندهم أن الفاسق لا يسمىٰ مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمىٰ كافرا فنزلوه بين منزلتين.

و«**إنفاذ الوعيد**» عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقوله الخوارج.

و«**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**» يتضمن عندهم جواز الخروج علىٰ الأئمة وقتالهم بالسيف(١).

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٥٧، ٣٨٦-٣٨٧).

[أهل القبلة]

ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمينَ مؤمِنينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قالَ وأَخْبَرَ مُصَدِّقِين.

.... الشــرح ....

قولـه: «ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمينَ مؤمِنينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قالَ وأَخْبَرَ مُصَدِّقِين»:
أي من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يحكمون بالإسلام والإيمان لكل من أقرَّ بما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدَّق بكل ما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر به، وكان علىٰ دين الإسلام[(١)]، ولا يخرجون أحدا من الإسلام ما دام لم يشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيئا، وإن فعل من المعاصي ما فعل ما لم يستحل المعصية، ولكن ينقص إيمانه بقدر معصيته.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ**»[(٢)].

وهذا فيه رد علىٰ الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة،

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢١).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٩١).

ويخرجونه من الإسلام.

وفيه رد أيضا على المعتزلة الذين يخرجون مرتكب الكبيرة من الإسلام ولا يدخلونه في الكفر، ويقولون: هو في منزلة بين المنزلتين.

وأهل القبلة هم من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة الصلاة، وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).

[ذم الجدال، والكلام في الله بغير علم]

ولا نَخُوضُ في اللهِ، وَلا نُمارِي في دينِ اللهِ.

ولا نُجَادِلُ في القرآنِ، ونَشْهدُ أَنَّهُ كَلَامُ ربِّ العالمينَ، نَزَلَ به الروحُ الأمِينُ، فَعَلَّمَهُ سيِّدَ المرسلين مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو كَلامُ الله تعالىٰ لا يُسَاوِيهِ شَيءٌ مِنْ كلامِ المخْلُوقِين، ولا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسْلِمينَ.

.... **الشــرح** ....

قوله: «ولا نَخُوضُ في الله»: أي بأهوائنا، وعقولنا القاصرة، بل نقف عند الكتاب والسنة، ونؤمن بما جاء فيهما، ولا نتعداهما، وكذلك لا يخوض أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته بالتحريف، أو التمثيل، أو التشبيه، أو التكييف، أو التأويل، بل يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا فيه رد علىٰ المتكلمين وغيرهم ممن يخوضون في ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعقولهم وأهوائهم، فيثبتون لله صفات لم يثبتها لنفسه، وينفون عنه ما أثبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنفسه.

قوله: «ولا نُمارِي في دين الله»: أي لا نجادل في دين الله بالباطل، بل نؤمن ونصدق بكل ما جاء في دين الله جَلَّ جَلَالُهُ.

والمراء: هو الجدال، والتماري **والممارة**: المجادلة علىٰ مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة؛ لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من الضرع(١).

وقيل: هو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوىٰ تحقير الغير(٢).

والمراء كله مذموم؛ لأنه مَبنيٌّ علىٰ عدم الاستسلام، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا**»(٣).

قوله: «ولا نُجَادِلُ في القرآنِ»: أي لا نقول في القرآن: إنه ليس من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا نفسره بعقولنا، وأفهامنا القاصرة، بل نقول فيه: إنه كلام الله حقيقة ليس مجازًا، كما نقف عند تفسيره علىٰ ما ورد، ولا نتعدىٰ ذلك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**نَزَلَ القُرْآنُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُمَا، وَوَجْهٍ عَرَبِيٍّ تَعْرِفُهُ العَرَبُ، وَوَجْهِ تَأْوِيلٍ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ، وَوَجْهِ تَأْوِيلٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ**، وَمَنِ انْتَحَلَ فِيهِ عِلْمًا**

---

(١) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٢٢).

(٢) **انظر**: التعريفات، صـ(٢٠٩).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني.

فَقَدْ كَذَبَ»[١].

وقد اتفق علماء السلف من أهل السنة علىٰ النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلىٰ الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه[٢].

وقال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إياكم والبدعَ**»، قيل: يا أبا عبدالله، وما البدع؟

قال: «**أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان**».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لو كان الكلام علما، لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل علىٰ باطل**»[٣].

مسألة: الجدال نوعان:

الأول: جدال محمود: هو الذي يكون الغرض منه التوصل إلىٰ الحق والصواب.

قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٧٥)، والفريابي في القدر (٤١٤)، والطبراني في مسند الشاميين (١٣٨٥).

(٢) انظر: شرح السنة، للبغوي (١/ ٢١٦).

(٣) انظر: السابق (١/ ٢١٧).

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[النحل:١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].

الثاني: جدال مذموم: هو الذي يكون الغرض منه التعصب للنفس.

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[غافر:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾[الأنفال:٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي ذمه السلف والأئمة من المجادلة والكلام هو من هذا الباب؛ فإن أصل ذمهم الكلام المخالف للكتاب والسنة، وهذا لا يكون في نفس الأمر إلا باطلا، فمن جادل به جادل بالباطل»[(١)].

قوله: «ونَشْهدُ أَنَّهُ كَلَامُ ربِّ العالمينَ»: أي نُقرُّ بقلوبنا، وننطق بألسنتنا أن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٤].

قوله: «نَزَلَ به الروحُ الأمِينُ»: أي جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٧/ ١٧٠).

قوله: «فَعَلَّمَهُ سيِّدَ المرسلين مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ»: أي علَّم جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنَ، وفي هذا رد علىٰ القرامطة الذين يزعمون أن القرآن إنما هو محض إلهام من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «وهو كَلامُ الله تعالىٰ لا يساويه شيءٌ مِنْ كلامِ المخْلُوقِين»: أي كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق كل كلام في الحسن، والإتقان، والإحكام، ونحوه، ولا يساويه كلام أحد من خلقه.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

قوله: «ولا نَقُولُ بِخَلْقِهِ»: أي لا نقول: إن القرآن مخلوق كما قالت الجهمية، والحلولية، والاتحادية، والمعتزلة، وغيرهم؛ لأنه صفة من صفاته، وصفات الله غير مخلوقة، ولأن الله تعالىٰ قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]، فالخلْقُ: جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عاما فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: ﴿وَالْأَمْرُ﴾ ذكر أمرا غير جميع الخلق، فدل ذلك علىٰ أن أمر الله غير مخلوق[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورىٰ:٥٢].

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، صـ(٦٣).

قال أَبُو يُوسُف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ناظرت أَبَا حنيفة ستة أشهر، حَتَّىٰ قَالَ: من قَالَ: القُرْآن مخلوق فَهُوَ كافر»(١).

وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ يُوجَعُ ضَرْبًا وَيُحْبَسُ حَتَّىٰ يَمُوتَ»(٢).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كلام الله غير مخلوق»(٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ؛ لِأَنَّ القُرْآنَ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفِيهِ أَسْمَاءُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(٤).

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل:٩] مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ زِنْدِيقٌ حَلَالُ الدَّمِ»(٥).

وقال النَّضر بن مُحَمَّد المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قَالَ: هَذِه الآيَة مخلوقة ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [طه:١٤]، فقد كفر»(٦).

---

(١) انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٥/ ٥١٦)، ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لبدر الدين العيني (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد «ت٢٩٠هـ» (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: العرش (٢/ ٢٩١).

(٤) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٢).

(٥) انظر: السابق (١/ ١٠٦).

(٦) انظر: العلو، للذهبي، صـ(١٦١).

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما تكفير من قال بخلق القرآن فقد ورد عن سائر أئمة السلف في عصر مالك والثوري ثم عصر ابن المبارك ووكيع، ثم عصر الشافعي وعفان والقعنبي، ثم عصر أحمد بن حنبل وعلي بن المديني، ثم عصر البخاري وأبي زُرعة الرازي، ثم عصر محمد بن نصر المَروزي والنسائي ومحمد بن جرير وابن خزيمة»[(١)].

وقال علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَلَا تَضْعُفْ أَنْ تَقُولَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»[(٢)].

وقال عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»[(٣)].

مسألة: أصل مقالة خلق القرآن.

أول من قال بخلق القرآن هو الجَعْد بن دِرهم، كان يسكن دمشق، قتله خالد بن عبد الله القسري بالكوفة يوم الأضحىٰ، ومنه تعلم الجهم بن صفوان بالكوفة خلق القرآن، وهو الذي تنسب الجهمية إليه، وقتله سَلْم بن أحْوز بأصبهان[(٤)].

وأخذ الجَعْد بنُ دِرهم خلق القرآن من أبانَ بن سَمعان، وأخذه أبان

---

(١) انظر: العلو، للذهبي، صـ (١٦١).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٨٥).

(٣) انظر: السابق (٢/ ٢٦٢).

(٤) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (٧٢/ ٩٩).

من طالوت ابن أخت لَبيد، وأخذه طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

قوله: «وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسْلِمينَ»: أي لا نخالف ما أجمع عليه المسلمون في أصول الدين وفروعه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥]، أي: ومن تعمد سلوك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار في شِقٍّ والشرع في شق، بعد ما ظهر له الحق واتضح، سواء كانت المخالفة لنص الشارع، أو لما أجمعت عليه الأمة المحمدية كفر بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هذا غير سبيل المؤمنين، وقد ضمن الله لهذه الأمة العصمة في اجتماعهم من الخطأ؛ تشريفا لهم، وتعظيما لنبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

ومن قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين؛ لأن مذهب سلف الأمة وأهل السنة أن القرآن كلام الله؛ منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والقرآن الذي أنزله الله علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو هذا القرآن الذي يقرؤوه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٧٢/ ٩٩-١٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٢-٤١٣)، وتفسير الطبري (٩/ ٢٠٥).

كلام غيره[١].

وقد اتفق السلف والأئمة على أن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وإنما قال السلف: «منه بدأ»؛ لأن الجهمية -من المعتزلة وغيرهم- كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في المحل، فقال السلف: منه بدأ، أي: هو المتكلم به، فمنه بدأ؛ لا من بعض المخلوقات؛ كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[الزُّمَر:١]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[السجدة:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾[سبأ:٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[النحل:١٠٢].

ومعنى قولهم: «**إليه يعود**» أنه يُرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا منه حرف كما جاء في عدة آثار[٢].

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠١).

(٢) **انظر**: السابق (٦/ ٥٢٨-٥٢٩).

[لا يكفر أحد من أهل القبلة بمجرد الذنب]

ولا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

.... الشــرح ....

قـولــه: «ولا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ»: أي لا نكفر أحدا ممن ينتسب إلىٰ الإسلام بذنب من الذنوب العملية كالقتل، وشرب الخمر، والزنا، ونحوه، وقد تواترت الأدلة علىٰ ذلك، منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[البقرة:١٧٨]، فسماه أخا وهو قاتل يجب عليه القصاص.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة:٣٨]، فلم يحكم بكفرهم.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور:٢][٣٨]، فلم يحكم بكفرهم.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦]، فسماه فاسقا، ولم يخرجه من الإسلام.

٥- قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحُجُرات:٩-١٠]، فشهد لكلا الطائفتين بالإيمان والأخوة.

٦- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَقَالَ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»(١)، فهذا فيه رد علىٰ الخوارج الذين كانوا يكفرون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه، ومعاوية ومن معه بشهادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للطائفتين بأنهم من المسلمين(٢).

٧- عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٢٩).
(٢) **انظر**: فتح الباري (١٣/ ٦٦).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠).

فهذا فيه رد علىٰ من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه، والأمر بالدعاء له[١].

٨- عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَىٰ، قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَىٰ»[٢].

هذا الحديث يرد قول الخوارج ومن وافقهم من الرافضة: إن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار إذا مات من غير توبة، وكذا قول المعتزلة: إنه فاسق مخلد في النار[٣].

٩- عن عَبْدِ الله بن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[٤].

١٠- عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ شَيْءٍ»[٥].

فهذه النصوص دلت علىٰ أن صاحب الكبيرة لا يكفر مع الإيمان،

---

(١) **انظر**: فتح الباري (١٢/ ٧٨).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٨٧)، ومسلم (٩٤).
(٣) **انظر**: فتح الباري (١٢/ ٦٢).
(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).
(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٠٩)، ومسلم (١٩٣).

وأنه يخرج من النار بالشفاعة خلافا للمبتدعة[١].

قوله: «مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ»: أي ما لم يعتقد حل هذا الذنب، فإن اعتقد حله كفر؛ لأنه كذَّب ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن فعل الذنب غير مستحل له لم يكفر، ولكنه ينقص إيمانه بقدر الذنب.

وفي هذا رد على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بجميع الذنوب.

والدليل على أن الاستحلال كفر: حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ**»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣١]، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»[٢].

مسألة [١]: أقوال الناس في مرتكب الكبيرة:

اختلف الناس في مرتكب الكبيرة على خمسة أقوال[٣]:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٩٢-٩٣).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢١٣)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٢٧-١٣٧)، والملل والنحل (١/ ٤٧، ١١٥، ١٣٤، ١٣٩).

أحدها: كافر في الدنيا، خالد مخلد في النار في الآخرة، وهذا قول الخوارج.

استدلوا بأدلة الوعيد، ومنها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢].

قالوا: إن الله قسم الناس قسمين: مؤمن، وكافر، ولا ثمة قسم ثالث، فمن فسق كفر.

أجيب بأن الآية جاءت علىٰ سبيل التبعيض، وأن هناك قسم ثالث، وهم عصاة الموحدين، ولم تدل الآية علىٰ أن العصاة كفار[1].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

قالوا: هذه الآية تشمل جميع أهل الذنوب؛ لأن مرتكب الكبيرة لابد وأنه حكم بغير ما أنزل الله، وشملت الفساق؛ لأن الذي لم يحكم بما أنزل الله يجب أن يكون كافرا، والفاسق لم يحكم بما أنزل الله حين فعل الذنب.

أجيب بأن الآية نزلت في كفّار أهل الكتاب؛ لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات نزلت فيهم، وهم المعنيُّون بها، وقيل: معنىٰ الآية: ومن لم

(١) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي «ت ٧٤٥هـ» (١٠/ ١٨٨).

يحكم بما أنزل الله جاحدًا به، أما من حكم بغير ما أنزل الله غير جاحد فهو ظالم فاسقٌ[(١)].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾[سبأ:١٧].

قالوا: هذه الآية تثبت أن الله لا يجازي إلا الكافر، والفاسق ثبتت مجازاته فيكون كافرا.

أجيب بأن المجازاة ليست خاصة بالكفار فقط، بل إن الله يجازي الأنبياء والمؤمنين، وأن الآية في سياق ما حل بأهل سبأ[(٢)].

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٣)].

قالوا: هذا الحديث يدل علىٰ نفي الإيمان بالكلية عمن فعل كبيرة من الكبائر.

أجيب بأنه لا حجة فيه، والقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ

---

(١) **انظر**: تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٢) **انظر**: السابق (٢٠/ ٣٨٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

التي تطلق علىٰ نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره؛ كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة[(١)].

القول الثاني:مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين في الدينا، خالد مخلد في النار في الآخرة، وهذا قول المعتزلة.

عللوا ذلك بأن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سُمي المرء مؤمنا، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير وما استحق اسم المدح، فلا يسمىٰ مؤمنا، وليس هو بكافر مطلقا أيضا؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا علىٰ كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار خالد فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار[(٢)].

أجيب بأن مرتكب الكبيرة لا يحكم بإيمانه إيمانا كاملا، ولكن يقال: هو مؤمن ناقص الإيمان، فلا ينتفي عنه الإيمان بالكلية بفسقه إلا إذا خرج من الإسلام.

ولا دين إلا الإسلام أو الكفر، من خرج من أحدهما دخل في

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٢/ ٤١).

(٢) **انظر**: الملل والنحل (١/ ٤٨).

الآخر ولا بد؛ إذ ليس بينهما وسيطة(١).

القول الثالث: لا يضر مع الإيمان ذنب، وهو قول المرجئة.

استدلوا بنصوص الوعد، ومنها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء:٤٨].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزُّمَر:٥٣].

٣- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»(٢).

٤- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»(٣).

٥- عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ

---

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل (٣/ ١٢٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩).

فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَىٰ، قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَىٰ»(١).

٦- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الموجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(٢).

٧- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حديث الشفاعة، وفيه: «فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الملَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ(٣)، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ(٤)، مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٨٧)، ومسلم (٩٤).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣).
(٣) حميل السيل: أي غثاؤه وهو ما جاء به من طين وغيره.
(٤) ألا ترونها تكون إلىٰ الحجر أو إلىٰ الشجر: أي ألا تنظرون تلك الحبة النابتة في حميل السيل إما تكون مائلة إلىٰ الحجر، أي نابتة تحته، أو تكون نابتة إلىٰ الشجر، أي تحت الشجر.

الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ»[١].

أجيب بأن قوله: «**لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**» لا ينافي العمل مطلقا بل قد يكون لهم عمل، وإن كان قليلا.

القول الرابع: إن كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة، وهو قول الإباضية.

استدلوا بـ:

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم:٢٨].

أجيب بأنه لا حجة لهم في هذه الآية؛ لأن كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو ملة ولا اسم دين، فمن ادعىٰ اسم دين وملة غير الإيمان المطلق والكفر المطلق فقد أتىٰ بما لا دليل عليه[٢].

القول الخامس: مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، أو: مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته، وهو قول أهل السنة والجماعة.

قد تقدم ذكر أدلتهم علىٰ ذلك، فقد جمعوا بين أدلة الفريقين، فوافقوا الحق الذي لا ريب فيه.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٨٣).
(٢) **انظر:** الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل (٣/ ١٢٩).

وفي إجماع الأمة كلها دون مخالف علىٰ أن مرتكب الكبيرة مأمور بالصلاة مع المسلمين، وبصوم شهر رمضان والحج، وبأخذ زكاة ماله، وإباحة نكاحه وموارثه، وأكل ذبيحته، وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة، وتحريم دمه وماله، دليل علىٰ أنه مؤمن فاسق ناقص الإيمان عن المؤمن الذي ليس بفاسق(١).

مسألة [٢]: سبب مقالة المعتزلة:

السبب في قول المعتزلة: مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين أنه دخل واحد علىٰ الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرةُ عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل علىٰ مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟

فتفكر الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلىٰ أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به علىٰ جماعة من

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٣٧).

أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة[١].

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٤٧-٤٨).

[الذنوب تؤثر في الإيمان]

وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذَنْبٌ لمنْ عَمِلَه.

الشرح

قوله: «وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمَانِ ذَنْبٌ لمنْ عَمِلَه»: كما قالت المرجئة، فيزعمون أن الإيمان مجرد التصديق فقط، والعمل لا يدخل في الإيمان، فمن أقرَّ بقلبه، فلا يضره شيء من الذنوب.

والحق أن الذنوب لها تأثير علىٰ الإيمان بحسبها، فكلما عظُم الذنب نقص الإيمان، وقد تواترت الأدلة علىٰ ذلك، منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣].

٢- عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَنِ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**»(١).

٣- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»(١).

٤ - عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ»(٢).

٥ - عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»(٣).

٦ - عَنْ مَعْقِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»(٤).

ومعنىٰ هذه الأحاديث أن مرتكب هذه الذنوب من المؤمنين لا يدخل العالي من الجنان التي هي دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب(٥).

وقد جهل معنىٰ هذه الأحاديث فرقتان:

أحداها: المعتزلة والخوارج، واحتجوا بها، وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد في النار، محرم عليه الجنان.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٥).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢).
(٥) انظر: التوحيد، لابن خزيمة «ت ٣١١هـ» (٢/ ٤٧٤).

الفرقة الأخرىٰ: المرجئة كفَرَت بهذه الأخبار، وأنكرتها، ودفعتها؛ جهلا منهم بمعانيها[١].

(١) **انظر:** التوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٨٣٦).

[ضرورة الجمع بين الرجاء والخوف]

نَرْجُو للمُحْسِنينَ مِنَ المؤْمِنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهم الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نَشْهدُ لهم بالجَنَّة، ونَستَغْفِرُ لِمُسِيئِهم، ونَخَافُ عَلَيْهِم، ولا نُقَنِّطُهُم.

.... الشــرح ....

قولـه: «**نَرْجُو للمُحْسِنينَ مِنَ المؤْمِنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهم الجَنَّة بِرَحْمَتِهِ**»: أي نرجو للمحسنين الذين يعملون الصالحات أن يعفو الله عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته.

والرجاء هو حادٍ يحدو القلوب إلىٰ محبة الله وطاعته[1].

قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء:٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة:٢١٨].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ**

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

وهذا تحذير من القنوط، وحث علىٰ الرجاء عند الخاتمة، ومعنىٰ حسن الظن بالله تعالىٰ أن يظن أن الله يرحمه ويعفو عنه، وفي حال الصحة يكون خائفا راجيا ويكونان سواء.

وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلَّب الرجاء؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص علىٰ الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلىٰ الله تعالىٰ والإذعان له(٢).

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ»(٣)، أي يبعث علىٰ الحال التي مات عليها(٤).

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٢٠٩-٢١٠).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨).
(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٢١٠).
(٥) صحيح: رواه أحمد (١٦٠١٦)، والحديث متفق عليه رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عدا قوله «فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مسألة [١]: أنواع الرجاء:

الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله علىٰ نور من الله، فهو راجٍ لثوابه، ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالىٰ وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب(١).

مسألة [٢]: الفرق بين الرجاء والتمني:

الفرق بين الرجاء والتمني: أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد.

و الرجاء يكون مع بذل الجهد، وحُسن التوكل.

فالأول كحال من يتمنىٰ أن يكون له أرض يبذرها، ويأخذ زرعها.

والثاني كحال من يشق أرضه ويبذرها، ويرجو طلوع الزرع.

ولهذا أجمع العارفون علىٰ أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل(٢).

قوله: «ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم»: أي لا نأمن عليهم من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا

---

(١) **انظر**: مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

(٢) **انظر**: السابق (٢/ ٣٧).

ﵟٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ﵞ [الأعراف:٩٩].

قوله: «ولا نَشْهدُ لهم بالجَنَّة»: أي لا نشهد لأحد من المسلمين بجنة إلا من شهد لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالعشرة المبشرين بالجنة كما سيأتي تفصيله.

فأهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما الشهادة العامة فجائزة، كالشهادة للمتقين والمؤمنين بالجنة؛ كما قال تعالىٰ: ﵟإِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ﵞ [الحجر:٤٥].

وقال تعالىٰ: ﵟوَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ﵞ [التوبة:٧٢].

وكالشهادة للكفار والمنافقين بالنار؛ كما قال تعالىٰ: ﵟإِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ﵞ [النساء:١٤٥].

وقال تعالىٰ: ﵟوَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ﵞ [الحديد:١٩].

قوله: «ونَستَغْفرُ لِمُسِيئهِم»: أي ندعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر لهم ذنوبهم، كما قال تعالىٰ: ﵟوَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗﵞ [محمد:١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»(١).

وعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجم ماعزا قَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»(٢).

قوله: «ونَخَافُ عَلَيْهِم»: أي نخاف عليهم من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ بسبب ذنوبهم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون:٥٧-٦١].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٢٧)، ومسلم (٩٥١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٩٥).

يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦١]»(١).

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط(٢).

قوله: «ولا نُقَنِّطُهُم»: أي لا نقنط المذنبين منهم من رحمة الله، بل نفتح لهم باب التوبة؛ لأن الله جَلَّجَلَالُهُ يقول: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزُّمَر:٥٣]، يعني لا تيأسوا من رحمة الله؛ فإن الله يستر الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، يعني لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه إلا القوم الذين يجحدون قُدرته علىٰ ما شاءَ تكوينه(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجر:٥٦].

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وأحمد (٢٥٢٦٣)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر:** مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

(٣) **انظر:** تفسير الطبري (٢١/ ٣١١).

(٤) **انظر:** السابق (١٦/ ٢٣٢).

والقنوط: اليأس من الخير[1]، وقيل: هو أشد اليأس من الشيء[2]، وهو ضد الرجاء، أو قطع الأمل[3].

مسألة: أسباب محو الذنوب:

إن الذنوب هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب:

السبب الأول: التوبة؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة مقبولة من جميع الذنوب: الكفر، والفسوق، والعصيان.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ٣٨﴾ [الأنفال:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

السبب الثاني: الاستغفار؛ فإن الاستغفار هو طلب المغفرة، وهو من جنس الدعاء والسؤال، وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ**

---

(١) انظر: العين، مادة «قنط»، وتهذيب اللغة، مادة «قنط».

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١١٣).

(٣) انظر: القاموس المحيط، مادة «يأس».

فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»[(١)].

والتوبة تمحو جميع السيئات، وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزُّمَر:٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وأما الاستغفار بدون التوبة، فلا يلزم منه المغفرة، ولكنه سبب من الأسباب.

السبب الثالث: الأعمال الصالحة؛ فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[هود:١١٤].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَىٰ الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨)، واللفظ له.

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٥٤)، وحسنه الألباني.

مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»[(١)].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»[(٢)].

والعمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات هو العمل المقبول الذي أُريد به وجه الله تعالىٰ، وعُمل علىٰ وفق السُّنة.

السبب الرابع: الدعاء للمؤمنين؛ فإن صلاة المسلمين علىٰ الميت ودعاءهم له من أسباب المغفرة، وكذلك دعاؤهم واستغفارهم في غير صلاة الجنازة.

السبب الخامس: دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستغفاره في حياته وبعد مماته، كشفاعته يوم القيامة، فإنهم أخص الناس بدعائه وشفاعته في محياه ومماته.

السبب السادس: ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدىٰ له؛ مثل من يتصدق، أو يحج، أو يصوم عنه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في الكبرىٰ (١١٣٣٠)، وأحمد (٢٢٠١٦)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١).

السبب السابع: المصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا؛ كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الهَمِّ يُهَمُّهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**»(١).

السبب الثامن: ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين.

السبب التاسع: ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة.

السبب العاشر: ما يحصل على القنطرة قبل دخول الجنة؛ كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»(٢).

فهذه الأسباب لا تفوت كلها من المؤمنين إلا القليل(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٣).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٣٥).
(٣) **انظر**: منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٠٥-٢٣٩).

[الجمع بين الخوف والرجاء]

والأَمْنُ والإياسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الإسْلَامِ، وَسَبِيلُ الحقِّ بَيْنَهُما لأهلِ القِبْلَةِ.

الشــرح

قولـه: «والأَمْنُ والإياسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الإسْلَامِ»: أي الأمن من عـذاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وعـدم الخـوف منـه، واليـأس مـن رحمـة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ينقلان عن الإسلام.

فالأمن من عذاب الله كفر، واليأس من رحمته كفر.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء:٩٠]، أي كانوا يعبدون الله جَلَّجَلَالُهُ رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله، ورهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته(١).

وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٢١).

[الإسراء:٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾[الأعراف:٩٩].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾[الزُّمَر:٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

قوله: «وَسَبِيلُ الحقِّ بَيْنَهُما لأهلِ القِبْلَةِ»: أي أهل القبلة وهم المسلمون طريقهم في الرجاء والخوف أنهم لا يغلِّبون أحدهما علىٰ الآخر، فلا يخافون دون رجاء، ولا يرجون دون خوف، وهم بذلك بين المرجئة الذين غلَّبوا جانب الرجاء، وبين الحرورية الذين غلَّبوا جانب الخوف.

والخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوىٰ الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت[(١)].

ومن عبد الله تعالىٰ بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث علىٰ الطاعات»[٢].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٩).

[ما يخرج به العبد من الإيمان]

ولا يَخْرُجُ العبْدُ مِنَ الإيمَانِ إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه.

الشـــرح

قولـه: «ولا يَخْرُجُ العبْدُ مِنَ الإيمَانِ إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه»: أي لا يخرج المسلم من الدين إلا بجحده ما أدخله في الإسلام وهو الشهادتان.

وفي هذا رد على الخوارج والمعتزلة الذين يخرجون مرتكب الكبيرة من الإيمان.

وليس معنى كلام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن العبد لا يخرج من الإسلام إلا بالجحود فقط كما تقول المرجئة؛ لأنه قال فيما سبق: «**ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله**»، فدل هذا على أنه لا يريد الحصر في كلامه هذا، وإنما يريد الرد على من أخرجوا مرتكب الكبيرة عن الإيمان، وهم الخوارج والمعتزلة.

والجُحُود: لغة: ضدُّ الإقرار كالإنكار والمعرفة، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[النمل:١٤].

والجَحدُ: من الضيِّق والشُّحِّ، ورجُلٌ جَحْدٌ: أي قليلُ الخير(١).

(١) انظر: العين، ومقاييس اللغة، مادة «جحد».

واصطلاحا: هو نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه، ويقال فيما ينكر باللّسان دون القلب.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[الأعراف:٥١][(١)].

والجحد: إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النفي[(٢)].

مسألة: ما يخرج من الإسلام غير الجحود.

مما يخرج من الإسلام غير الجحود ما ذكره العلماء في باب الردة، مثل: صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله كالسجود، والطواف، والذبح، والخوف، والمحبة، وغيرها.

ومثل الشك في وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو في نبوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو في اليوم الآخر، ونحوه من أركان الإيمان.

وكسب الله، أو سب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الاستهزاء بشيء من الدين.

وكاعتقاد حل ما أجمع المسلمون علىٰ تحريمه، أو العكس[(٣)].

---

(١) **انظر:** المفردات في غريب القرآن، صـ(١٨٧، ٦٦٣).

(٢) **انظر:** التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، صـ(١٢١).

(٣) **انظر:** المغني، لابن قدامة «ت ٦٢٠هـ» (١٢/ ٢٦٣، وما بعدها).

[تعريف الإيمان]

والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسانِ، والتصديقُ بالجَنَانِ.

الشــرح

قولـه: «والإيمـانُ: هـو الإقْـرارُ باللِّسـانِ، والتصـديقُ بالجَنَـانِ»:

هذا تعريف الإيمان عند مرجئة الفقهاء، وهم أبو حنيفة وأصحابه، فقد أخرجوا العمل عن مسمىٰ الإيمان.

أما الإيمان عند السلف فهو قول، وعمل، يزيد وينقص.

وليس الخلاف بينهم وبين السلف خلافا صوريا كما زعم ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل خلاف حقيقي يترتب عليه أحكام[1]، ولو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقية في إنكارهم أن العمل من الإيمان لاتفقوا معهم علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته ونقصه بالمعصية مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية علىٰ ذلك ولكن الحنفية أصروا علىٰ القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان وتكلفوا في تأويلها تكلفا ظاهرا بل باطلا .

ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صوريا، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق بل كإيمان

(١) انظر: تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ العقيدة الطحاوية (١/ ٧٩٠).

الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كيف وهم بناء على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم - مهما كان فاسقا فاجرا - أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، بل يقول: أنا مؤمن حقا، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢-٤]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:١٢٢]، وبناء على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر، وفرَّعوا عليه أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالمرأة الشافعية وتسامح بعضهم - زعموا - فأجاز ذلك دون العكس وعلل ذلك بقوله: تنزيلا لها منزلة أهل الكتاب[1].

مسألة [١]: تعريف الإيمان في اللغة:

الإيمان: مصدر آمن يؤمن إيمانا؛ فهو مؤمن[2]، وأصل الأَمن: طمأنينة النفس، وزوال الخوف[3].

والإيمان هو التّصديق نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، أي: بمُصَدِّق[4]، ولم يختلف أهل التفسير في هذا

(١) انظر: العقيدة الطحاوية بتعليقات الشيخ الألباني، صـ(٦٢).
(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «أمن».
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٩٠)، ومقاييس اللغة، مادة «أمن».
(٤) انظر: العين، مادة «أمن».

المعنىٰ[(١)].

والإيمان: ضد الكفر، يقال: آمن به قوم، وكذب به قوم[(٢)].

واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق[(٣)].

مسألة [٢]: الفرق بين التصديق والإيمان:

ليس التصديق مرادفا للإيمان، وذلك من وجوه[(٤)]:

أحدها: أن يقال للمخبر إذا صدقته: صدَّقه، ولا يقال: آمِنه وآمن به، بل يقال: آمن له كما قال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[العنكبوت:٢٦]، وقال: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾[يونس:٨٣]، وقال فرعون: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾[طه:٧١].

وإنما يقال: آمنت له كما يقال: أقررت له فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق مع أن بينهما فرقا.

الثاني: أن الإيمان ليس مرادفا للفظ التصديق في المعنىٰ؛ فإن التصديق يقال لمن أخبر عن مشاهدة أو غيب كمن قال: السماء فوقنا، أما الإيمان فلا يستعمل في لغة العرب إلا في الخبر عن غائب.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٩).

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «أمن».

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٦٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٩٠-٢٩٣).

الثالث: أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أو كذبت، ولا يقال لكل مخبر: آمنا له أو كذبناه؛ ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط عُلم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط.

والخلاصة أن الإيمان شيء زائد عن التصديق، وأقرب إلىٰ الإقرار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد»[(١)].

مسألة [٣]: تعريف الإيمان في الشرع:

اختلف أهل القِبلة في مسمىٰ الإيمان في عُرف الشرع علىٰ أربع فرق[(٢)]**:**

الفرقة الأولىٰ: الإيمان فعل القلب فقط، وهؤلاء قد اختلفوا علىٰ قولين:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٣٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين «ت ٣٢٤هـ» (١/ ١١٤-١٢١)، والانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية، للعمراني (٣/ ٧٣٦-٧٣٧)، وعمدة القاري (١/ ١٠٢-١٠٤).

أحدهما: الإيمان مجرد التصديق بالقلب لا غير، أي تصديق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما عُلم مجيئه به بالضرورة تصديقا جازما مطلقا، أي سواء كان لدليل، أو لا.

فقولهم: «**مجرد التصديق**» إشارة إلىٰ أنه لا يعتبر فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح.

والتقييد بالضرورة؛ لإخراج ما لا يعلم بالضرورة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء به، كالاجتهاديات، كالتصديق بأن الله تعالىٰ عالم بالعلم أو عالم بذاته، والتصديق بكونه مرئيا أو غير مرئي، فإن هذين التصديقين وأمثالهما غير داخلة في مسمىٰ الإيمان، فلهذا لا يكفر منكر الاجتهاديات بالإجماع.

والتقييد بالجازم؛ لإخراج التصديق الظني؛ فإنه غير كاف في حصول الإيمان، والتقييدُ بالإطلاق؛ لدفع وهم خروج اعتقاد المقلد؛ فإن إيمانه صحيح عند الأكثرين.

وهذا قول **الأشعرية، والقاضي عبد الجبار، والأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، والحسين بن الفضل**، وغيرهم[(١)].

الثاني: الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط، وما سوىٰ المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٥-١٠٦)، والإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء «ت٤٥٨هـ»، صـ(١٣٨-١٣٩).

والمحبة لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان، ولا بركن فيه ولا شرط حتىٰ أن من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقرَّ به فهو مؤمن كامل الإيمان، وأما معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر فإنها غير داخلة في حد الإيمان، وهو قول **جهم بن صفوان**(١).

الفرقة الثانية: الإيمان عمل باللسان فقط، وهم أيضا فريقان:

الأول: الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، ولكن شرط كونه إيمانا حصول المعرفة في القلب فالمعرفة شرط لكون الإقرار اللساني إيمانا؛ لأنها داخلة في مسمىٰ الإيمان، وهو قول **غيلان بن مسلم الدمشقي، والفضل الرقاشي**.

الثاني: الإيمان هو الإقرار والتصديق بالشهادتين باللسان فقط دون التصديق بالقلب، وإن لم يعرف بقلبه من غير عمل، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا مؤمنين علىٰ الحقيقة، وهو قول **الكرَّامية**(٢)، وهذا لا يعرف لأحد قبل

---

(١) **انظر**: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤)، والفرق بين الفرق، لأبي منصور الأسفراييني، صـ (١٩٩)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٥)، والإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ (١٤١).

(٢) **انظر**: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠-١٢١)، والفرق بين الفرق، صـ (١٩٠)، والملل والنحل (١/ ١١٣)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٦).

الكرامية[١].

الفرقة الثالثة: الإيمان عمل القلب واللسان معا، وقد اختلف هؤلاء علىٰ أقوال:

الأول: أن الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب من غير عمل، وهو قول **أبي حنيفة** وبعض الفقهاء، وبعض المتكلمين[٢].

الثاني: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معا، وهو قول بشر المَريسِي، وغيره.

الثالث: أن الإيمان إقرار باللسان وإخلاص بالقلب.

واختلفت هذه الفرقة هل الإقرار باللسان ركن في الإيمان، أم شرط له في حق إجراء الأحكام؟

القول الأول: هو شرط لذلك حتىٰ أن من صدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع ما جاء به من عند الله تعالىٰ فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالىٰ، وإن لم يقر بلسانه، وقال النسفي: هو المروي عن أبي حنيفة، وإليه ذهب الأشعري في أصح الروايتين، وهو قول أبي منصور الماتريدي.

القول الثاني: هو ركن لكنه ليس بأصلي له كالتصديق، بل هو ركن

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٩٥).

(٢) **انظر**: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٩)، والملل والنحل (١/ ١١٣)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٦)، وشرح الفقه الأكبر، للقاري، صـ (١٨٠-١٨١).

زائد، ولهذا يسقط حال الإكراه والعجز، وقالوا: إن كونه ركنا زائدا مذهب الفقهاء، وكونه شرطا لإجراء الأحكام مذهب المتكلمين.

الفرقة الرابعة: الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان بالشهادتين، والعمل بالجوارح، وهو قول أصحاب الحديث ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي، وبعض متقدمي الأشاعرة كأبي علي الثقفي، وأبي العباس القَلَانسي، وأبي عبد الله بن مجاهد[(١)]، وهو مذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية[(٢)].

مسألة [٤]: الفرق بين مذهب السلف، ومذهب المعتزلة، ومذهب الخوارج في الإيمان.

الفرق بين هذه المذاهب هو أن من ترك شيئا من الطاعات سواء أكان من الأفعال أو الأقوال خرج من الإيمان عند المعتزلة ولم يدخل في الكفر بل وقع في مرتبة بينهما يسمونها منزلة بين المنزلتين.

وعند الخوارج دخل في الكفر؛ لأن ترك كل واحدة من الطاعات

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٢٦-٢٢٧)، وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلىٰ الفراء «ت ٥٢٦هـ» (١/ ٥٢٦)، والشريعة، للآجري «ت٣٦٠هـ» (٢/ ٦١١)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ١١٩، ١٤٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٩١١، وما بعدها)، والإيمان، لابن منده «ت٣٩٥هـ» (١/ ٣٤١، وما بعدها)، وشرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد «ت٧٠٢هـ»، صـ(٣٣)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٥٩-٤٦٢)، ولوامع الأنوار (١/ ٤٠٤).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٠، ٧٧)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٦)، والإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٣٦).

كفر عندهم.

وعند السلف لم يخرج من الإيمان(١).

مسألة [٥]: أدلة المرجئة علىٰ قولهم في تعريف الإيمان:

استدلت المرجئة بعدة أدلة من أشهرها:

الدليل الأول: قالوا: الإيمان في اللغة هو التصديق، والرسول إنما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها، فيكون مراده بالإيمان التصديق؛ ثم قالوا: والتصديق إنما يكون بالقلب واللسان أو بالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان، وعمدتهم في أن الإيمان هو التصديق قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، أي: بمصدِّق لنا(٢).

أجيب بما يلي:

١- أن لفظ التصديق ليس مرادفا للفظ الإيمان كما تقدم في المسألة الثانية.

٢- أن لفظ التصديق ليس خاصا بالقلب، وإنما يدخل فيه العمل كما في قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّىٰ وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ**»(٣).

---

(١) انظر: عمدة القاري، للعيني (١/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٩/ ٢٣٩)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٨٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

وقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي القَلْبِ وَصَدَّقَهُ العَمَلُ»[(١)].

فقد أطلق لفظ التصديق علىٰ العمل في كلا الروايتين[(٢)].

٣- إن الاستدلال باللغة هنا غير صحيح؛ لأن الخلاف بين المرجئة والسلف في معنىٰ الإيمان الشرعي، وليس في معناه اللغوي، والشارع له اصطلاحات خاصة مثل: لفظ الصلاة والزكاة والحج، وهذه الألفاظ لها معانٍ في اللغة، ولكن الشارع وضع لها حدودا، فإذا جاءت في الشرع صُرفت للمعنىٰ الشرعي، وكذلك لفظ الإيمان إذا كان معناه في اللغة التصديق، فلا يلزم أن يكون هو معناه في الشرع، بل إن الشارع قد أضاف إلىٰ التصديق الأعمال والأقوال، وسمىٰ الكل إيمانا فيكون الشارع أراد بلفظ الإيمان معنىٰ خاصًّا به كما أراد بلفظ الصلاة معنىٰ خاصًّا[(٣)].

قال العلماء: حجة الجهمية والكرَّامية والأشعرية ومن ذهب مذهب أبي حنيفة حجة واحدة، وهي أن القرآن إنما أنزل القرآن بلغة العرب، وقد خاطبنا الله تعالىٰ ورسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، والإيمان في اللغة هو التصديق فقط، والعمل بالجوارح لا يسمىٰ في اللغة تصديقا،

---

(١) انظر: الإيمان، لابن أبي شيبة، صـ (٣٨).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٩٣-٢٩٤).
(٣) انظر: السابق (٧/ ٢٨٩-٢٩٦).

فلا يكون إيمانا.

أجيب بأن قولهم: الإيمان هو التصديق في اللغة حجة علىٰ الأشعرية والجهمية والكرامية مبطلة لأقوالهم إبطالا تاما كافيا لا يحتاج معه إلىٰ غيره، وذلك قولهم: إن الإيمان في اللغة التي بها نزل القرآن هو التصديق فليس كما قالوا علىٰ الإطلاق، وما سمي قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان إيمانا في لغة العرب، وما قال قط عربي أن من صدق شيئا بقلبه فأعلن التكذيب به بقلبه وبلسانه فإنه لا يسمىٰ مصدقا به أصلا ولا مؤمنا به ألبتة، وكذلك ما سمي قط التصديق باللسان دون التصديق بالقلب إيمانا في لغة العرب أصلا علىٰ الإطلاق، ولا يسمىٰ تصديقا في لغة العرب، ولا إيمانا مطلقا إلا من صدق بالشيء بقلبه ولسانه معا، فبطل بذلك تعلق الجهمية والأشعرية باللغة جملة.

ولو كان ما قالوه صحيحا لوجب أن يطلق اسم الإيمان علىٰ كل من صدق بشيء ما، ولكان من صدق بإلهية الحلَّاج وبإلهية المسيح وبإلهية الأوثان مؤمنين؛ لأنهم مصدقون بما صدقوا به، وهذا لا يقوله أحد ممن ينتمي إلىٰ الإسلام، بل قائله كافر عند جميعهم، ونص القرآن يكفر من قال بهذا؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، فقد شهد الله عَزَّوَجَلَّ بأن قوما يؤمنون ببعض الرسل وبالله تعالىٰ، ويكفرون ببعض، فلم يجز مع ذلك أن يطلق عليهم اسم الإيمان أصلا، بل أوجب لهم اسم الكفر(١).

الدليل الثاني: قالوا: لو كان العمل يسمىٰ إيمانا لكان من ضيع منه شيئا فقد أضاع الإيمان، ووجب أن لا يكون مؤمنا.

أجيب بأننا لا نسمي في الشريعة اسما إلا إذا نص الشارع عليه، أو أباح لنا تسميته؛ لأننا لا ندري ما أراد الله عَزَّوَجَلَّ منا إلا بوحي.

فنحن لا نسمي مؤمنا إلا من سماه الله عَزَّوَجَلَّ مؤمنا، ولا نسقط الإيمان بعد وجوبه إلا عمن أسقطه الله عَزَّوَجَلَّ عنه، ولم يسقط الله اسم الإيمان عمن ترك بعض الأعمال التي سماها إيمانا؛ لذلك نقول: إنه ضيع بعض الإيمان، ولم يضيع كله كما جاء النص(٢).

الدليل الثالث: قالوا: قد فرق الله في كتابه بين الإيمان والعمل؛ فقال في غير موضع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٧]، والعطف يقتضي المغايرة(٣).

أجيب بأن عطف الشيء علىٰ الشيء في القرآن ولغة العرب يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٠٦-١٠٧).
(٢) انظر: السابق (٣/ ١٠٧).
(٣) انظر: شرح الفقه الأكبر، صـ (١٨٧).

والمعطوف عليه في الحكم الذي ذُكر لهما.

والمغايرة لها أربعة مراتب:

الأولىٰ: أن يكون المعطوف والمعطوف عليه متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جُزْأه، مثل قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام:١]، و ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[آل عمران:٣]، وهو الغالب.

الثانية: أن يكون بينهما لزوم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٣٦]، فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه.

الثالثة: عطف بعض الشيء عليه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[البقرة:٢٣٨]، فالصلاة الوسطىٰ بعض الصلوات.

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[القدْر:٤].

الرابعة: عطف الشيء علىٰ الشيء؛ لاختلاف الصفتين كقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[الأعلىٰ:١-٣]، وإنما عطف ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ علىٰ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾؛ لاختلاف الصفتين[١].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٧٢-١٧٧).

وعطف العمل الصالح علىٰ الإيمان من عطف الخاص علىٰ العام، وعطفه علىٰ الإيمان؛ للاهتمام به[(١)].

الدليل الرابع: قالوا: إن الله خاطب الإنسان بالإيمان قبل وجود الأعمال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[المائدة:٦].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩].

أجيب بأنكم إن قلتم: إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان، وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه، فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾[آل عمران:٩٧].

ولهذا لم يجئ ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان كحديث وفد عبد القيس، وإنما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وجبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام، فلما فُرض أدخله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الإيمان إذا أُفرد، وأَدخله في الإسلام إذا قُرن

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٠٢).

بالإيمان، وإذا أُفرد[١].

الدليل الخامس: لو أن رجلا آمن بالله ورسوله ضحوة، ومات قبل أن يجب عليه شيء من الأعمال مات مؤمنا وكان من أهل الجنة، فدل علىٰ أن الأعمال ليست من الإيمان.

أجيب بأن هذا لا يدل علىٰ كون الإيمان هو التصديق فقط؛ لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فمن صدق بالقلب ولم يجد فرصة للإقرار بأن كان أبكم مثلا فهو مؤمن، وكذا لو صدق وأقر ومات علىٰ الفور فهو مؤمن؛ لأنه التزم شرائع الإيمان وعزم علىٰ العمل بالأركان، فهذا العزم يعتبر في حقه كأنه عمل بالأركان، غير أنه لم يجد فرصة، فمثل هذا كيف يكون حجة بأن الإيمان هو التصديق فقط؟ وهذا ظاهر لمن وفقه الله للهداية[٢].

الدليل السادس: نحن لا نسلم أن الإيمان يزيد بمعنىٰ أنه كان كلما أنزل الله آية وجب التصديق بها، فانضم هذا التصديق إلىٰ التصديق الذي كان قبله.

أجيب بأنهم حتىٰ بعد كمال ما أنزل الله ما بقي الإيمان يتفاضل عندهم بل إيمان الناس كلهم سواء؛ إيمان السابقين الأولين كأبي بكر

---

(١) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٩٧).

(٢) **انظر:** أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، صـ (٣٦٨-٣٦٩).

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإيمان أفجر الناس[(١)].

الدليل السابع: المرجئة المتكلمون منهم، والفقهاء منهم يقولون: إن الأعمال قد تسمىٰ إيمانا مجازا؛ لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه، ولأنها دليل عليه، ويقولون: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ**»[(٢)] مجاز[(٣)].

أجيب بأن الأصل في الكلام الحقيقة، والمجاز يحتاج إلىٰ دليل، ولأنه قال في بعض الآيات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾[الأنفال:٣]، وهذا تأكيد بوصفه الإيمان بذلك[(٤)].

مسألة [٦]: أدلة أهل السنة علىٰ أن العمل من الإيمان:

تواترت الأدلة علىٰ أن العمل من الإيمان، ومنها:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾[البقرة:١٤٣]، أي صلاتكم[(٥)] إلىٰ بيت المقدس قبل ذلك لا يضيع[(٦)].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٩٥).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.
(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٩٥).
(٤) **انظر**: الإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٤٣-١٤٤).
(٥) **انظر**: تفسير الطبري (٣/ ١٦٧).
(٦) **انظر**: تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٨).

تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [الأنفال:٢-٣]، فبين أن جميع ما تقدم مما به يصير المؤمن مؤمنا(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد:٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحُجُرات:١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [الأحزاب:٤١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:٧١]، دلت هذه الآية علىٰ أن كل ما ذُكر فيها مما يصير به المؤمن

---

(١) انظر: الإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٤١).

مؤمنا[١]، كذلك الآيات المتقدمة.

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لوفد عبدِ القَيس: «**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**»[٢]، فجعل ذلك كله من الإيمان[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[٤].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ**»[٥].

وحُكي عن الشيخ أبي عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإسلامُ أنْ تشهدَ أنَ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله وتقيمَ الصلاةَ ...**»، ثم فسر الإيمان بقوله: «**أن تؤمنَ بالله تعالىٰ وملائكته ...**»، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا بيان أصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، وبيان أصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكمُ

---

(١) انظر: الإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٤٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧).
(٣) انظر: الإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٣٥).
(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في الكبرىٰ (٩١٠٩)، وأحمد (٧٤٠٢)، وصححه الألباني.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

الإسلام في الظاهر ثبت في الشهادتين، وإنما أضاف إليها الصلاة والزكاة والصوم والحج؛ لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يصح إسلامه[١].

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ تَعَالَىٰ وَإِيَّاكُمْ أَنِّي قَدْ تَصَفَّحْتُ القُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يُدْخِلِ المُؤْمِنِينَ الجَنَّةَ بِالإِيمَانِ وَحْدَهُ، بَلْ أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَبِمَا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: الإِيمَانُ: المَعْرِفَةُ، وَرَدٌّ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: المَعْرِفَةُ وَالقَوْلُ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قَائِلِ هَذَا»[٢].

مسألة [٧]: أقوال بعض أهل العلم في أن العمل من الإيمان:

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَ الإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُمْ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، لَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِالآخَرِ»[٣].

وقال البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَهْلِ الحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالمَدِينَةِ وَالكُوفَةِ وَالبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَبَغْدَادَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ لَقِيتُهُمْ كَرَّاتٍ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ ثُمَّ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، أَدْرَكْتُهُمْ وَهُمْ

---

(١) انظر: شرح الأربعين، لابن دقيق العيد، صـ (٣٣-٣٤).
(٢) انظر: الشريعة، للآجري (٢/ ٦١٦).
(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٦).

مُتَوَافِرُونَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، أَهْلَ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالجَزِيرَةِ مَرَّتَيْنِ، وَالبَصْرَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي سِنِينَ ذَوِي عَدَدٍ بِالحِجَازِ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، وَلَا أُحْصِي كَمْ دَخَلْتُ الكُوفَةَ وَبَغْدَادَ مَعَ مُحَدِّثِي أَهْلِ خُرَاسَانَ، مِنْهُمْ .... وَاكْتَفَيْنَا بِتَسْمِيَةِ هَؤُلَاءِ كَيْ يَكُونَ مُخْتَصَرًا وَأَنْ لَا يَطُولَ ذَلِكَ، فَمَا رَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ: أَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللهِ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيّنة: ٥]»[١].

وقَال أَبو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَذْهَبُنَا وَاخْتِيَارُنَا اتِّبَاعُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي مَوْضِعِ بِدَعِهِمْ، وَالتَّمَسُّكُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الأَثَرِ مِثْلِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبِي عُبَيْدٍ القَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَالشَّافِعِيِّ.

وَلُزُومُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالذَّبُّ عَنِ الأَئِمَّةِ المُتَّبِعَةِ لِآثَارِ السَّلَفِ، وَاخْتِيَارُ مَا اخْتَارَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الأَئِمَّةِ فِي الأَمْصَارِ مِثْلُ: مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي المَدِينَةِ، وَالأَوْزَاعِيِّ بِالشَّامِ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ بِمِصْرَ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ بِالعِرَاقِ مِنَ الحَوَادِثِ مِمَّا لَا يُوجَدُ فِيهِ رِوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ..... وَاخْتِيَارُنَا أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ، مِثْلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ لِمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالحَجِّ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَصَوْمِ

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣).

شَهْرِ رَمَضَانَ، وَجَمِيعِ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَىٰ عِبَادِهِ، العَمَلُ بِهِ مِنَ الإِيمَانِ»[١].

وسَأَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ أَبَا ثَوْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الإِيمَانِ، وَمَا هُوَ؟ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ وَقَوْلٌ هُوَ أَوْ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؟ وَتَصْدِيقٌ وَعَمَلٌ؟ فَقَالَ أَبُو ثَوْرٍ: «سَأَلْتَ رَحِمَكَ اللهُ وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكَ عَنِ الإِيمَانِ مَا هُوَ؟ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ وَقَوْلٌ هُوَ، أَوْ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَتَصْدِيقٌ وَعَمَلٌ؟ فَأُخْبِرُكَ بِقَوْلِ الطَّوَائِفِ وَاخْتِلَافِهِمْ: فَاعْلَمْ يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ الإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ»[٢].

وقال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ المُسْلِمِينَ أَنَّ الإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَىٰ جَمِيعِ الخَلْقِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ بِالقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ المَعْرِفَةُ بِالقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِيءُ مَعْرِفَةٌ بِالقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، حَتَّىٰ يَكُونَ عَمَلٌ بِالجَوَارِحِ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الخِصَالِ كَانَ مُؤْمِنًا، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ القُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ عُلَمَاءُ المُسْلِمِينَ»[٣].

وقال ابنُ عبدِ البرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ أَهْلُ الفِقْهِ وَالحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠٢).
(٢) انظر: السابق (٤/ ٩٣١).
(٣) انظر: الشريعة، للآجري (٢/ ٦١١).

الإيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَالإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ إِلَّا مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَىٰ أَنَّ الطَّاعَاتِ لَا تُسَمَّىٰ إِيمَانًا»(١).

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَذَكَرَ المُرْجِئَةَ: «هُوَ رَأْيٌ مُحْدَثٌ أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَىٰ غَيْرِهِ»(٢).

وقَالَ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَا يَسْتَقِيمُ الإِيمَانُ إِلَّا بِالقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الإِيمَانُ وَالقَوْلُ إِلَّا بِالعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الإِيمَانُ وَالقَوْلُ وَالعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ، فَكَانَ مَنْ مَضَىٰ مِمَّنْ سَلَفَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ، العَمَلُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ مِنَ العَمَلِ، وَإِنَّمَا الإِيمَانُ اسْمٌ جَامِعٌ كَمَا جَمَعَ هَذِهِ الأَدْيَانَ اسْمُهَا، وَتَصْدِيقُهُ العَمَلُ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ ذَلِكَ بِعَمَلِهِ، فَذَلِكَ العُرْوَةُ الوُثْقَىٰ الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِعَمَلِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَكَانَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ»(٣).

وقال ابنُ رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما إطلاقُ اسْمِ الإيمَانِ علىٰ الأعْمالِ

---

(١) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).

(٢) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١١)، والسنة، للخلال «ت٣١١هـ» (٤/ ٧٢)، والشريعة، للآجري (٢/ ٦٨٢)، والإبانة الكبرىٰ «ت٣٨٧هـ» (٢/ ٩٠٣).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٦)، وحلية الأولياء، للأصبهاني «ت٤٣٠هـ» (٦/ ١٤٣)، والإبانة الكبرىٰ (٢/ ٨٠٧).

فَمتفقٌ عليهِ عِندَ أَهلِ الحقِّ، ودلائلُه أكثرُ مِن أن تُحصرَ»[١].

وقال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر كلام الأوزاعي المتقدِّم: «هذا معروفٌ عن غير واحدٍ من السلفِ والخلفِ؛ وأنهم يجعلونَ العملَ مصدِّقًا للقولِ»[٢].

وقال أيضا: «إن الإيمانَ قولٌ وعملٌ عند أهلِ السنةِ من شعائرِ السنة وحكىٰ غيرُ واحدٍ الإجماعَ علىٰ ذلكِ»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث وهو المنسوب إلىٰ أهل السنة أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[٤].

مسألة [٨]: زيادة الإيمان ونقصانه:

أجمع السلف علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص.

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَفَضَّلَ بِالإِيمَانِ عَلَىٰ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الرَّحْمَةُ فِي كِتَابِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْعِدَهُ، ثُمَّ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الإِيمَانِ مُتَفَاضِلِينَ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِيهِمْ يَزِيدُ وَيَقْوَىٰ بِالمَعْرِفَةِ وَالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ

---

(١) انظر: شرح الأربعين النووي، لابن دقيق العيد، صـ (٣٣).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٢٩٦).
(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٠٨).
(٤) انظر: السابق (٧/ ٥٠٥).

وَيَضْعُفُ بِالغَفْلَةِ وَالمَعْصِيَةِ، وَبِهَذَا نَزَلَ الكِتَابُ، وَبِهِ مَضَتِ السُّنَّةُ، وَعَلَيْهِ أَجْمَعَ العُقَلَاءُ مِنْ أَئِمَّةِ الأُمَّةِ، وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ وَلَا يُخَالِفُهُ إِلَّا مُرْجِئٌ خَبِيثٌ، قَدْ مَرِضَ قَلْبُهُ، وَزَاغَ بَصَرُهُ، وَتَلَاعَبَتْ بِهِ إِخْوَانُهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾ [الأعراف:٢٠٢]»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالصَّحَابَةُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُمْ، أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَهُوَ قَوْلُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَكَانَ ابْنُ المُبَارَكِ يَقُولُ: هُوَ يَتَفَاضَلُ وَيَتَزَايَدُ وَيُمْسِكُ عَنْ لَفْظِ يَنْقُصُ، وَعَنْ مَالِكٍ فِي كَوْنِهِ لَا يَنْقُصُ رِوَايَتَانِ، وَالقُرْآنُ قَدْ نَطَقَ بِالزِّيَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَدَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَىٰ نَقْصِهِ كَقولِهِ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٢]، وَنَحْوِ ذَلِكَ لَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ هَذَا اللفْظُ إِلَّا فِي قَوْلِهِ فِي النِّسَاءِ «نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ»[٣]، وَجَعَلَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا أَنَّهَا إِذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي، وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَىٰ أَنَّهُ يَنْقُصُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الإِيمَانَ يَتَفَاضَلُ مِنْ وَجْهَيْنِ: مِنْ جِهَةِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَمِنْ جِهَةِ فِعْلِ العَبْدِ»[٤].

---

(١) انظر: الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٨٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٥٠-٥١).

وقال أيضا: «وَكَانَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ لَمْ يُوَافِقُوا فِي إِطْلَاقِ النُّقْصَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا ذِكْرَ الزِّيَادَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَجِدُوا ذِكْرَ النَّقْصِ، وَهَذَا إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ مَالِكٍ وَالرِّوَايَةُ الْأُخْرَىٰ عَنْهُ؛ وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ كَقَوْلِ سَائِرِهِمْ: إِنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ وَبَعْضُهُمْ عَدَلَ عَنْ لَفْظِ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ إِلَىٰ لَفْظِ التَّفَاضُلِ فَقَالَ: أَقُولُ: الْإِيمَانُ يَتَفَاضَلُ وَيَتَفَاوَتُ، وَيُرْوَىٰ هَذَا عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَكَانَ مَقْصُودُهُ الْإِعْرَاضَ عَنْ لَفْظٍ وَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ إِلَىٰ مَعْنًى لَا رَيْبَ فِي ثُبُوتِهِ»(١).

والخلاصة أن الناس في زيادة الإيمان ونقصانه علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: الإيمان يزيد وينقص، وهذا يكاد يكون إجماع عند أهل السنة والجماعة، وقول بعض المرجئة.

القول الثاني: الإيمان يزيد، ولا ينقص، وهو رواية عن الإمام مالك، وابن المبارك.

القول الثالث: الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، وهو قول المرجئة.

مسألة [٩]: الأدلة علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص:

تواترت الأدلة علىٰ زيادة الإيمان، ومنها:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾[آل عمران:١٧٣].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٠٦-٥٠٧).

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنفال:٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[التوبة:١٢٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[الأحزاب:٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[المدَّثر:٣١].

قوله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[المدَّثر:٣١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ المُصَلَّىٰ، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ**

الرَّجُلِ؟» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»(٢).

وقِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ تَقْرَؤُونَ القُرْآنَ؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾[آل عمران:١٧٣] فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، قِيلَ: يَنْقُصُ؟ قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ يَزِيدُ إِلَّا وَهُوَ يَنْقُصُ»(٣).

مسألة [١٠]: تعريف «المرجئة»:

المرجئة في اللغة: مأخوذة من الإرجاء، وهو علىٰ معنيين:

أحدهما: التأخير، يقال: أرجأت الأمر وأرجيته، أي أخرته، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾[الأحزاب:٥١](٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ﴾[الأعراف:١١١]، أي أمهله وأخِّره.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩١).

(٣) **انظر**: الشريعة، للآجري (٢/ ٦٠٥)، والإبانة الكبرىٰ (٢/ ٨٥٠).

(٤) **انظر**: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، مادة «رجىٰ».

والثاني: إعطاء الرجاء(١).

أما إطلاق اسم المرجئة علىٰ الجماعة بالمعنىٰ الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية.

وأما بالمعنىٰ الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة(٢).

والمرجئة تُهمز ولا تهمز، فتقول من الهمز: رجل مرجئ، وهم المرجئة، وفي النسب مرجئي، وإذا لم تهمزه قلت: رجل مُرْجٍ ومُرْجية، ومُرْجي، مثل معطٍ، ومُعْطية، ومعطي(٣).

والمرجئة اصطلاحا: فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة(٤)، و يحكمون بأن صاحب الكبيرة لا يعذب أصلا، وإنما العذاب والنار للكفار(٥).

سبب تسميتهم بهذا الاسم:

سُموا مرجئة؛ لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم علىٰ المعاصي: أي أخره عنهم(٦).

---

(١) **انظر**: مقاييس اللغة، مادة «رجىٰ».

(٢) **انظر**: الملل والنحل (١/ ١٣٩).

(٣) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٦).

(٤) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٦)، والتعريفات، صـ(٢٠٨).

(٥) **انظر**: الكليات، للكفوي، صـ(٨٦٩).

(٦) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٦)، ولسان العرب (١/ ٨٤).

وقيل: إنما قيل لهم: مرجئة؛ لأنهم قدموا القول، وأرجؤوا العمل عن الاعتقاد، أي أخروه[(١)].

وقيل: لأنّهم يقولون: لا تضرّ مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة، فهم يعطون الرّجاء[(٢)].

وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلىٰ يوم القيامة، فلا يقضىٰ عليه بحكم ما في الدنيا؛ من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار، فعلىٰ هذا: المرجئة، والوعيدية فرقتان متقابلتان.

وقيل: الإرجاء تأخير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الدرجة الأولىٰ إلىٰ الرابعة، فعلىٰ هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان[(٣)].

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة (١١/ ١٥٧)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٥١٠).

(٢) **انظر**: كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٥١٠).

(٣) **انظر**: الملل والنحل (١/ ١٣٩).

[وجوب العمل بجميع ما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ والبَيانِ كُلُّهُ حَقٌّ.

الشــرح

قولـه: «وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ والبَيانِ كُلّهُ حَقٌّ»: أي أهل السنة والجماعة لا يفرقون بين نصوص السنة من حيث قبولها، فيقبلون كل ما صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحكام والعقائد دون النظر إلىٰ طرقه.

وهذا فيه رد علىٰ المعتزلة، والجهمية، والرافضة، وغيرهم ممن يفرقون بين النصوص المتواترة والآحاد في الاستدلال، فيردون الآحاد؛ لأنه لا يفيد العلم عندهم، ويردون المتواتر الذي ليس بقطعي الدَّلالة، وهم بذلك يشبهون اليهود في إيمانهم ببعض الكتاب، وكفرهم ببعض؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن

يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

مسألة [١]: تعريف المتواتر والآحاد.

الحديث من حيث عدد الرواة نوعان:

أحدهما: متواتر: هو ما نقله عدد لا يمكن اتفاقهم علىٰ الكذب عن مثلهم، ويستوي طرفاه والوسط، ويخبرون عن حِسي لا مظنون ويحصل العلم بقولهم، وذلك لا يضبط بعدد مخصوص.

والثاني: آحاد: هو ما لم يتوفر فيه شرط من شروط المتواتر سواء كان الراوي له واحدا، أو أكثر[(١)].

مسألة [٢]: الأدلة علىٰ قبول خبر الآحاد:

من الأدلة علىٰ قبول الآحاد:

الدليل الأول: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحُجُرات:٦].

هذه الآية تدل علىٰ الجزم بقبول خبر الواحد، وأنه لا يحتاج إلىٰ التثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتىٰ يحصل العلم،

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ١٣٣)، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفِكَر، لابن حجر، صـ(٤١-٤٦).

ومما يدل عليه أيضا أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا، وفعل كذا، وأمر بكذا، ونهىٰ عن كذا، وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة(١).

الدليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

هذه الآية نص في أن خبر الآحاد حجة في التبليغ عقيدة وأحكاما؛ فقد حض الله جَلَّ جَلَالُهُ المؤمنين علىٰ أن ينفر طائفة منهم إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليتعلموا منه دينهم ويتفقهوا فيه، ثم يرجعوا إلىٰ قومهم؛ ليبلغوا هذا العلم لهم، ولا شك أن ذلك ليس خاصا بما يسمىٰ بالفروع والأحكام، بل هو أعم، والطائفة في لغة العرب تقع علىٰ الواحد فما فوق، فلولا أن الحجة تقوم بحديث الآحاد عقيدة وحكما لما حض الله تعالىٰ الطائفة علىٰ التبليغ(٢).

قال الإمام البخاري: «وَيُسَمَّىٰ الرَّجُلُ طَائِفَةً؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحُجُرات:٩]، فَلَوِ اقْتَتَلَ رَجُلَانِ دَخَلَ فِي مَعْنَىٰ الآيَةِ»(٣).

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٧).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٨)، والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، للشيخ الألباني، صـ(٥٣-٥٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٩/ ٨٦).

الـــدليل الثالـــث: قولـــه تعـــالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، أي لا تتبعه، ولا تعمل به، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتون لله تعالىٰ بها الصفات، فلو كانت لا تفيد علما لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد اتبعوا ما ليس لهم به علم(١).

الـدليل الرابـع: عـن مَالِـكِ بْـنِ الحُـوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِـيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لـهُ ومن مَعَهُ: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

فقد أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل واحد من هؤلاء الشببة أن يعلِّم كل واحد منهم أهله، والتعليمُ يعم العقيدة، بل هي أول ما يدخل في العموم، فلو لم يكن خبر الآحاد تقوم به الحجة لم يكن لهذا الأمر معنىٰ(٣).

الـدليل الخـامس: عَـنْ أَنَـسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْـلَ الـيَمَنِ قَـدِمُوا عَلَـىٰ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَـالُوا: ابْعَـثْ مَعَنَـا رَجُـلًا يُعَلِّمْنَـا السُّـنَّةَ وَالإِسْلَامَ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ**»(٤)، فلو لم تقم الحجة بخبر الواحد لم يبعث إليهم أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده(٥).

---

(١) **انظر**: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٨).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٤٦)، ومسلم (٦٧٤).
(٣) **انظر**: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، صـ(٥٦).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٩).
(٥) **انظر**: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، صـ(٥٥).

وفي الحديث فائدة مهمة، وهي أن خبر الآحاد حجة في العقائد، كما هو حجة في الأحكام؛ لأننا نعلم بالضرورة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبعث أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أهل اليمن؛ ليعلمهم الأحكام فقط، بل والعقائد أيضا، فلو كان خبر الآحاد لا يفيد العلم الشرعي في العقيدة، ولا تقوم به الحجة فيها، لكان إرسال أبي عبيدة وحده إليهم؛ ليعلمهم، أشبه شيء بالعبث، وهذا مما يتنزه الشارع عنه، فثبت يقينا إفادته العلم[(١)].

الدليل السادس: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا**»، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَىٰ الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَىٰ الكَعْبَةِ[(٢)].

فهذا الحديث يدلُّ علىٰ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبلوا خبر الواحد في نسخ ما كان مقطوعا عندهم من وجوب استقبال بيت المقدس فتركوا ذلك، واستقبلوا الكعبة؛ لخبره، فلولا أنه حجة عندهم ما خالفوا به المقطوع عندهم من القبلة الأولىٰ[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم ينكر عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل

---

(١) **انظر**: السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٠٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٥١)، ومسلم (٥٢٦).

(٣) **انظر**: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، صـ(٥٨).

شُكِروا علىٰ ذلك»(١).

وفي صحيح البخاري: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدة مواضع، وكثير من أحاديث الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يقول فيها أحدهم: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما سمعه من صحابي غيره، وهذه شهادة من العاقل، وجزْمٌ علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما نسبه إليه من قول أو فعل، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدا علىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير علم(٢).

الدليل السابع: الإجماع.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «لو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديما وحديثا علىٰ تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبَّته جاز لي.

ولكنْ أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفتُ من أن ذلك موجودا علىٰ كلهم»(٣).

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٦).

(٢) انظر: السابق، صـ(٥٧٧).

(٣) انظر: الرسالة، للشافعي، صـ(٤٥٨).

الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ»(١)، ثم ذكر الآيات والأخبار الدالة علىٰ ذلك.

وقال القاضي أبو يعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خبر الواحد يوجب العلم إذا صح، وتلقته الأمة بالقبول، وهو يوجب العلم، وإن لم تتلقه بالقبول(٢).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها، ويفيد الظن، ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل، وذهبت القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر إلىٰ أنه لا يجب العمل به»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مذهب الحنابلة أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات(٤).

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الزعم بأن العقيدة لا تثبت بما صح من أحاديث الآحاد زعم باطل دخيل في الإسلام، لم يقل به أحد من الأئمة الأعلام كالأربعة وغيرهم، بل هو مما جاء به بعض علماء

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٩/ ٨٥).
(٢) انظر: المسودة، لآل تيمية، صـ(٢٤٨).
(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ١٣٣).
(٤) انظر: المسوَّدة، صـ(٢٤٨).

الكلام، بدون برهان من الله، ولا سلطان»[١].

وقال أيضا: «إن السنة العملية التي جرىٰ عليها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه في حياته وبعد وفاته تدل دلالة قاطعة علىٰ عدم التفريق بين حديث الآحاد في العقيدة والأحكام، وأنه حجة قائمة في كل ذلك»[٢].

(١) انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٩٦).

(٢) انظر: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، صـ(٥٥).

[التفاضل في الإيمان]

وَالإيمانُ وَاحِدٌ، وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ، والتَّفَاضُلُ بَيْنَهُم بالخَشْيَةِ والتُّقَىٰ، ومُخَالَفَةِ الهَوَىٰ، ومُلازَمَةِ الأُولىٰ.

.... **الشــرح** ....

قولـه: «وَالإيمانُ وَاحِدٌ، وأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَواءٌ»: أي لا يتفاضل الناس في أصل الإيمان، وهو التصديق، فإيمان الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كإيمان غيرهم، وإيمان أتقىٰ الناس كإيمان أفسقهم، وإيمان أصلح الناس كإيمان أفجرهم، وهذه المسألة مبنية علىٰ قول المرجئة: العمل ليس من الإيمان، كما تقدم.

وهذا باطل، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، وليس إيمان أتقىٰ الناس لله كإيمان أفسق الناس، وليس إيمان أصلح الناس كإيمان أفجرهم، فالإيمان يتفاضل في القلوب بتفاضل الاعتقاد والأعمال، فالعلماء بالله وأسمائه وصفاته إيمانهم أعظم من إيمان العامة.

ومن الأدلة علىٰ تفاضل الناس في الإيمان:

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

وهذا التقسيم لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فالظالم لنفسه: أصحاب الذنوب المُصِرُّون عليها، ومن تاب من ذنبه مهما عظم توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين.

والمقتصد: هو المؤدي للفرائض، المجتنب للمحارم.

والسابق للخيرات: هو المؤدي للفرائض والنوافل(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[الإسراء:٥٥].

ومن أصول غلط المرجئة؛ أنهم ظنوا أنه شيء واحد، وأنه يستوي فيه جميع المكلفين، فقالوا: إيمان الملائكة، والأنبياء، وأفسق الناس سواء؛ كما أنه إذا تلفظ الفاسق بالشهادتين، أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس.

وقد تبين أن الإيمان الذي أوجبه الله علىٰ عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما، فيجب علىٰ الملائكة من الإيمان ما لا يجب علىٰ البشر، ويجب علىٰ الأنبياء من الإيمان ما لا يجب علىٰ غيرهم، ويجب علىٰ العلماء ما لا يجب علىٰ غيرهم، ويجب علىٰ الأمراء ما لا يجب علىٰ غيرهم.

وليس المراد أنه يجب عليهم من العمل فقط؛ بل ومن التصديق

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٨٣).

والإقرار، فإن الناس وإن كان يجب عليهم الإقرار المجمل بكل ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأكثرهم لا يعرفون تفصيل كل ما أخبر به، وما لم يعلموه كيف يؤمرون بالإقرار به مفصلا؟ وما لم يؤمر به العبد من الأعمال لا يجب عليه معرفته ومعرفة الأمر به، فمن أُمر بحج وجب عليه معرفة ما أمر به من أعمال الحج، والإيمان بها، فيجب عليه من الإيمان والعمل ما لا يجب علىٰ غيره.

وكذلك من أُمر بالزكاة يجب عليه معرفة ما أمر الله به من الزكاة، ومن الإيمان بذلك والعمل به ما لا يجب علىٰ غيره، فيجب عليه من العلم والإيمان والعمل ما لا يجب علىٰ غيره.

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا، فإذا جاءت أمور أخرىٰ لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حُولت القبلة إلىٰ الكعبة، وطائفة نافقت لما انهزم المسلمون يوم أحد، ونحو ذلك.

وبالجملة فلا يمكن المنازعة أن الإيمان الذي أوجبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتباين فيه أحوال الناس، ويتفاضلون في إيمانهم ودينهم بحسب ذلك؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النساء «**نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ**»(١)، وقال في نقصان دينهن: «**إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**»، وهذا مما أمر الله به، ولا تعاقب عليه؛ لأنها لم تؤمر بالعبادة في هذه الحال، والرجل

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال، فدل ذلك على أن من أُمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يُؤمر بها وإن لم يكن عاصيا، فهذا أفضل دِينا وإيمانا، وهذا المفضول ليس بمعاقب ومذموم، فهذه زيادة كزيادة الإيمان بالتطوعات؛ لكن هذه زيادة بواجب في حق شخص، وليس بواجب في حق شخص غيره[1].

قوله: «والتَّفَاضُلُ بَيْنَهُم بالخَشْيَةِ والتُّقَىٰ، ومُخَالَفَةِ الهَوَىٰ، ومُلازَمَةِ الأُولىٰ»: أي التفاضل بين الناس يكون في الخشية، والتقوىٰ، ومخالفة الهوىٰ، وملازمة الأولىٰ، وهذه كلها أعمال ظاهرة خارجة عن تصديق القلب، وهذا باطل؛ لأمور:

١- أن التفاضل لا يحصل بهذه الأشياء فقط، وإنما يحصل أيضا ببقية الأعمال الصالحة.

٢- أنه يلزم منه أن من أقرَّ بقلبه، ونطق بلسانه، فهو مؤمن كامل الإيمان.

٣- أنه يلزم منه إخراج العمل عن مسمىٰ الإيمان.

والإيمان عند أهل السنة يتفاضل من وجهين:

الأول: من جهة أمر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فليس الإيمان الذي أُمر به شخص من المؤمنين هو الإيمان الذي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٥٢-٥٤).

أمر به كل شخص، فإن المسلمين في أول الأمر كانوا مأمورين بمقدارٍ من الإيمان، ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك، وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالقِبلة فكان من الإيمان في أول الأمر الإيمان بوجوب استقبال بيت المقدس، ثم صار من الإيمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة.

وأيضا فمن وجب عليه الحج، والزكاة، أو الجهاد يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب علىٰ غيره إلا مجملا، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل.

وكذلك الرجل أول ما يُسلم إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

فهذا يبين تفاضل الإيمان في نفس الأمر به، وفي نفس الأخبار التي يجب التصديق بها.

الثاني: من جهة فعل العبد.

فليس إيمان السارق والزاني والشارب كإيمان غيرهم، ولا إيمان من أدىٰ الواجبات كإيمان من أخل ببعضها كما أنه ليس دين هذا وبِرّه وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه؛ بل هذا أفضل دينا وبرا وتقوىٰ، فهو كذلك أفضل إيمانا؛ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا**

أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(١)، وقد يجتمع في العبد إيمان ونفاق، كما في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**(٢).

والأصل عند المرجئة أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل؛ بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الإيمان، وفيما يفعله العبد من الأعمال، فغلطوا في هذا وهذا(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في الكبرىٰ (٩١٠٩)، وأحمد (٧٣٩٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٥١-٥٥).

[من هم أولياء الله؟]

والمؤمنُـونَ كُلُّهُـم أَوليَـاءُ الـرَّحْمن، وأكْـرَمُهُم عِنْـدَ اللهِ أَطْوَعُهُم وَأَتْبَعُهُم لِلقُرْآنِ.

الشـرح

قـولـه: «والمؤمنُـونَ كُلُّهُـم أَوليَـاءُ الـرَّحْمن»: أي المؤمنـون جميعهم أوليـاء لله جَلَّجَلَالُهُ، ولكـن تختلـف الوَلايـة بحسـب الإيمـان، والأعمال الصالحة.

أولياء جمع ولي، وهو النصير(١).

والولي: فعيل بمعنىٰ الفاعل، وهو من توالـت طاعتـه لله تعـالىٰ، أو بمعنىٰ: المفعول، فهو من يتوالىٰ عليه إحسان الله وأفضاله(٢).

وهو مشتق من الولاء، وهو القرب كما أن العَدُو من العَدْو وهـو البعد؛ فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته(٣).

والوَلاية: النصرة، والوِلاية: تولي الأمر(٤).

---

(١) **انظر**: تفسير الطبري (١٥/ ١١٨).
(٢) **انظر**: التعريفات، صـ(٢٥٤).
(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٦٢).
(٤) **انظر**: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ(٨٨٥).

وكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا[١]، وأولياء الله المتقون هم العالمون العاملون بما بعثَ الله به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يكون لله وليٌّ إلَّا من يَتّبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن لم يَتَّبعه فهو عدوٌّ الله، لا ولي له، وإن كان له أحوال شيطانية، فهو من جنس السَّحَرةِ والكُهَّان الذين كانت الشياطين تُخْبرهم ببعض المغيبات، وتُساعِدهم علىٰ بعض مطالبهم، وهؤلاء من أعَداء الله المجرمين، لا من أوليائه المتقين، بل هم كُفار يجبُ قتلُهم، بل يُقتَلون بلا استتابةٍ عند كثير من علماء المسلمين.

واتفق أهل العلم علىٰ أنه ليس من شرط ولي الله أن لا يكون له ذنب أصلا، بل أولياء الله تعالىٰ هم الذي: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣][٢].

ومن الأدلة علىٰ أن الله جَلَّجَلَالُهُ يتولىٰ المؤمنين:

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: جامع المسائل، لابن تيمية (١/ ٢٦٧).

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة:٥٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

قوله: «وأَكْرَمُهُم عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُم وَأَتْبَعُهُم لِلقُرْآنِ»: أي أفضل المؤمنين عند الله هم أكثرهم طاعة لله جَلَّ جَلَالُهُ، وأكثرهم اتباعا لأوامر القرآن ونواهيه.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، أي أرفعكم منزلة عند ربكم أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا، ولا أكثركم عشيرة(٢)، وإنما تتفاضلون عند

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣١٢)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٦٥).

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالتقوىٰ لا بالأحساب(١).

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ**»(٢).

مسألة: الأولياء قسمان:

أولياء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هم المؤمنون المتقون، ولكن ذلك ينقسم قسمين:

أحدهما: عام: هم المقتصدون الذين أدَّوا الفرائض، واجتنبوا المحارم.

الآخر: خاص: هم السابقون الذين أدَّوا الفرائض والنوافل، واجتنبوا المحارم.

وإن كان السابقون هم أعلىٰ درجات، كالأنبياء والصديقين(٣).

---

(١) **انظر**: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠).

(٣) **انظر**: التحفة العراقية، لابن تيمية، صـ (٣٧)، ومجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٦-٧)، وأمراض القلوب وشفاؤها، صـ (٣٦).

[أصول الإيمان الستة]

والإيمانُ: هُوَ الإيمانُ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، وحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تعالَىٰ.

الشرح

قوله: «والإيمانُ هُوَ الإيمانُ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، واليوم الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، وحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ»: هذه أصول الإيمان الستة عند أهل السنة، والجماعة، وقد تقدم شرحها.

والإيمان بالله يشمل الإيمان بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وقد تقدم بيانها.

مسألة: كيفية الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الإيمان بالله علىٰ درجتين:

الأولىٰ: درجة واجبة: هي الإيمان المجمل، معناها أن يؤمن العبد بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الرب المتفرد بالربوبية، والمستحق للعبادة دون ما سواه، وبيده تدبير كل شيء، وأن أسماءه، وصفاته، وذاته لا تشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم وذواتهم.

الثانية: درجة مستحبة: هي الإيمان المفصَّل، معناها أن يؤمن العبد بكل ما وصله من أخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ كما جاء في الكتاب والسنة،

كأسمائه، وصفاته، ومعانيها، وما يستحقه من الكمال المطلق، ونحو ذلك.

ومن الأدلة على أن هذه الأصول الستة من الإيمان:

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وقوله تعالىٰ في القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر:٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان:٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[الأحزاب:٣٨].

وعن عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،

وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

قوله: «وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»: أي القدر كله من فعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، سواء كان خيرا أو شرًّا، والمراد بالشر شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن فعل الله ليس فيه شر ألبتة؛ لذا قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(٢).

ومثال ذلك: المصائب التي يصيب الله بها العبد هي شر له في الحال من حيث الشعور بالآلام، وخيرٌ باعتبار المآل من حيث تكفير الذنوب والسيئات.

مثال آخر: خلق الله عَزَّوَجَلَّ ذوات السموم، وهي شر بالنسبة إلىٰ من تصيبه، أما باعتبار نسبتها إلىٰ الله تعالىٰ، فهي خير محض.

وشر المقدور ليس شرًّا محضا، إنما فيه خير، فالمرض فيه خير وشر، خير؛ لكونه يكفِّر السيئات ويرفع الدرجات، وشرٌّ؛ لكونه يتعب الجسم.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه، فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض وكمال من وجه، فالشر ليس إلىٰ الرب تعالىٰ بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧١)، من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المقدر، ويكون شرًّا بالنسبة إلىٰ محل، وخيرا بالنسبة إلىٰ محل آخر، وقد يكون خيرا بالنسبة إلىٰ المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار، فإنه شرٌّ بالنسبة إليهم لا من كل وجه بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلىٰ غيرهم؛ لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض، وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة»(١).

قوله: «وحُلْوِهِ»: أي ما يحبه العبد ويرضىٰ عنه سواء كان طاعة لله جَلَّ وَعَلَا، أو شهوة مباحة.

قوله: «وَمُرِّهِ»: أي ما لا يحبه العبد ولا يرضاه، فيجب علىٰ العبد أن يؤمن بجميع قدر الله تعالىٰ سواء كان خيرا أو شرًّا، أو حلوا أو مرًّا.

مسألة: الفرق بين كون القدر خيرا وشرا، وكونه حلوا ومرا.

الحلاوة والمرارة تعود إلىٰ مباشرة الأسباب في العاجل.

والخير والشر يرجع إلىٰ حسن العاقبة وسوئها، فهو حلو ومُر في مبدئه وأوله، وخير وشر في منتهاه وعاقبته(٢).

قوله: «مِنَ اللهِ تَعالَىٰ»: أي كل هذا -الشر والخير، والحلو

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٢) انظر: السابق (١/ ٢٦٩).

والمر- من عند الله جَلَّجَلَالُهُ.

وقد تواترت الأدلة علىٰ ذلك، منها:

عَنْ طَاوُسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُونَ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ**»، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ العَجْزِ وَالكَيْسِ، أَوِ الكَيْسِ وَالعَجْزِ**»[(١)].

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: «**أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم: .... والقدر خيره وشره من الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أجمع أئمة السلف من أهل الإسلام علىٰ الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره، بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلا، فهو سرٌّ استأثر به، وعِلْمٌ حجبه عن**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).

خلقه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]»[(١)].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحَل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[(٢)].

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للحافظ عبد الغني المقدسي «ت ٦٠٠هـ»، صـ (٧٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٥).

[وجوب الإيمان بجميع الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ]

ونَحْنُ مُؤْمِنُون بِذَلكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُم عَلىٰ مَا جَاءُوا بِهِ.

.... **الشرح** ....

قوله: «ونَحْنُ مُؤْمِنُون بِذَلكَ كُلِّهِ»: أي نحن أهل السنة والجماعة نؤمن بجميع هذه الأصول الستة، ولا نفرق بينها في الإيمان.

قوله: «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»: أي لا نفرق بين رسل الله جَلَّ جَلَالُهُ في الإيمان، فنؤمن بهم جميعا، ومن آمن ببعضهم دون بعض كفر، ولم يحقق الإيمان.

ومن الأدلة علىٰ أن الإيمان ببعض الرسل دون بعض كفر:

١ -قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

المقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلىٰ أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من

الأنبياء ليس إيمانا شرعيا، إنما هو عن غرض وهوىٰ وعصبية؛ ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٥٠]، فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٥٠]، أي: في الإيمان ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[النساء:١٥٠]، أي: طريقا ومسلكا.

ثم أخبر تعالىٰ عنهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾[النساء:١٥١]، أي: كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلا وأقوىٰ برهانا منه، لو نظروا حق النظر في نبوته[١].

٢-قول الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾[البقرة:٢٨٥].

أي لا نفرق بين أحد من رسله، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارىٰ[٢].

وقد أوجب علىٰ عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٠١).

وحكم بكفر من آمن ببعض وكفر ببعض، فقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾[البقرة:١٣٦-١٣٧]، وقد اتفق المسلمون علىٰ ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تُعلم نبوته مثل إبراهيم ولوط وموسىٰ وداود وسليمان ويونس وعيسىٰ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتدا استتيب، فإن تاب وإلا قُتل[1].

قوله: «ونُصَدِّقُهم كُلَّهم علىٰ مَا جَاؤُوا به»: أي لا نكذب أحدا منهم فيما جاء به من الإيمان بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وكل الأنبياء والرسل أرسلوا بتوحيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وإن اختلفت شرائعهم.

ومن الأدلة علىٰ أن جميع الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ بُعثوا بتوحيد الله:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٢/ ٣٦٩-٣٧١، ٣/ ٤٣٦).

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء:٢٥].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾[الزُّخرُف:٤٥].

فكل نبي بعثه الله يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له[١].

ومن الأدلة علىٰ اختلاف شرائع الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ:

قول الله تعالىٰ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾[المائدة:٤٨]، أي الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة[٢]، ومعنىٰ الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلىٰ الحق يؤمُّه، وسبيلا واضحًا يعمل به[٣].

والخطاب للأمم الثلاث: أمة موسىٰ، وأمة عيسىٰ، وأمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وعليهم أجمعين، فالتوراة شريعة، والإنجيل شريعة، والقرآن شريعة، والدين واحد وهو التوحيد[٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٨).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٥٨).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٤).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٥٨).

«الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ[١]، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ[٢] وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ[٣]»[٤].

معنىٰ الحديث: أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف[٥]، كالصلاة، والصيام.

---

(١) **إخوة العلات**: هم إخوة لأب من أمهات شتىٰ، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: إخوة الأعيان. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١١٩)].

(٢) **أمهاتهم شتىٰ**: أي شرائعهم مختلفة. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٤٣)].

(٣) **دينهم واحد**: أي أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالىٰ وإن اختلفت صفتها. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٢٠)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٥٩)، ومسلم (٢٣٦٥).

(٥) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٢٠).

[حكم مرتكب الكبيرة]

وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُون إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوَحِّدُونَ، وإِنْ لم يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفينَ مُؤْمِنينَ وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعفَا عَنْهُم بِفَضْلِهِ، كما ذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ فِي كتابِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجَهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه، ثُمَّ يَبْعَثُهُم إِلَىٰ جَنَّتِه، وَذَلِكَ بِأَن الله تعالىٰ تَولَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلَهُم فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، ولمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ.

اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الإِسْلامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ به.

.... الشرح ....

قوله: «**وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُون إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوَحِّدُونَ**»: أي أهل الكبائر من أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخلدون في النار إذا ماتوا علىٰ التوحيد، وهذا فيه رد علىٰ الخوارج، والمعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة خالد مخلَّد في النار.

وقوله: «**مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**»: هذا تخصيص أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

دون غيرها من الأمم، ويفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفي هذا نظر، فإن النبي ﷺ أخبر أنه: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[١]، ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقا، فتأمله[٢].

والكبائر: جمع كبيرة، واختلف في تعريفها.

قال الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظُم عقوبته**»[٣].

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**هي الفِعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا، العظيم أمرها، كالقتل، والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك**»[٤].

وقال ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكبيرة ذنبٌ كبير يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبير[٥].

وقال الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**هي ما كان حرامًا محضًا، شرعت**

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٣٩)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **انظر**: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٢٤-٥٢٥).
(٣) **انظر**: المفردات في غريب القرآن، صـ(٦٩٦).
(٤) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٤٢).
(٥) **انظر**: فتاوىٰ ابن الصلاح، لابن الصلاح، صـ(١٤٨).

عليه عقوبة محضة بنص قاطع في الدنيا والآخرة»[(١)].

وقيل: الكبيرة كل ما سُمي فاحشة كاللواط، ونكاح زوجة الأب، أو ما ثبت فيه عقوبة في الدنيا والآخرة[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف الناس في الكبائر، هل لها عدد يحصرها؟ علىٰ قولين:

ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها:

فقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هي أربع.

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هي سبع.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: هي تسعة.

وقال غيره: هي أحد عشر.

وقال آخر: هي سبعون.

وقال أبو طالب المكي: جمعتُها من أقوال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فوجدتها: أربعة في القلب، وهي: الشرك، والإصرار علىٰ المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

وأربعة في اللسان، وهي: شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغَموس، والسحر.

---

(١) **انظر**: التعريفات، صـ (١٨٣).

(٢) **انظر**: الكليات، للكفوي، صـ (٧٤٢).

وثلاث في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا.

واثنان في الفرج، وهما: الزنا، واللواط.

واثنان في اليدين، وهما: القتل، والسرقة.

وواحد في الرجلين، وهو الفرار من الزحف.

وواحد يتعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين.

أما الذين لم يحصروها بعدد، فمنهم من قال: كل ما نهىٰ الله عنه في القرآن فهو كبيرة، وما نهىٰ عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو صغيرة.

وقالت طائفة: ما اقترن بالنهي عنه وعيدٌ من لعن أو غضب أو عقوبة فهو كبيرة، وما لم يقترن به شيء من ذلك فهو صغيرة.

وقيل: كل ما رتب عليه حدّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة فهو كبيرة، وما لم يرتب عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة.

وقيل: كل ما اتفقت الشرائع علىٰ تحريمه فهو من الكبائر، وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة.

وقيل: كل ما لعن الله عَزَّ وَجَلَّ، أو رسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلَه فهو كبيرة.

وقيل: هي ما ذُكِرَ من أول سورة النساء إلىٰ قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١].

والذين لم يقسموها إلىٰ كبائر وصغائر قالوا: الذنوب كلها

بالنسبة إلىٰ الجرأةِ علىٰ الله سبحانه ومعصيته ومخالفة أمره كبائر، فالنظر إلىٰ من عُصيَ أمره وانتهكت محارمه يوجب أن تكون الذنوب كلّها كبائر، وهي مستوية في هذه المفسدة.

قالوا: ويوضِّح هذا أنّ الله سبحانه لا تضرّه الذنوب ولا يتأثّر بها، فلا يكون بعضها بالنسبة إليه أكبر من بعض، فلم يبق إلا مجرد معصيته ومخالفته، ولا فرق في ذلك بين ذنب وذنب[(١)].

مسألة: متىٰ تصير الصغيرة كبيرة؟

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب منها: الإصرار والمواظبة، ولذلك قيل: لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار؛ فكبيرة واحدة تنصرم، ولا يتبعها مثلها كان العفو عنها أرجىٰ من صغيرة يواظب العبد عليها[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أصر علىٰ الصغيرة صارت كبيرة، وإذا تاب منها غُفرت»[(٣)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال يُهَوِّنُ عليه أمرها حتىٰ يُصرَّ عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالا منه،

---

(١) **انظر:** الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، صـ(٢٩١-٢٩٤)، وإحياء علوم الدين، للغزالي (٤/ ١٨-١٩)، وشرح صحيح مسلم (٢/ ٨٤-٨٥)، وفتح الباري (١٠/ ٤١٠)، ومجموع الفتاوىٰ (١١/ ٦٥٠، وما بعدها).

(٢) **انظر:** إحياء علوم الدين (٤/ ٣٢).

(٣) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٦٩٩).

فالإصرار علىٰ الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»(١).

قوله: «وإنْ لم يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُم بِفَضْلِهِ، كما ذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ فِي كتابِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، **وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بعَدْلِهِ»**: أي من مات علىٰ ذنب دون الشرك، فإنه تحت المشيئة إن شاء الله جَلَّجَلَالُهُ غفر له، وعفا عنه بفضله، وإن شاء عذبه في النار بعدله، ولا يكون ظالما له.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزُّمَر:٥٣].

وقوله: «عارفين»: أي موحِّدين، فإن المعرفة تطلق، ويراد بها التوحيد، ومنه قولُ النبيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ أَهْلِ اليَمَنِ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ ...**»(٢).

قوله: «ثُمَّ يُخْرِجهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه، ثُمَّ يَبْعَثُهُم إِلَىٰ جَنَّتِه»: أي يخرج الله من النار الموحدين برحمته، وشفاعة الشافعين من الأنبياء، والملائكة عَلَيْهِمُالسَّلَامُ،

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٣٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٧٢)، واللفظ له، ومسلم (١٩).

والأولياء، ثم يدخلهم الجنة، وقد تقدم ذكر الأدلة علىٰ ذلك.

منها: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حَتَّىٰ إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ.

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا.

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا.

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

«فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[(١)].

قوله: «وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تعالىٰ تَوَلَّىٰ أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ»: أي أهل الإيمان والتوحيد.

قوله: «وَلَمْ يَجْعَلَهُم فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ»: أي لم يجعل المسلمين في الدنيا والآخرة كأهل نُكرته، وهم المشركون، وأصحاب المعاصي الذين ينكرون نعمة الله جَلَّجَلَالُهُ.

قوله: «الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ»: أي ضلوا عن هداية الله

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله: «ولمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ»: أي لم ينالوا نصرة الله جَلَّجَلَالُهُ، وتأييده، ومحبته؛ لأنهم لم يسلكوا طريق الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ الذي أمرهم به.

والمعنىٰ أن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لم يساوِ بين أهل الطاعة وأهل المعصية في الآخرة، كما لا يساوي بين أهل الشرك، وأهل التوحيد.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ٣٥﴾ [القلم:٣٥]، أي: أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الأرض والسماء(١).

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٢١﴾ [الجاثية:٢١].

قال الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسير الآية: «أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة؟ كلا ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٨).

فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير»[(١)].

وقال الواحدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أيظن الذين اكتسبوا الكفر والمعاصي أن نسوي بين حياتهم وموتهم، وبين حياة وموت المؤمنين الطائعين[(٢)].

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص:٢٨]، أي لا نفعل ذلك، ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرىٰ يثاب فيها هذا المطيع، ويعاقب فيها هذا الفاجر[(٣)].

قوله: «اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإسْلامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلَىٰ الإسْلامِ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ به»: أي يا ناصر الإسلام، والمسلمين ثبتنا علىٰ الإسلام حتىٰ نموت ونلقاك به، وهذا الدعاء مأثور عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**يَا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ**»[(٤)].

وينبغي للمسلم ألا يغتر بعمله مهما كثُر، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كثيرا أن يثبت قلبه علىٰ الإيمان.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٧٢).

(٢) انظر: تفسير الوجيز، للواحدي، صـ(٩٩٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٦٣).

(٤) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٦٦١)، والدعوات، للبيهقي (٢٥٤)، والمختارة، لعبد الواحد المقدسي (٢٢٩٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٧٦).

قَالَ: شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ لِأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ؟ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(١).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وحسنه، والنسائي في الكبرىٰ (٧٦٩٠)، وأحمد (٢٦٦٧٩)، وصححه الألباني.

[الصلاة خلف الأئمة وعلى جميع المسلمين]

وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُم.

الشـــرح

قـولـه: «وَنَرَىٰ الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ»: أي من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون خلف الأئمة سواء كانوا بارِّين أو فاجِرِين، وهذا فيه رد علىٰ أهل البدع من الرافضة، والخوارج، والمعتزلة الذين لا يرون ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**»[1].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «صلاة الجمعة خلفه، وخلف مَن ولَّاه جائزة باقية تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا؛ برهم وفاجرهم؛ فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين، وتدين بأنها تامة، لا يكن في صدرك من ذلك شيء»[2].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٩٤).

(٢) انظر: أصول السنة، للإمام أحمد مع شرحها، للمؤلف، صـ(١٠٧-١٠٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم.

فإن كان الإمام مستورا لم يظهر منه بدعة، ولا فجور صُلِّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة المسلمين.

ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من عُلِم باطن أمره، بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور.

ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور وأمكن الصلاة خلف من يُعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد.

وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع، أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع، أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرىٰ، فهذه تصلىٰ خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم ....

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين.

ومن قال: إن الصلاة محرمة، أو باطلة خلف من لا يُعْرف حاله، فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلىٰ عبد الله بن مسعود، وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، وكان قد يشرب الخمر، وصلىٰ مرة الصبح أربعا وجلده عثمان بن عفان علىٰ ذلك.

وكان عبد الله بن عمر، وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف.

وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهما بالإلحاد، وداعيا إلىٰ الضلال»[(١)].

مسألة: هل تجوز الصلاة وراء أحد من أهل البدع مع القدرة علىٰ الصلاة خلف أهل البر؟

لا يجوز الصلاة خلف أهل البدع إن أمكن الصلاة خلف غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يجوز تقديم أحدٍ من أهل الأهواء والبدع وأهل الفجور في الإمامة مع القدرة علىٰ غيره، فإن من كان مظهرا للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٨٠-٢٨١).

وإذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور إلا بضرر زائد علىٰ ضرر إمامته لم يجز ذلك، بل يصلي خلفه ما لا يمكنه فعلها إلا خلفه كالجمع والأعياد والجماعة إذا لم يكن هناك إمام غيره، ولهذا كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصلون خلف الحجاج والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما الجمعة والجماعة؛ فإن تفويت الجمعة والجماعة أعظم فسادا من الاقتداء فيهما بإمام فاجر لا سيما إذا كان التخلف عنهما لا يدفع فجوره، وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر فهو أولىٰ من فعلها خلف الفاجر(١).

قوله: «وَعَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْهُم»: أي من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون علىٰ جميع المسلمين سواء كانوا أبرارا أو فجارا ما لم يظهروا ما يناقض الإسلام.

مسألة: هل يُصلىٰ علىٰ جميع المسلمين؟

لا يُصلىٰ إلا من عُلم إيمانه، فإن عُلم أنه منافق لم تجز الصلاة عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المسلمون المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق.**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٣٤٢-٣٤٤).

فمن عُلم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له.

ومن لم يُعلم ذلك منه صلي عليه.

وإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلىٰ عليه من لم يَعلم نفاقه.

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يصلي علىٰ من لم يصل عليه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه كان في غزوة تبوك قد عرَف المنافقين، الذين عزموا علىٰ الفتك برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٣٦-٢٣٧).

[الشهادة بالجنة أو بالنار]

وَلَا نُنَزِّلُ أحَدًا مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا، ولَا نَشْهَدُ عَلَيْهم بِكُفْرٍ وَلا بشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيْءٌ مِنْ ذَلك، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إلىٰ الله تعالىٰ.

الشرح

قوله: «**وَلَا نُنَزِّلُ أحَدًا مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا**»: أي أهل السنة والجماعة لا يشهدون لشخص معين من أهل القبلة بجنة، أو بنار إلا من نصَّ عليه الشارع الحكيم، كالعشرة المبشَّرين بالجنة؛ لأننا لا نعلم حقيقة باطنه، وما مات عليه لا نحيط به، ولكن نرجو للمحسن الجنة، ونخاف علىٰ المسيء النار(١)، ومن آثار ذلك الدعاء للمحسن، والاستغفار للمسيء.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ**

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٩٥).

أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»[١].

أما الشهادة العامة فجائزة، كالشهادة للمؤمنين بالجنة، والشهادة للكفار وأهل الكبائر بالنار.

قوله: «ولَا نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلا بِشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيْءٌ مِنْ ذَلك، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إِلَىٰ الله تعالىٰ»: أي لا نشهد لأحد من أهل القبلة بخلاف ظاهره؛ لأن ما في قلبه أمرًا غيبيًا لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وقد أمرنا الله جَلَّ وَعَلَا بالحكم بالظاهر، ونهانا عن التفتيش عن الباطن والظن السيء، فإذا أظهروا ما يدل علىٰ كفرهم، أو شركهم، أو نفاقهم فإننا نشهد عليهم بذلك إذا اقتضته المصلحة الشرعية.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحُجُرات:١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا بعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَأَنْكَرَ عَلَيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، واللفظ له.

عَـنْ قَلْبِـهِ حَتَّـىٰ تَعْلَـمَ أَقَالَهَـا، أَمْ لَا؟»، فهـذا فيـه دليـل للقاعـدة المعروفـة أن الأحكـام يعمـل فيهـا بـالظواهر، والله يتـولىٰ السرائر[1].

مسألة [١]: أقوال العلماء في الشهادة للمعين بالجنة:

اختلـف أهـل العلـم في الشـهادة بالجنـة للمعـين علـىٰ ثلاثـة أقوال:

أحـدها: لا يشـهد بالجنـة لأحـد إلا للأنبيـاء، وهـذا قـول محمـد ابن الحنفية، والأوزاعي.

الثـاني: يشـهد بالجنـة لكـل مـؤمن جـاء فيـه نـص، وهـذا قـول كثير من أهل الحديث، وهو قول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والثالـث: يشـهد بالجنـة لهـؤلاء، ولمـن شـهد لـه المؤمنـون، كالأئمـة: مالـك، والشـافعي، وأحمـد، والبخـاري، ومسـلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

واسـتدل أصـحاب القـول الثالـث بحـديثِ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: مَـرُّوا بِجَنَـازَةٍ، فَـأَثْنَوْا عَلَيْهَـا خَيْـرًا، فَقَـالَ النَّبِـيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَـتْ، وَجَبَـتْ، وَجَبَـتْ»، ثُـمَّ مَـرُّوا بِـأُخْرَىٰ فَـأَثْنَوْا عَلَيْهَـا شَـرًّا، فَقَـالَ: «وَجَبَـتْ، وَجَبَـتْ، وَجَبَـتْ»، فَقَـالَ عُمَـرُ بْـنُ

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٠٧).

الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»(١).

وحديث أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، قَالُوا: بِمَ ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**بِالثَّنَاءِ الحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**»(٢)، فأخبر أن ذلك مما يُعلم به أهل الجنة، وأهل النار(٣).

اختلف العلماء في معنىٰ الحديث علىٰ قولين:

أحدهما: أن هذا الثناء بالخير لمن أثنىٰ عليه أهل الفضل، فكان ثناؤهم مطابقا لأفعاله، فيكون من أهل الجنة، فإن لم يكن كذلك فليس هو مرادًا بالحديث.

والثاني: هو الصحيح المختار أنه علىٰ عمومه، وأن كل مسلم مات فألهم الله تعالىٰ الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلا علىٰ أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا، وإن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه (٤٢٢١)، وحسنه الألباني.

(٣) **انظر**: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٩٥-٢٦٩).

بـل هـو في خطـر المشـيئة، فـإذا ألهـم الله عَزَّوَجَلَّ النـاس الثنـاء عليـه استدللنا بـذلك علىٰ أنـه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قـد شـاء المغفـرة لـه، وبهـذا تظهـر فائـدة الثنـاء، والمـراد بالنـاس هنـا: الثقـات والمتقـون؛ كمـا جـاء في لفـظ آخـر للحـديث: «**الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»(١).

ويحمـل الثنـاء بالشـر علىٰ المنـافق وسـائر الكفـار والمجـاهر بفسـق أو بدعـة؛ للتحـذير مـن طـريقتهم، ومـن الاقتـداء بآثـارهم، والتخلق بأخلاقهم(٢).

مسألة [٢]: أنواع الشهادة بالجنة، والنار:

الشهادة نوعان:

أحـدهما: شـهادة عامـة: معناهـا: أن نشـهد لأهـل الإيمـان بالجنـة، ولأهـل الكفـر وأهـل الكبـائر بالنـار؛ علىٰ سـبيل العمـوم دون تقييد.

الآخـر: شـهادة خاصـة: معناهـا: أن نشـهد لشـخص معـين مـن أهـل القبلـة بجنـة أو بنـار، فـلا يجـوز إلا لمـن شـهد لـه الشـارع بـذلك، كالعشـرة المبشـرين بالجنـة، وآل بيـت النبـي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وثابـت بـن قـيس، وعبـد الله بـن سَـلَام، وبـلال بـن ربـاح، وعُكَّاشـة

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٤٢)، و**انظر**: فتح الباري (٣/ ٢٢٩).

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٧/ ١٩-٢١).

بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ: «هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٢).

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ»(٣).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وصححه، والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)، وأحمد (١٦٧٥)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٨١٢).

خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟(١).

وعن عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(٢).

أما الكافر الأصلي كالنصراني واليهودي، فنشهد له بالنار إن مات علىٰ كفره؛ لقول النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»(٣)، وهذا عام في كل مشرك(٤).

مسألة [٣]: حكم قول: فلان شهيد:

الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون علىٰ وجهين:

أحدهما: أن تقيد بوصف مثل أن يقال: كل من قتل في

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (٢١٨)، واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٥٧٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني.

(٤) **انظر**: شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، صـ(١١٣).

سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص؛ لأنك تشهد بما أخبر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»(١).

الثاني: أن تقيد الشهادة بشخص معين مثل أن تقول لشخص بعينه: إنه شهيد، فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ**»(٢).

ولأننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة؛ فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٨٧)، ومسلم (١٨٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك، ولا نشهد له به، ولا نسيء به الظن(١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجُرات:١٢].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(٢).

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣/ ١١٥-١١٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (١٩٧٧٦)، عن أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

[حكم الخروج بالسيف على أهل القبلة]

وَلا نَرَىٰ السَّيْفَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.

الشـرح

قوله: «وَلا نَرَىٰ السَّيْفَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ»: أي أهل السنة والجماعة لا يرون قتل المسلم، واستباحة دمه، ولا الخروج علىٰ المسلمين، وتفريق جماعتهم إلا من وجب عليه السيف، فلولي الأمر أن يقاتله حتىٰ يدفع ضرره بنفسه، أو بنائبه، وليس لآحاد الناس أن يفعل ذلك.

وهذا فيه رد علىٰ من يرىٰ جواز ذلك كالخوارج.

والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، منها:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

وقَــولُ رَسُــولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِــلُّ دَمُ امْــرِئٍ مُسْــلِمٍ، يَشْــهَدُ أَنْ لَا إِلَــهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّـي رَسُـولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْـدَىٰ ثَـلَاثٍ: الـنَّفْسُ بِـالنَّفْسِ، وَالثَّيِّـبُ الزَّانِـي، وَالمَـارِقُ مِـنَ الـدِّينِ التَّـارِكُ لِلْجَمَاعَـةِ»(١)، وهـذا عـام في كـل مرتـد عـن الإسـلام بـأي رِدَّة كانـت فيجـب قتلـه إن لـم يرجـع إلـىٰ الإسـلام، ويتنـاول أيضـا الخـوارج، وكـل خـارج عـن الجماعة ببدعة، أو بغي، أوغيرهما(٢).

وقَــالَ رَسُــولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُــلُّ المُسْــلِمِ عَلَــىٰ المُسْــلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(٣).

وقَــالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِــرْتُ أَنْ أُقَاتِــلَ النَّــاسَ حَتَّــىٰ يَشْــهَدُوا أَنْ لَا إِلَــهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّــدًا رَسُــولُ اللهِ، وَيُقِيمُــوا الصَّــلَاةَ، وَيُؤْتُــوا الزَّكَـاةَ، فَـإِذَا فَعَلُـوا ذَلِـكَ عَصَـمُوا مِنِّـي دِمَـاءَهُمْ وَأَمْـوَالَهُمْ إِلَّا بِحَـقِّ الإِسْـلَامِ، وَحِسَـابُهُمْ عَلَـىٰ اللهِ»(٤)، أي فيمـا يستسـرون بـه، ويخفونـه لا مـا يُظهرونـه، فمـن أظهـر الإسـلام وأسـرَّ الكفـر قُبـل إسـلامه في الظاهر(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١١/ ١٦٥).
(٣) متفق عليه: رواه مسلم (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ٢٠٦).

[الواجب نحو ولاة الأمور]

وَلَا نَـرَىٰ الخُـرُوجَ عَلـىٰ أَئِمتِنَـا وَوُلَاةِ أُمُورِنَـا وَإِنْ جَـارُوا، وَلَا نَـدْعُو عَلَـيْهِم، وَلَا نَنْـزَعُ يَـدًا مِـنْ طَـاعَتِهِم، وَنَـرىٰ طَـاعَتَهُم مِـنْ طَاعَـةِ الله عَزَّوَجَلَّ فَريضـة، مَـا لَـمْ يَـأْمُروا بِمَعْصِـيَةٍ، وَنَـدْعُو لَهُـم بِالصَّلاحِ والمعَافَاةِ.

الشـرح

قولــه: «**وَلَا نَـرَىٰ الخُـرُوجَ عَلـىٰ أَئِمتِنَـا وَوُلَاةِ أُمُورِنَـا وَإِنْ جَـارُوا**»: أي أهـل السـنة والجماعـة لا يـرون الخـروج علـىٰ ولاة أمـورهم وإن تعـدُّوا وطغـوا وظلمـوا النـاس إلا إذا كفـروا كفـرًا بواحـا لـيس فيـه مـن الله برهـان؛ لحـديثِ عُبَـادَةَ بْـنِ الصَّـامِتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَـنِ النَّبِـيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَـالَ: «**اسْـمَعْ وَأَطِـعْ فِـي عُسْـرِكَ وَيُسْـرِكَ، وَمَنْشَـطِكَ وَمَكْرَهِـكَ، وَأَثَـرَةٍ عَلَيْـكَ، وَإِنْ أَكَلُـوا مَالَـكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ**»(١).

وعَـنْ عُبَـادَةَ بْـنِ الصَّـامِتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَـالَ: دَعَانَـا رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَبَايَعْنَـاهُ، فَكَـانَ فِيمَـا أَخَـذَ عَلَيْنَـا: «**أَنْ بَايَعَنَـا عَلَـىٰ السَّـمْعِ وَالطَّاعَـةِ فِـي مَنْشَـطِنَا وَمَكْرَهِنَـا، وَعُسْـرِنَا وَيُسْـرِنَا، وَأَثَـرَةٍ**

(١) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٢٦)، وصححه الألباني.

عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).

معنىٰ الحديث: لا تنازِعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنىٰ ذلك، وأجمع أهل السنة علىٰ أنه لا ينعزل السلطان بالفسق(٢).

ولأنه يترتب علىٰ الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جَوْرهم، بل في الصبر علىٰ جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور؛ فإن الله تعالىٰ ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاءُ من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٩).

﴿١٢٩﴾ [الأنعام:١٢٩]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم(١).

والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة علىٰ اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد(٢).

قوله: «وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمِ»: أي أهل السنة والجماعة لا يدعون علىٰ ولاة أمورهم؛ لأنه خروج معنوي كالخروج بالسيف، والواجب الدعاء لهم بالصلاح، والمعافاة.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغِشُّوهُمْ، وَلَا تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ**»(٣).

وذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أن من صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة أنه يدعو لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يخرج عليهم بسيفه(٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَإِنِّي لَأَدْعُو لَهُ بِالتَّسْدِيدِ، وَالتَّوْفِيقِ فِي اللَّيْلِ**

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٤٣).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ١١٢).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠١٥)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

(٤) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

وَالنَّهَارِ، وَالتَّأْيِيدِ، وَأَرَىٰ لَهُ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيَّ»[(١)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان.

قيل له: يا أبا علي فسِّر لنا هذا.

قال: إذا جعلتُها في نفسي لم تَعدُني، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

وقال البَرْبَهَاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيتَ الرجلَ يدعو علىٰ السلطان فاعلم أنه صاحب هوىٰ، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سُنة إن شاء الله»[(٢)].

وقال ابنُ القطَّان الفاسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأجمعوا علىٰ النصيحة للمسلمين لجماعتهم، وعلىٰ التودد في الله، والدعاء لأئمة المسلمين، والتبرؤ ممن ذم أحدا من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهل بيته وأزواجه، واجتنابهم، وترك الاختلاط بهم»[(٣)].

قوله: «وَلَا نَنْزَعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِم، وَنَرىٰ طَاعَتَهُم مِنْ طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَة، مَا لَمْ يَأْمُروا بِمَعْصِيَةٍ»: أي تجب

---

(١) انظر: السنة، للخلال (١/ ٨٣).

(٢) انظر: شرح السنة، للبربهاري «ت ٣٢٩هـ»، صـ(١١٣-١١٤).

(٣) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع، لابن القطان الفاسي «ت ٦٢٨هـ»، (١/ ٦٢).

طاعتهم إلا إذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة حينئذ؛ لحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»(١).

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا، وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادَ نَاسٌ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ الآخَرُونَ: إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: «**لَوْ دَخَلْتُمُوهَا لَمْ تَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(٢).

قوله: «وَنَدْعُو لَهُم بِالصَّلاحِ والمعَافَاةِ»: أي من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يدعون لولاة أمورهم بأن يصلحهم الله في دينهم ودنياهم، وأن يعافيهم مما أحدثوا في مخالفة الشرع؛ لأننا مأمورون أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا، وإن جاروا؛ لأن ظلمهم وجَورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).
(٣) انظر: شرح السنة، للبربهاري «ت ٣٢٩هـ»، صـ(١١٣).

وقد تواترت الأدلة علىٰ وجوب طاعة ولاة الأمور وعدم الخروج عليهم، منها:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩]، أي الأمراء والعلماء، وإنما أفرد طاعة الله جَلَّ وَعَلَا، وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ دون طاعة أولي الأمر، أي كرَّر الفعل ﴿أَطِيعُواْ﴾ مع الله، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ دون أولي الأمر؛ لأن طاعة الله تعالىٰ تجب استقلالا، وكذلك طاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، بخلاف طاعة ولي الأمر فتجب تبعا لا استقلالا، فلا تجب إذا كانت مخالفة لله، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»[(١)]، فيه وجوب طاعة ولاة الأمور، وهي مقيدة بغير المعصية.

وعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قَالَ: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ**[(٢)]»[(٣)]، أي أسمع وأطيع للأمير وإن كان دنيء النِّسبة حتىٰ لو كان عبدا أسود

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).
(٢) وإن كان عبدا مجدع الأطراف: أي مقطوعها، والمراد: أخس العبيد. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٥)].
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٣٧).

مقطوع الأطراف فطاعته واجبة، وتُتصور إمارة العبد إذا ولاه بعض الأئمة، أو إذا تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه، ولا يجوز ابتداء عقد الولاية له مع الاختيار، بل شرطها الحرية[(١)].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»[(٢)]، أي علىٰ صفة موتهم من حيث هُم فوضىٰ لا إمام لهم[(٣)].

وعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[(٤)].

والمراد بالمِيتة الجاهلية حال الموت كموت أهل الجاهلية علىٰ ضلال، وليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرا، بل يموت عاصيا، ويحتمل أن يكون التشبيه علىٰ ظاهره، ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير،

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٥-٢٢٦).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).
(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (٤/ ٣٧٠).
(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٥١).

وظاهره غير مراد[١].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ**[٢] **مِنْ عُنُقِهِ**»[٣].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**[٤]»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٧).

(٢) خلع ربقة الإسلام: الربقة ما يُجعل في عنق الدابة، كالطوق يمسكها؛ لئلا تشرد، والمعنىٰ أن من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضل وهلك، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها؛ فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع. [انظر: معالم السنن (٤/ ٣٢٤)].

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٨)، وأحمد (٢١٥٦١)، وصححه الألباني.

(٤) وفيه دَخَن: أي لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلىٰ ما كانت عليه من الصفا. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٣٦-٢٣٧)].

ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَىٰ أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»(١).

وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(٢).

ففي هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج علىٰ أئمة الجور، ولزوم السمع والطاعة لهم، وعدم شق عصا المسلمين، وألا يتسبب في سفك الدماء وهتك المحرمات إلا أن يكفر الإمام ويظهر خلاف دعوة الإسلام، فلا طاعة لمخلوق عليه، والفقهاءُ مجمعون علىٰ أن الإمام المتغلّب طاعته لازمة، ما أقام الجُمُعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٥٥).

ذلك من حقن الدماء، وتسكين الناس(١).

وقد سُئل سهل بن عبد الله التُّسْتُري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يجب علينا لمن غلب على بلادنا، وهو إمام؟ قال: «**تجيبه، وتؤدي إليه ما يطالبك من حقه، ولا تنكر فعاله، ولا تفر منه، وإذا ائتمنك على سِرٍّ من أمر الدين لم تُفْشه**»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أما الخروج عليهم وقتالهم، فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق**»(٣).

يتبين مما سبق أن طاعة ولاة الأمور قسمان:

أحدهما: تجب طاعتهم إن أمروا بطاعة الله أو طاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بشيء محل اجتهاد، أو أمروا بشيء فيه مصلحة للمسلمين.

الآخر: تحرم طاعتهم إن أمروا بمعصية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أو رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **انظر:** شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٨-٩).
(٢) **انظر:** تفسير القرطبي (١/ ٢٦٩).
(٣) **انظر:** شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٩).

[الاتباع وترك الاختلاف]

وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعة، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلَافَ والفُرْقَة.

الشرح

قوله: «وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ»: أي مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنهم يتبعون سُنة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيمتثلون أوامرها، ويجتنبون نواهيها.

والسنة في اللغة: الطريقة، والسيرة، سواء كانت محمودةً أو مذمومة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء:٧٧].

وقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١).

ومن الأدلة علىٰ وجوب اتباع السُّنة:

قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله البَجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور:٥٤].

وعنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢)، وأحمد (٨٣٧٧)، بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك، وثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، أي مردود عليه، ومعناه: فهو باطل غير مُعتدٍّ به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترَعات(٢).

قوله: «والجَمَاعَةَ»: أي جماعة المسلمين، وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون لهم بإحسان، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

قوله: «وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلَافَ والفُرْقَةَ»: أي يتركون الشذوذ عن السُّنة، ومخالفة جماعة المسلمين، والمراد أن يُترك ذلك تعبدًا، واعتقادا.

والخلاف كله شرٌّ كما جاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: صَلَّى عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمِنًى أَرْبَعًا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ، ثُمَّ أَتَمَّهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمُ الطُّرُقُ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ**»، فَقِيلَ لَهُ: عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ، ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٦).

قَالَ: «الخِلَافُ شَرٌّ»(١).

ومن الأدلة علىٰ وجوب اتباع جماعة المسلمين:

قولـــــه تعـــــالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، أي عليكم بالجماعة، ولا تتفرقوا(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورىٰ:١٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَـىٰ لَكُـمْ ثَلَاثًـا، وَيَكْـرَهُ لَكُـمْ ثَلَاثًـا، فَيَرْضَـىٰ لَكُـمْ: أَنْ تَعْبُـدُوهُ، وَلَا تُشْـرِكُوا بِـهِ شَـيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللهِ جَمِيعًـا وَلَا تَفَرَّقُـوا، وَيَكْـرَهُ لَكُـمْ: قِيـلَ وَقَـالَ، وَكَثْـرَةَ السُّـؤَالِ، وَإِضَـاعَةِ المَـالِ»(٣)، فهـذا أمـرٌ بلـزوم جماعـة المسـلمين، وتـألف بعضـهم ببعض(٤).

---

(١) صـــحيح: رواه أبـــو داود (١٩٦٠)، وصـــححه الألبـــاني في صـــحيح أبـــي دواد الأم (٦/ ٢٠٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٦٤٤)، وتفسير البغوي (٢/ ٧٨)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٨٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧١٥).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ١١).

وعَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُرِيدُ تَفْرِيقَ أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ»[(١)].

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ»[(٢)].

مسألة: هل يجوز التقليد في العقيدة؟

يجوز التقليد في العقيدة؛ لأمرين:

أحدهما: أن ما وجب علمه إنما يجب علىٰ من يقدر علىٰ تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق، فكيف يُكَلف العلم بها؟

الآخر: أن الفقه والعقيدة قد استويا في التكليف بهما، وقد جاز التقليد في الفقه فكذلك في العقيدة، وهذا قول جمهور العلماء[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤٠٢١)، وأحمد (١٨٩٩٩)، وصححه الألباني.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١٨٤٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٠٩).

(٣) **انظر**: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (٤/ ٢٢٥)، ومجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٢٠٢).

[محبة أهل العدل والأمانة]

وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، ونَبْغَضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ.

.... الشرح ....

قوله: «وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، ونَبْغَضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ»: أي أهلُ السنة والجماعة يُحبون أهل الطاعة، وأهل العدل والأمانة؛ لأن الله يحبهم، ويبغضون أهل المعاصي، وأهل الجور والظلم والخيانة؛ لأن الله يبغضهم، وهذا من كمال الإيمان، وتمام العبودية، ولأن من أحب حبيبًا فلا بد أن يحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه، وإلا لم يكن محبًّا له محبة صادقة، وإذا كانت المحبة الصحيحة تستدعي حب ما يحبه المحبوب، وبغض ما يبغضه، فلا بد أن يوافقه فيه، كما قال القائل في ذلك:

أهوىٰ هواهُ وبُعدي عنه يُعجبه ... فالبعدُ قد صار لي في حُبه أَرَبا

وقال الآخر:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد[1]

وأهل العدل: هم من علموا، وعملوا.

---

(١) انظر: طريق الهجرتين، صـ (٢٦٨، ٣٠٣).

وأهل الأمانة: هم من وفَّوا بالتكاليف الشرعية؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾[الأحزاب:٧٢].

قال أبو العَالِيةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأَمَانَةُ هي مَا أُمِرُوا بِهِ، وَنُهُوا عَنْهُ[١].

وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأَمَانَةُ هِيَ الدِّينُ وَالفَرَائِضُ وَالحُدُودُ[٢].

وأهل الجَور: هم من ظلموا أنفسهم بمخالفة شرع الله جَلَّ جَلَالُهُ، ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وأهل الخيانة: هم من أعرضوا عن التكاليف الشرعية، فلم يعملوا بها.

وحقيقة المحبة هي موافقة المحبوب في محابِّه، فيحب ما يحبه محبوبه، فيحب العبدَ تلك الحال من حيث موافقتُه لمحبوبه[٣]، والله ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥]، و﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾[البقرة:٢٢٢]، و﴿يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾[آل عمران:٧٦]، و﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾[آل عمران:١٤٦]، و﴿يُحِبُّ

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٨٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٠١).
(٣) انظر: طريق الهجرتين، صـ (٢٦٨).

ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران:١٥٩]، و﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢]، و﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف:٤].

والله ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة:٢٠٥]، و﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة:٢٧٦]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣٢]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران:٥٧]، و﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦]، و﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ [النساء:١٠٧]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة:٦٤]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة:٨٧]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام:١٤١]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال:٥٨]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل:٢٣].

فمن أحبَّ من أحبه الله، وبغض من أبغضه الله كانت وَلايته لله على قدر ذلك؛ فالوَلاية عبارة عن موافقة الولي الحميد تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في محابّه ومساخطه، ليست بكثرة صوم، ولا صلاة[1].

قال النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ

---

(١) انظر: الداء والدواء، صـ(٤٥٢).

يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(١)]، وإنما قال: «**مِمَّا سِوَاهُمَا**»، ولم يقل: ممن؛ ليعمَّ من يعقل، وما لا يعقل[(٢)].

واعلم أن المؤمنَ تجب موالاته وإن ظلمك واعتدىٰ عليك، والكافرَ تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنزل الكتب؛ ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه، والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير تقطع يده؛ لسرقته، ويعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته.

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا الناس لا مستحِقًّا للثواب فقط، ولا مستحقا للعقاب فقط[(٣)].

مسألة: أقسام الناس بحسب الحب والبغض:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **انظر**: فتح الباري (١/ ٦١).
(٣) **انظر**:مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٢٠٩).

الناس بحسب الحب والبغض والولاء والبراء ثلاثة أصناف:

أحدهما: من يُحب جملة: هو من آمن بالله ورسوله وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علمًا وعملًا واعتقادًا، وأخلص أعماله وأقواله، وانقاد لأوامر الله، وانتهىٰ عما نهىٰ الله عنه ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحب في الله ووالىٰ في الله، وأبغض في الله، وعادىٰ في الله، وقدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قول كل أحد كائنًا من كان إلىٰ غير ذلك من القيام بحقوق الإسلام وشرائعه.

الثاني: من يُحب من وجه ويبغض من وجه آخر: هو المسلم الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيحب ويوالىٰ علىٰ قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادىٰ علىٰ قدر ما معه من الشر، ومن لم يتسع قلبه لهذا كان يفسد أكثر مما يصلح، وهلاكه أقرب إليه من أن يفلح، وإذا أردت الدليل علىٰ ذلك فهذا عَبْدُ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الخَمْرِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[(١)]، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا،**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٨٠)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ»[(١)].

الثالث: من يُبغض جملة: هو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنه كله بقضاء الله وقدره، وأنكر البعث بعد الموت، أو ترك الشهادتين، أو ترك أحد المباني الأربعة جحودا، أو أشرك بالله سبحانه في عبادته أحدًا من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعا من أنواع العبادة كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعلق بغير الله في جميع الطلبات، ومن ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين، أو انتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها كتابه، فمن كان مؤمنا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرا

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، وأحمد (٤٧٨٧)، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ورواه الترمذي (١٢٩٥)، عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) **انظر:** كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام، لابن سحمان «ت ١٣٤٩هـ»، ص (٣١٩-٣٢١).

وجبت معاداته من أي صنف كان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

ومن كان فيه إيمان، وفيه فجور أُعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يُخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقوله الخوارج والمعتزلة، ولا يُجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفُسَّاق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٢٢٨-٢٢٩).

[القول على الله تعالى]

وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فيما اشْتَبَهَ عَلَيْنا عِلْمُه.

الشـــرح

قولــه: «وَنَقُــولُ: اللهُ أَعْلَــمُ، فيمــا اشْــتَبَهَ عَلَيْنَــا عِلْمُــه»: أي أهـل السـنة والجماعـة لا يتكلمـون في مسـألة شـرعية بـدون دليـل واضـح لا اشـتباه فيه، فـإذا سُئلوا عـن مسـألة لا علـم لهـم فيهـا قـالوا: الله أعلم؛ لأن الفتيا توقيع عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ[1].

والمتشابه: ما يحتمل أكثر من معنىً[2].

وقد نهانا الله مولانا عن الكلام في الشرع بدون علم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾

---

(١) **انظـر**: أدب المفتـي والمسـتفتي، لابـن الصـلاح «ت ٦٤٣هــ»، صــ (٧٢)، وإعـلام الموقعين (٢/ ١٧).

(٢) **انظر**: الفصول في الأصول، للرازي «ت ٣٧٠هـ»، (١/ ٣٧٣).

[القصص:٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾[غافر:٣٥].

وكان النبيُّ ﷺ إذا سُئل في مسألة لا علم له فيها لم يُجب السائل حتىٰ ينزل الوحي؛ كما في حديث عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، فلمَّا انْطَلَقَ قَالَ ﷺ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَطْفالِ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٢).

وفي الصحيحين في مواضع متفرقة: كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا سُئلوا فيما لا عِلمَ لهم فيه قالوا: «**اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**».

وسُئِلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١﴾[عبس:٣١]، فقَالَ: «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا**

---

(١) متفق عليه: رواه مسلم (٨)، وروىٰ البخاري الشطر الأول منه (٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٨).

قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ»(١).

وحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يَعُدَّ له عِدَّتَه، وأن يتأهب له أُهْبَتَهُ، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، وليعلم عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوفٌ بين يدي الله(٢).

مسألة: هل يجوز قول: الله ورسوله أعلم، بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

لا يجوز أن يقال بعد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله ورسوله أعلم، وإنما يقال: «**الله أعلم**» فقط؛ لأنه يلزم من قول: الله ورسوله أعلم، أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلم ما جدَّ حدوثه، وما سيحدث مستقبلا بعد موته، مما لم يُعْلمه الله به من طريق الوحي، وذلك من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما في حياة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا بأس بها بالنسبة لما يعلمه الله للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طريق الوحي(٣).

---

(١) صحيح: رواه مالك في الموطأ (٢٠٧٩)، وابن أبي شيبة (٣٠١٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٢٨).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ١٧).

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٦/ ٣٧١).

[المسح على الخفين]

وَنَـرَىٰ المَسْـحَ عَلـىٰ الخُفَّـيْنِ في السَّـفَرِ والحَضَـرِ، كَمـا جَـاءَ في الأَثَرِ.

الشـــرح

قولـــه: «وَنَـرَىٰ المَسْـحَ عَلـىٰ الخُفَّـيْنِ في السَّـفَرِ والحَضَـرِ، كَمـا جَـاءَ في الأَثَـرِ»: أي أهـل السـنة والجماعـة يـرون جـواز المسـح علـىٰ الخفـين في السـفر والحضـر، وقـد أنكـر طوائـف مـن أهـل الأهـواء والبـدع مـن الخـوارج والـروافض المسـح علـىٰ الخفـين وزعمـوا أنـه مخـالف لظـاهر القـرآن، وذلـك خـروج مـن جماعـة أهل الإسلام[(١)].

وقـد أجمـع مـن يُعتـدُّ بـه في الإجمـاع علـىٰ جـواز المسـح علـىٰ الخفـين في السـفر والحضـر سـواء كـان لحاجـة، أو لغيرهـا حتـىٰ يجـوز للمـرأة الملازمـة بيتهـا، والمـريض الـذي لا يمشـي، وإنمـا أنكرته الشيعة والخوارج، ولا يعتد بخلافهم[(٢)].

وقـد تـواترت السـنة عـن النبـي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمسـح علـىٰ

(١) انظر: السنة، للمروزي «ت ٢٩٤هـ»، صـ(١٠٣)، ومنهاج السنة النبوية (٤/ ١٧٤).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ١٦٤).

الخفين وبغسل الرجلين(١)، ومن ذلك:

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَىٰ خُفَّيْهِ**»، قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الحَدِيثُ لأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ المائِدَةِ(٢).

وعَنِ المُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «**دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**»، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا(٣).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ «**رَخَّصَ لِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ، وَلِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِذَا تَطَهَّرَ فَلَبِسَ خُفَّيْهِ أَنْ يَمْسَحَ عَلَيْهِمَا**»(٤).

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بِالمَسْحِ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَيَالِيهِنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا، وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ**»(٥).

---

(١) **انظر**: منهاج السنة النبوية (٤/ ١٧٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٧)، ومسلم (٢٧٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤).

(٤) **حسن**: رواه الشافعي (١/ ١٤٢ترتيب)، وابن خزيمة (١/ ٩٦)، والدارقطني (١/ ٣٧٨)، وحسنه الألباني في المشكاة (٥١٩).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٩٩٥)، والدارقطني (١/ ٣٦٤)، والبزار (٧/ ١٨٩)، وصححه الألباني في الإرواء (١٠٢).

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هَذَا أَجْوَدُ حَدِيثٍ فِي المَسْحِ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ؛ لِأَنَّهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرُ غَزَاةٍ غَزَاهَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ آخِرُ فِعْلُهُ[1].

وأَجمَعَ أَهْلُ العِلمِ عَلَىٰ أَنَّ كُلُّ مَنْ أَكْمَلَ طَهَارَتَهُ، ثُمَّ لَبِسَ الخُفَّيْنِ وَأَحْدَث، أَنَّ لَهُ أَنْ يَمْسَحَ عَلَيْهِمَا.

وَأَجْمَعَ القَائِلونَ بِالتَّحْدِيدِ فِي المسْحِ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ مَسَحَ، ثُمَّ قَدِمَ الحَضَرَ خَلَعَ خُفَّيْهِ، إِنْ كَانَ مَسَحَ يَوْمًا وَلَيْلَةً مُسَافِرًا، ثُمَّ قَدِمَ فَأَقَامَ فَإِنَّ لَهُ مَا لِلْمُقِيمِ، وَإِنْ كَانَ مَسَحَ فِي السَّفَرِ أَقَلَّ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ[2].

مسألة: وجه ذكر المسح علىٰ الخفين في العقيدة:

وجه ذكر المسح علىٰ الخفين في كتب العقيدة: مخالفة الروافض والخوارج الذين لا يجيزون المسح علىٰ الخفين كما تقدَّم.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مَنْ لَمْ يَمْسَحْ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ فَاتَّهِمُوهُ عَلَىٰ دِينِكُمْ**»[3].

---

(١) انظر: الكافي في مذهب الإمام أحمد (١/ ٧٩-٨٠).
(٢) انظر: الإجماع، رقم «٢٤، ٢٧».
(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣٢).

[الحج والجهاد مع أولي الأمر]

وَالحَجُّ والجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأمْرِ مِنَ المسْلِمينَ: بَرِّهِم وفَاجِرِهِم، إلىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ، ولَا يَنْقُضُهُمَا.

الشرح

قوله: «**وَالحَجُّ والجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأمْرِ مِنَ المسْلِمينَ: بَرِّهِم وفَاجِرِهِم**»: أي من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يرون الحج والجهاد مع الإمام أو نائبه سواء كان برًّا أو فاجرًا؛ لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنىٰ كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

وهذا فيه رد علىٰ الرافضة الذين قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه![1]، يزعمون أنه دخل سرداب سَامَرَّاءَ طفلا صغيرا سنة مائتين وستين تقريبا، فلم تَرَه بعد ذلك عين، ولم يُحس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل علىٰ باب

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٣٠-٣١).

السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانا، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان(١).

والأدلة علىٰ وجوب الجهاد كثيرة، منها:

قول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة:١٩٣].

وقول مولانا جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٠]، أي كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم(٢).

وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»(٣).

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»(٤).

---

(١) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية، صـ(١٥٢).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٤).
(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وأحمد (٥٠٠٧)، وصححه الألباني.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢١).

قوله: «إِلىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ»: أي إلىٰ قرب قيام الساعة؛ لأن الساعة لا تقوم إلا علىٰ شرار الناس؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ**»[(١)].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»[(٢)].

قوله: «لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ، ولَا يَنْقُضُهُمَا»: أي سواء كانوا طائعين لله، أو عاصين.

وقد أجمع أهل العلم علىٰ وجوب الغزو والحج مع أئمة المسلمين سواء كان بارّين أو فاجرين[(٣)].

مسألة: الجهاد قسمان:

الأول: جهاد دفع: إذا داهم العدو بلاد المسلمين وجب علىٰ جميع القادرين علىٰ القتال قتالهم؛ من أجل دفع العدو عن أرضهم.

الثاني: جهاد طلب: إذا كان بالمسلمين قوة، فإنهم يغزون العدو في بلادهم، ويدعونهم إلىٰ الله، فإن أجابوا وإلا قاتلوهم من أجل إعلاء

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٤٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٤)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) **انظر**: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ (١٦٨-١٦٩).

كلمة الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال:٣٩][١].

(١) انظر: الفروسية، لابن قيم الجوزية، صـ(١٨٧-١٨٩).

[الكرام الكاتبون عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ]

وَنُؤْمِنُ بِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ.

.... الشرح ....

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ»: أي أهل السنة والجماعة يؤمنون ويصدقون بوجود الملائكة الكرام الكاتبين الذين يكتبون أعمال بني آدم، وأقوالهم، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾[الأنعام:٦١]، أي: الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم[(١)].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾[الانفطار:١٠-١٢]، أي وإن عليكم لملائكة حفظة كراما علىٰ الله، فلا تقابلوهم بالقبائح؛ فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم وأقوالكم، ويعلمون ما تفعلون من خير أو شر[(٢)].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٥٧)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٤).

﴿لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزُّخـرُف:٨٠]، أي نحـن نعلـم مـا هـم عليـه، والملائكة الحفظة أيضا يكتبون أعمالهم، صغيرَها وكبيرها[(١)].

وقولـــه تعـــالىٰ: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق:١٧-١٨]، أي أحـدهما عـن يمينـه، والآخـر عـن شـماله، فالـذي عـن اليمـين يكتـب الحسـنات، والـذي عـن الشـمال يكتـب السـيئات[(٢)]، وكـل مَلـك: يراقـب كـل كلمة، فلا يترك كلمة، ولا حركة إلا كتبها[(٣)].

وقولـــه تعـــالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩﴾ [الجاثيـة:٢٩]، أي كنـا نـأمر الملائكـة الحفظـة بنسخ أعمالكم أي بكتبها، وإثباتها عليكم[(٤)].

وقولـــه تعـــالىٰ: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾ [يـونس:٢١]، أي الكـاتبون الكـرام يكتبـون علـىٰ الإنسـان جميـع مـا يفعلـه، ويحصـونه عليـه، ثـم يَعرضـون علـىٰ عـالم الغيـب والشهادة، فيجازيه علىٰ الحقير والجليل[(٥)].

وعَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٧٢).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٢٤٧)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٧١).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٨-٢٥٩).

«يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ»[(١)].

وعَنْه أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[(٢)].

مسألة [١]: هل يكتب المَلَك كل شيء يصدر عن العبد؟

اختلف العلماء: هل يكتب المَلَك كل شيء من الكلام؟ علىٰ قولين:

أحدهما: يكتب الملك كل شيء، وهو قول الحسن وقتادة رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

الثاني: إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب، كما هو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

والصحيح القول الأول؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق:١٨] (١).

مسألة [٢]: أنواع الملائكة الحفظة:

الملائكة الحفظة نوعان:

أحدهما: حفظة لأعمال العباد: هم الكرام الكاتبون، وقد تقدم ذكرهم.

الثاني: حفظة للإنسان: هم الذين يحفظون العبد في جميع أحواله؛ حتىٰ لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه.

قال الله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١٠-١١].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قَدَرُه خَلَّوا عنه» (٢).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما من عبد إلا له مَلَك موكَّل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما يأتيه منها شيء إلا قال له: وراءك» (٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٧١).

(٣) انظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٦٩٤).

[مَلَك الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ]

وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ، المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ.

الشرح

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ المَوْتِ، المُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ»: أي أهل السنة والجماعة يؤمنون بوجود مَلَك الموت، وأنه يقبض الأرواح، وأنه موكَّل بها، والمراد بالعالمين كل من له روح من الإنس والجن.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر:٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام:٦١]، أي أعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه إلىٰ ملك الموت فيقبض روحه، وقيل: الأعوان يتوفونه بأمر ملك الموت، فكأن ملك الموت توفاه؛ لأنهم

يصدرون عن أمره[١].

قَالَ ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لِمَلَكِ المَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ المَلَائِكَةِ يُخْرِجُونَ الرُّوحَ مِنَ الجَسَدِ، فَيَقْبِضُهَا مَلَكُ المَوْتِ إِذَا انْتَهَتْ إِلَىٰ الحُلْقُومِ»[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما مَلَك الموت فليس بمصرَّح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل... وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتىٰ تبلغ الحلقوم، فيتناولها ملك الموت بيده، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها من يده، فيلفُّوها في أكفانٍ تليق بها»[٣].

وعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ[٤] مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر: رواه الطبري في التفسير (٩/ ٢٩٠)، وابن كثير (٣/ ٢٦٧).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/ ١٠٦).

(٤) حنوط: الحنوط هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتىٰ وأجسامهم خاصة. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٥٠)].

عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ...

وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ[1]، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ»[2].

(١) **المسوح**: جمع المِسح، وهو اللباس الخشن. [**انظر**: مرقاة المفاتيح، للقاري (٣/ ١١٧٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

[الإيمان بعذاب القبر ونعيمه]

وَبِعَـذَابِ القَبْـرِ لِمَـنْ كَـانَ لَـهُ أَهْـلًا، وسُـؤَالِ مُنْكَـرٍ ونَكِيـرٍ فِي قَبْـرِه عَـنْ رَبِّـهِ وَدِينِـهِ وَنَبِيِّـهِ، عَلَـىٰ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ الأَخْبَارُ عـنْ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَعن الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم.

وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

.... الشــرح ....

قولــه: «**وَبِعَـذَابِ القَبْـرِ لمـنْ كَـانَ لَـهُ أَهْـلًا**»: أي أهـل السـنة والجماعـة يؤمنـون بعـذاب القـبر لمـن كـان أهـلا للعـذاب، كالكـافرين، والمنـافقين النفـاق الاعتقـادي، ومـن شـاء الله مـن عصاة الموحدين.

قولـه: «**وسُؤَالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ فِي قَبْرِه عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ**»: أي ويؤمنـون بـأن المَلكـينِ: المنكَـر والنَّكيـر يسـألان العبـد في قـبره ثلاثـة أسئلة: من ربُّك، وما دينُك، ومن نبيُّك؟

قولــه: «**عَلَـىٰ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ الأَخْبَـارُ عـنْ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَعن الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم**»: بلغت أحاديث عـذاب القـبر وسـؤال المنكـر والنكيـر حـد التـواتر عـن النبـي

ﷺ(١)، وسيأتي ذكر بعضها فيما يلي إن شاء الله.

قوله: «وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ»: أي المقبور إما أن يكون قبره روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، كما دلت علىٰ ذلك النصوص، والعقلُ لا يمكنه أن يدرك ذلك؛ لأنه من الأمور الغيبية التي حجبها الله عنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فوجب عليه أن يسلِّم لذلك.

ومن الأدلة علىٰ ما تقدَّم:

قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٨٥).

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، فهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور[(١)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**[(٢)]**، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»[(٣)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٤)].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

(٢) في كبير: أي أنه ليس بكبير في زعمهما، وقيل: إنه ليس بكبير تركه عليهما. [انظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٠١)].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[(١)].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ اليَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ[(٢)] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ؟**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[(٣)].

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ القَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا.

وَقَالَ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ:**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧).
(٢) ارتاع: أي فزع، وتغير. [انظر: عمدة القاري (١٦/ ٢٨٢)].
(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٨٤).

مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [إبراهيم:٢٧]، الآيَةُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ.

وَإِنَّ الكَافِرَ -فَذَكَرَ مَوْتَهُ- وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ(١) فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(٢).

وفي لفظٍ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا،

---

(١) الثقلين: أي الجن، والإنس. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢١٧)].

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني.

وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ».

قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ».

قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ.

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَألبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الجَنَّة.

فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.

وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي، وَمَالِ.

وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ.

فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ[(١)] مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي

---

(١) السفود: أي الشوك أو الحديد التي يشوىٰ بها اللحم. [انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري «ت ١٠١٤هـ» (٣/ ١١٧٩)].

كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ».

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف:٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا».

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا[1]، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[2].

---

(١) سمومها: أي ريحها الحارة. [انظر: مرقاة المفاتيح (١/ ٢١٤)].
(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

وعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، فَيُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ، أَوِ المُوقِنُ، فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ، أَوِ المُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ»[1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.

وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (٩٠٥).

الثَّقَلَيْنِ»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ[(٢)]، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[(٣)].

مسألة [١]: هل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟

اختلف الناس في ذلك علىٰ أربعة أقوال:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) **تختلف فيها أضلاعه**: أي يدخل بعضها في بعض. [**انظر**: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣٥٥)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

القول الأول: النعيم والعذاب لا يكون إلا علىٰ الروح، أما البدن فلا ينعم ولا يعذب.

وهذا قول الفلاسفة المنكرين لمعاد الأبدان؛ وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، وهو قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور.

القول الثاني: الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب، وإنما الروح هي الحياة، وينكرون أن الروح تبقىٰ بعد فراق البدن.

وهذا قول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة، وأصحاب أبي الحسن الأشعري.

وقد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقىٰ بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة.

القول الثالث: البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتىٰ تقوم القيامة الكبرىٰ.

وهذا قول المعتزلة ونحوهم الذين ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناء علىٰ أن الروح لا تبقىٰ بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

هذه الأقوال الثلاثة باطلة.

القول الرابع: الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو

معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرىٰ أعيدت الأرواح إلىٰ أجسادها، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة(١).

مسألة [٢]: هل عذاب القبر خاص بمن يُدفن؟

مذهب أهل السنة أن كل من مات وهو مستحق للعذاب سيناله نصيبه من عذاب القبر، سواء قُبر أو لم يُقبر، فلو أكلته السباع، أو أُحرق حتىٰ صار رمادا ونُسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر وصل إلىٰ روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلىٰ المقبور(٢).

مسألة [٣]: أنواع الدور:

الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركَّب الإنسان من بدن ونفس.

وجعل أحكام الدنيا علىٰ الأبدان، والأرواح تبع لها.

وجعل أحكام البرزخ علىٰ الأرواح، والأبدان تبع لها.

فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب علىٰ الأرواح والأجساد جميعا.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٨٢-٢٨٤).

(٢) انظر: الروح، لابن قيم الجوزية، صـ(٥٨).

فإذا تأملت هذا المعنىٰ حق التأمل، ظهر لك أن كـون القبر روضـة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابقٌ للعقل، وأنه حق لا مريـة فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم[(١)].

مسألة [٤]: هل الأطفال يسألون في قبورهم؟

اختُلف في ذلك علىٰ قولين:

أحدهما: أنهم يسألون.

لأنه تُشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم، وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

القول الثاني: لا يُسألون.

لأن السـؤال إنما يكـون لمـن يعقـل، فيُسـأل: هـل آمـن بالرسـول وأطاعـه، أم لا؟ فيقـال لـه: مـا كنـت تقـول في هـذا الرجـل الـذي بعـث فـيكم؟ فأمـا الطفـل الـذي لا عقـل لـه ولا تمييـز فكيـف يقـال لـه ذلك؟[(٢)]، وهذا هو الصحيح.

مسـألة [٥]: هـل سـؤال المنكـر والنكيـر مختـص بهـذه الأمـة، أو يكون لها ولغيرها؟

اختلف العلماء في ذلك علىٰ ثلاثة أقوال:

---

(١) **انظر:** شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٨٠).

(٢) **انظر:** الروح، صـ (٨٧-٨٨).

أحـدها: سـؤال الميـت خـاص بهـذه الأمـة، وهـو قـول الحكـيم الترمذي.

لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبوا كَفَّت الرسل واعتزلوهم ونزل عليهم العذاب بخلاف هذه الأمة.

وعَـنْ زَيْـدِ بْـنِ ثَابِـتٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَـالَ النَّبِـيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَـذِهِ الأُمَّـةَ تُبْتَلَـىٰ فِـي قُبُورِهَـا**»[١]، وفي روايـة: «**تُسْـأَل**»، وعلـىٰ هـذا اللفـظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خُصت بذلك.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ**»[٢]، وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة.

ويـدل عليـه قَـولُ المَلَكَـين لـه: «**مَـا هَـذَا الرَّجُـلُ الَّـذِي بُعِـثَ فِيكُمْ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[٣].

أجيب بأنَّ قوله: «**إن هذه الأمة**» يحتمل أن يراد به أمة الناس؛ كما قال تعالىٰ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨]، وكل جنس من أجناس الحيوان يسمىٰ أمة.

وإن كان المراد به أمته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي بعث فيهم لم يكن فيـه مـا ينفـي سـؤال غيـرهم مـن الأمـم، بـل قـد يكـون ذكـرهم إخبـارا بـأنهم

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).
(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤)، عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني.

مسؤولون في قبورهم.

وبمثل هذا الجواب أجيب عن الحديثين الآخرين.

الثاني: سؤال الميت عام لهذه الأمة ولغيرها، وهو قول القرطبي، وابن القيم؛ لعموم الأدلة في ذلك، ولا مخصص لها.

الثالث: التوقف في ذلك، وهو قول ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والراجح والله أعلم أن سؤال القبر عام لكل الأمم، وأنهم معذبون في قبورهم أو منعمون بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون أو ينعمون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة(١).

مسألة [٦]: هل عذاب القبر دائم، أم منقطع؟

عذاب القبر نوعان:

أحدهما: دائم لا ينقطع: هو عذاب الكفار، والمنافقين النفاق الاعتقادي؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾[غافر:٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾[البقرة:١٦١-١٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾

(١) انظر: الروح، صـ (٨٦-٨٧).

[التوبة:٦٨].

الآخر: منقطع: هو عذاب بعض العصاة من الموحدين الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جُرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة، ثم يزول عنه العذاب، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج[1].

(١) انظر: الروح، صـ (٨٩).

[الإيمان بالبعث والحساب]

وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، والعَرْضِ والحِسَابِ، وقِرَاءَةِ الكِتَابِ، والثَّوابِ والعِقَابِ، والصِّرَاطِ والميزَانِ.

الشـــرح

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ»: أي بإحياء الموتىٰ من قبورهم للحساب يوم القيامة(١)، والأدلة علىٰ ذلك متواترة، منها:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر:٦٨].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (١٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾[يس:٥١-٥٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾[مريم:٨٥-٨٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾[المؤمنون:١١٥].

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾[التغابن:٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ[(١)]، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ**[(٢)]،

---

(١) أبيت: أي امتنعت أن أجزم أن المراد أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩١)].

(٢) ينبت البقل: أي شيئا فشيئا من الأرض، والبقل هو كل نبات اخضرت به الأرض. [انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٥/ ٤٣٢)، ودليل الفالحين، للبكري، ومقاييس اللغة، مادة «بقل»].

لَـيْسَ مِـنَ الإِنْسَـانِ شَـيْءٌ إِلَّا يَبْلَـىٰ إِلَّا عَظْمًـا وَاحِـدًا وَهُـوَ عَجْـبُ الذَّنَبِ[(١)]، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)].

وعَـنْ أَبِـي سَـعِيدٍ الخُـدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّـرُوا بَـيْنَ الأَنْبِيَـاءِ، فَـإِنَّ النَّـاسَ يَصْـعَقُونَ يَـوْمَ القِيَامَـةِ، فَـأَكُونُ أَوَّلَ مَـنْ تَنْشَـقُّ عَنْـهُ الأَرْضُ، فَـإِذَا أَنَـا بِمُوسَـىٰ آخِـذٌ بِقَائِمَـةٍ مِـنْ قَـوَائِمِ العَـرْشِ، فَـلَا أَدْرِي أَكَـانَ فِـيمَنْ صَـعِقَ، أَمْ حُوسِـبَ بِصَعْقَةِ الأُولَىٰ»[(٣)].

وبعد البعث يُحشر الناس للحساب والجزاء، وسمي يوم القيامة يوم الحشر كما سُمِّي يوم البعث والنشر[(٤)].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾[الكهف:٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[إبراهيم:٤٨].

---

(١) عجب الذنب: أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العُصْعُص، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقىٰ منه ليعاد تركيب الخلق. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩٢)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٤١٢).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٢٣٧)، ولسان العرب، مادة «حشر».

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**[1]»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾[الأنبياء:١٠٤][3].

قوله: «وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ»: أي كل إنسان يجازىٰ علىٰ عمله الذي قدمه سواء كان حسنًا أو سَيِّئًا، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾[الكهف:٣٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾[فُصِّلَت:٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥﴾[الجاثية:١٥].

---

(١) **غرلا**: أي غير مختونين، والغرل: جمع الأغرل، وهو الأقلف، أي غير المختون. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٦٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾[الأنعام:١٦٠].

قوله: «والعَرْضِ»: أي عرض الخلائق كلهم علىٰ ربهم عَزَّوَجَلَّ، بادية له صفحاتهم لا تخفىٰ عليه منهم خافية، ويدخل فيه من يناقش الحساب، ومن لا يحاسب، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾[الحاقة:١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾[الزلزلة:٦-٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾[المؤمنون:١٠١].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾[طه:١٠٨]، أي سكنت، والهمس: الصوت الخفي[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ١١١﴾[طه:١١١]، أي ذلت، وخضعت[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٧٤).
(٢) انظر: السابق (١٨/ ٣٧٦).

وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

قوله: «والحِسَابِ»: أي يحاسب الناس علىٰ ما صدر عنهم من أقوال وأعمال؛ أما المؤمنون فيحاسبون حساب تقرير للحسنات والسيئات، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ [المائدة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر:١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الحِسَابُ اليَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ؛ إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٢١٥)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٥٦٢).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود:١٨]»[١].

وَأَمَّا الكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا[٢]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠﴾ [فُصِّلَت:٥٠].

قوله: «وقِرَاءَةِ الكِتَابِ»: أي الصحف التي دُوِّنَت فيها الأعمال، فمن الناس من يأخذ صحيفته بيمينه، ومنهم من يأخذها بشماله، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٤٦).

يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ [الكهف:٤٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [الحاقة:١٨-٣٥].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ، أَوْ يَثْقُلُ؟ وَعِنْدَ الكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾﴾ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا**

وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»[١].

قولـه: «والثَّوابِ والعِقَابِ»: الثواب لأهل الإيمان والطاعة، والعقاب لأهل الكفر والنفاق ومن شاء الله من عصاة الموحِّدين.

قولـه: «والصِّرَاطِ»: الصراط جسر علىٰ ظهر جهنم أدق من الشعر وأحدُّ من السيف، يمر عليه الناس يوم القيامة، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، أي المرور علىٰ الصراط[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:١٢-١٥].

وقَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٥)، والترمذي (٢٢٣٥)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٣٤).

مِنَ السَّيْفِ»[١].

واتفق العلماء علىٰ إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه علىٰ ظاهره من كونه جسرا ممدودا علىٰ متن جهنم أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر[٢].

ويَجُوزُ العبادُ الصراطَ بِقَدْرِ أعمالِهم، فمنهم من يجوزه كالطرف، ومنهم من يجوزه كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «.... ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ[٣]، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ[٤] مُفَلْطَحَةٌ[٥] لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ[٦]، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ[٧]، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

(٢) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٩٢).

(٣) مدحضة مزلة: أي تزلق فيه الأقدام، والمزلة: مفعلة من زل يزل إذا زلق. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣١٠)، وفتح الباري (١١/ ٤٥٤)].

(٤) حسكة: أي شوكة صلبة. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨٦)].

(٥) مفلطحة: أي عريضة متسعة. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٧١)].

(٦) عقيفاء: أي حديدة قد لوي طرفها، وفيها انحناء. [انظر: القاموس المحيط، مادة «عقف»].

(٧) كالطرف: أي كلمح البصر. [انظر: عمدة القاري، للعيني (٢٥/ ١٣٠)].

الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ[(١)] فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»[(٢)].

والذين ينجون من الصراط يتفاوتون في سرعة المرور عليه؛ كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم.

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»[(٣)].

قوله: «والميزانِ»: أي الذي توزن فيه أعمال العباد، وصحفهم، وأجسامهم، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟

(١) **مكدوس:** أي مدفوع. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٥٥)].
(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٧٤٣٩).
(٣) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٥).

بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:٦-١١].

قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[١].

قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: أي الذين فازوا فنجوا من النار، وأُدْخلوا الجنة[٢].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩٦).

(٢) انظر: السابق (٥/ ٤٩٦).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٤٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وأحمد (٢٧٤٩٦)، وصححه الألباني.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**»(١).

وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالقُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»(٢).

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٣).

وعنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٢٥).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣٩٩١)، وصححه أحمد شاكر.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ(٢) السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وَقَالَ: «اقْرَؤُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف:١٠٥]»(٣).

ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها(٤).

ورُوِيَ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الأعمَالَ تُوزَنُ، فَيُؤْتَىٰ بِالأَعْمَالِ الحَسَنَةِ عَلَىٰ صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَبِالأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ عَلَىٰ صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، فَتُوضَعُ فِي المِيزَانِ، وَالحِكْمَةُ فِي وَزْنِ الأَعْمَالِ امْتِحَانُ اللهِ عِبَادَهُ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) العظيم: أي في الجسم، وليس في الأعمال الصالحة. [انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٥٢٠)].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).

بِالإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَإِقَامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي العُقْبَىٰ[(١)].

وأجمع أهل السنة علىٰ الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرىٰ العباد أعمالهم مُمَثَّلَة؛ ليكونوا علىٰ أنفسهم شاهدين[(٢)].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**المِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ، وَكِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيُؤْتَىٰ بِالحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ المِيزَانِ فَتَثْقُلُ عَلَىٰ السَّيِّئَاتِ**»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٨٠-١٨١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (١/ ٤٤٧).

[الإيمان بالجنة والنار]

وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلىٰ الجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلىٰ النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لما قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إلىٰ مَا خُلِقَ لَهُ، والخَيْرُ والشَّرُّ مُقدَّرَانِ عَلىٰ العِبَادِ

الشـــرح

قوله: «وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ»: أي موجودتان اليوم، وفي الجنة ثمار، وهذا مذهب سائر أهل السنة خلافا للمعتزلة[1]، ومن قال: إنهما لم تخلقا فقد كذب القرآن، والسُّنَّة؛ لأن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قال في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[الحديد:٢١].

وقال تعالىٰ في النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾[آل عمران:١٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١﴾[الفرقان:١١].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (٦/ ٢٠٧).

«رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟(١).

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(٢).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ»(٣).

وفي حديث الإسراء والمعراج عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَتَى بِي السِّدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ(٤) اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»(٥).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٨١).
(٤) جنابذ: أي قباب. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٢٢)].
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(١)].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «رَأَيْتُ الجَنَّةَ، وَالنَّارَ»[(٢)].

وعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ المُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يُرْجِعَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٣)]، فهذا فيه تصريح بدخول الجنة قبل يوم القيامة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٢٦).
(٣) صحيح: رواه النسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١)، وأحمد (١٥٧٧٦)، وصححه الألباني.

اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(١).

واتفق أهل السنة علىٰ أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل علىٰ ذلك أهل السنة حتىٰ جاءت المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة! وحملهم علىٰ ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعةً لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا! وقاسوه علىٰ خلقه في أفعالهم، فهم مشبِّهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خَلْق الجنة قبل يوم القيامة عبث؛ لأنها تصير معطلة زمنا طويلا! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالىٰ، وحرَّفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم(٢).

قوله: «**لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، وَلَا تَبِيدَانِ**»: اتفق أهل السنة علىٰ أن الجنة حق وأنها دار نعيم أبدا لا تفنىٰ ولا يفنىٰ أهلها بلا نهاية، وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تفنىٰ، ولا يفنىٰ أهلها أبدا بلا نهاية(٣)، ومن

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٣٧٦٣)، وأحمد (٨٣٩٨)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦١٤-٦١٥).

(٣) **انظر**: مراتب الإجماع، لابن حزم، صـ (١٧٣).

الأدلة على ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٦-١٠٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ في الجنَّةِ: «مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ»[1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣][2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ»[3].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٢٦)، وأحمد (٨٠٤٣)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٤٥).

مسألة [١]: معنى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

اختلف السلف في هذا الاستثناء فقيل: الاستثناء في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها، وأما الاستثناء في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة.

وقيل: هو استثناء استثناه الرب تعالى ولا يفعله؛ كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك أن تضربه.

وقيل: «إلا» بمعنى الواو؛ أي: وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة، كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[البقرة:١٥٠]، أي: ولا الذين ظلموا.

وقيل: هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث والبرزخ قبل مصيرهم إلى الجنة أو النار؛ يعني: هم خالدون في الجنة أو النار إلا هذا المقدار.

وقيل: سوى ما شاء ربك، معناه خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض سوى ما شاء ربك من الزيادة على قدر مدة بقاء السماوات والأرض، وذلك هو الخلود فيها، كما تقول: لفلان علي ألف إلا الألفين، أي: سوى الألفين اللتين تقدمتا.

وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته، لا أنهم يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، وهذا كما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٨٦]، وقوله ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤].

وقيل غير ذلك[١].

مسألة [٢]: أقوال الناس في فناء الجنة والنار:

اختلف الناس في ذلك على ثلاثة أقوال:

أحدها: إن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان.

وهذا قول جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية، وليس له فيه سلف قط من الصحابة رضي الله عنهم، ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة الإسلام، ولا قال به أحد من أهل السنة، وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام، وكفروهم به.

القول الثاني: الجنة باقية أبدية، والنار فانية.

هذا قول جماعة من السلف والخلف.

القول الثالث: الجنة والنار باقيتان دائمتان لا تفنيان أبدا.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٥٧٩-٥٨٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٢٠٠-٢٠١)، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، صـ(٣٤٥-٣٤٦).

وهذا قول جمهور أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الصحيح الموافق للنصوص(١).

مسألة [٣]: أقوال الناس في دوام النار:

اختلف الناس في أبدية النار ودوامها علىٰ سبعة أقوال:

أحدها: من دخلها لا يخرج منها أبدا.

هذا قول الخوارج والمعتزلة.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب عليهم، وتبقىٰ طبيعة نارية لهم يتلذذون بها؛ لموافقتها لطبيعتهم.

هذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلىٰ وقت محدود، ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون.

هذا القول حكاه اليهود للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالىٰ في القرآن فيه، فقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠].

وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام علىٰ فساده؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

(١) انظر: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، صـ (٣٤٨-٣٥٢).

[البقرة:١٦٧].

الرابع: يخرجون منها وتبقىٰ نارا علىٰ حالها ليس فيها أحد يعذب.

الخامس: تفنىٰ بنفسها؛ لأنها حادثة بعد أن لم تكن، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته.

وهذا قول الجهمية.

السادس: تفنىٰ حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم؛ لامتناع حوادث لا نهاية لها.

هذا قول أبي الهذيل العلَّاف إمام المعتزلة.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، ثم يبقيها شيئا، ثم يفنيها؛ فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه، ثم تفنىٰ ويزول عذابها[١].

الثامن: أن الله تعالىٰ يخرج منها من شاء، كما ورد في السُّنَّة، ويبقىٰ فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له[٢]، وهذا هو الصحيح الذي دلت عليه النصوص كما تقدَّم.

ومن ذلك أيضا: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾[النساء:١٦٨-١٦٩].

---

(١) انظر: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، صـ(٢٥٢-٢٥٤).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٢٥).

ووصفهم بعدم الخروج من النار، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾ [البقرة:١٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٧﴾ [المائدة:٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ٣٦﴾ [فاطر:٣٦].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحْيَوْنَ»[(١)].

قال الإمامان الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة رَحِمَهُمَا اللَّهُ: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم: الجنة حق، والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة علىٰ أن من المخلوقات ما لا يُعدم، ولا يفنىٰ بالكلية كالجنة والنار»[(٣)].

قوله: «فَإِنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥).
(٢) **انظر**: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).
(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣٠٧).

﴿تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾ [الأعراف:١٩]، وهذا يقتضي أنها خُلقت قبلهما.

قوله: «وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان:٢-٣].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّي صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: طُوبَىٰ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الجَنَّةَ، وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا، وَلِهَذِهِ أَهْلًا**»(١).

قوله: «فَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إِلَىٰ الجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إِلَىٰ النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ»: أي الجنة لا تُنال بالعمل، وإنما بفضل الله؛ لأن الإنسان مهما عمل من الأعمال الصالحة فلن يوفي حق الله تعالىٰ عليه.

وذلك لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢).

يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[(١)].

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لايستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، ومذهب أهل السنة أيضا أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه، وإذا أكرمهم ونعَّمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه.

وأما المعتزلة فيوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزُّخرُف:٧٢]، ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يُدخل بها الجنة، فلا تعارض هذا الحديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

للأعمال والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالىٰ وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بسبب الأعمال، وهي من الرحمة، والله أعلم(١).

قوله: «وَكُلٌّ يَعْمَلُ لما قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلىٰ مَا خُلِقَ لَهُ»: لحديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فَرَغَ اللهُ إِلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَأَثَرِهِ، وَشَقِيٍّ، أَمْ سَعِيدٍ»(٢).

فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل بعمل أهل السعادة وهو الطاعة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه يعمل بعمل أهل الشقاوة وهو المعاصي؛ لحديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥-١٠](٣).

وفي لفظ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٦٠-١٦١).
(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢١٧٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٤).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثمَّ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»(١).

قوله: «والخَيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ العِبَادِ»: أي لا يحدث شيء للعبد إلا بتقدير الله تعالىٰ سواء كان خيرا أو شرًّا، وقد تقدَّم الحديث عن ذلك.

ومعنىٰ «مُقَدَّرَانِ عَلَىٰ العِبَادِ»: أي علم ما سيفعله العباد، وكتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٤٧).

[الاستطاعة]

والاسْتِطاعَةُ التي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوفيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ المخْلُوقُ بِهِ فهي مَعَ الفِعْلِ، وأمَّا الاسْتِطاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحةِ وَالوُسْعِ، والتَّمكينِ وَسَلَامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وهُوَ كَمَا قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦].

الشرح

قوله: «والاسْتِطاعَةُ التي يَجِبُ بِهَا الفِعْلُ»: أي يجب بها حصول الفعل، ووجوده، ويتوقف عليها، فمتىٰ وُجدت وُجد الفعل.

قوله: «مِنْ نَحْوِ التَّوفيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ المخْلُوقُ بِهِ فهي مَعَ الفِعْلِ»: هذا النوع الأول من الاستطاعة، وهي المقارنة للفعل، والمصححة والموجبة له، وهي استطاعة كونية، وهي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل، وهي للكلمات الكونية، والأمر الكوني، ومنها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[هود:٢٠].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ [الكهف:١٠١].

فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة؛ إذ الأخرىٰ لا بد منها في التكليف.

قوله: «وأمَّا الاسْتِطاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحةِ وَالوُسْعِ، والتَّمكينِ وَسَلَامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ»: هذا النوع الثاني من الاستطاعة، وهي الاستطاعة المتقدمة علىٰ الفعل، والوسع هو الموسوع، أي الذي تسعه وتطيقه.

وهذه استطاعة شرعية يتعلق بها التكليف والأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس، وهي للكلمات الشرعية، والأمر الشرعي.

قوله: «وهُوَ كَمَا قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]»: أي لو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا علىٰ من حج، ولما عصىٰ أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجبا علىٰ أحد قبل الإحرام به؛ بل قبل فراغه.

ومن أمثلتها أيضا:

١- قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦]، فأمر بالتقوىٰ بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب علىٰ أحد من التقوىٰ إلا ما فعل فقط؛ إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة.

٢- قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فلو أريد به المقارن لما كُلِّفَ أحدٌ إلا الفعل الذي أتىٰ به فقط دون ما تركه من الواجبات.

٣- قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[المجادلة:٤]، والمراد به الاستطاعة المتقدمة؛ وإلا كان المعنىٰ: فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين، فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم، ولا يكون الصوم واجبا علىٰ أحد حتىٰ يفعله.

٤- قول النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»[(١)]، ولو أريد به المقارنة فقط لكان المعنىٰ: فأتوا منه ما فعلتم، فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه.

٥- قول النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»[(٢)]، ولو أريد

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) صحيح: رواه البخاري (١١١٧).

المقارن لكان المعنىٰ: فإن لم تفعل فتكون مخيَّرا.

وكل أمر عُلِّق في الكتاب والسنة وجوبُه بالاستطاعة، وعدمُه بعدمها لم يُرَدْ به المقارنة، وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا علىٰ من فعلها، وقد أسقطها عمن لم يفعلها، فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور[1].

مسألة [١]: مذاهب الناس في استطاعة العبد:

اختلف الناس في استطاعة العبد، هل هي مع فعله أم قبله؟ علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: الاستطاعة مع الفعل فقط، وهذا هو الغالب علىٰ مثبتة القدر المتكلمين من الأشاعرة.

وجعلوا القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد؛ إذ هي مقارنة له لا تنفك عنه.

القول الثاني: الاستطاعة قبل الفعل، وهذا هو الغالب علىٰ النفاة من المعتزلة والشيعة.

وجعلوا الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين ولا تقارن الفعل أبدا.

والقدرية أكثر انحرافا؛ فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٣٧١-٣٧٣).

قدرة بحال؛ فإن عندهم أن المؤثر لا بد أن يتقدم علىٰ الأثر لا يقارنه بحال سواء في ذلك القدرة والإرادة والأمر.

القول الثالث: الاستطاعة نوعان، وهو الصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة، كما تقدم في كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

مسألة [٢]: الكلمات في كتاب الله نوعان:

أحدهما: كونية قدرية؛ كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [يونس:٣٣].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود:١١٩].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»[(٢)]، فهذه كلماته الكونية التي يخلق بها ويكون، ولو كانت الكلمات الدينية هي التي يأمر بها وينهىٰ لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢].

الثاني: شرعية دينية؛ كقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، والمراد به القرآن.

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٥٤٦١)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٧٢٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٤٠).

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النساء: «فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ»(١).

وهي الكتب المنزلة التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم:١٢].

وقد اجتمع النوعان في قوله تعالىٰ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم:١٢]، فكتبه كلماته التي يأمر بها، وينهىٰ، ويحل، ويحرم، وكلماته التي يخلق بها، ويكون(٣).

مسألة [٣]: الأمر في كتاب الله نوعان:

أحدهما: كوني قدري كقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:٥٠].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء:٤٧].

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤)، من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) **انظر:** شفاء العليل، صـ(٢٨٢).

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٢١].

وكذلك في أظهر القولين قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء:١٦]، فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والمعنىٰ قضينا ذلك، وقدرناه.

الثاني: شرعي ديني؛ كقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨][(١)].

مسألة [٤]: الفرق بين المصطلح الكوني والمصطلح الشرعي:

كلٌّ من القضاء، والحكم، والإرادة، والكتابة، والأمر، والإذن، والجَعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والإيتاء ينقسم قسمين:

أحدهما: كوني خلقي متعلق بخلقه.

الثاني: ديني أمري متعلق بأمره.

فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من

(١) انظر: شفاء العليل، صـ(٢٨١).

الديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه.

ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق.

والأمران غير متلازمين فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره.

ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم.

وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر .

وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور.

وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي(١).

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (١/ ١٤٥-١٥٤)، ومجموع الفتاوى، (١٨/ ١٣٢)، وشفاء العليل، صـ (٢٨٠-٢٨٣).

[أفعال العباد]

وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ.

الشــرح

قولــه: «وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ»: أي أفعال العباد مخلوقة لله تعالىٰ، وهي من عمل العباد أنفسهم ليسوا خالقين لها، وليسوا مجبورين عليها.

فالله خلق العبد، وخلق عمله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾[الصافات:٩٦]، أي والذي تعملون.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾[الزُّمَر:٦٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[فاطر:٣].

وللعبد اختيار ومشيئة وفعل يصدر عنه، يستطيع أن يعمل الخير والشر، ولكن مشيئته تحت مشيئة الله جَلَّجَلَالُهُ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير:٢٩].

وقيل لها: كسبا؛ للتفريق بينها وبين الاكتساب؛ كما قال

تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦]؛ فالكسب -وهو عمل الحسنات- سهل علىٰ النفس يكون بلا مشقة؛ لأنه موافق للفطرة، أما الاكتساب -وهو عمل السيئات- فإنه يكون بمشقة، وكُلفة؛ لأنه يخالف فطرة الإنسان.

وقد أضاف الله جَلَّجَلَالُهُ الكسب إلىٰ العبد نفسه، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[البقرة:٢٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[التوبة:٨٢].

فدل ذلك علىٰ أن الكسب -وهو العمل- من العباد أنفسهم.

مسألة [١]: مذاهب الناس في أفعال العباد:

اختلف الناس في أفعال العباد علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: المعتزلة: غالوا في إثبات قدرة العبد، فقالوا: العبد يخلق فعل نفسه دون مشيئة من الله، فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، ويلزم من قولهم أن الله جَلَّوَعَلَا عاجز، وأنه يشاركه غيره في الخلق والإيجاد، وهذا قول المجوس، ولذلك المعتزلة سُمُّوا:

مجوس هذه الأمة، فالمجوس يقولون: إن للكون خالقَين: خالق للخير وخالق للشر، والمعتزلة زادوا عليهم وقالوا: كل إنسان يخلق فعل نفسه، فأثبتوا خالقِين؛ لذلك هم أردأ من المجوس.

الثاني: الجبرية والجهمية: غالوا في إثبات قدرة الله، فقالوا: الإنسان مجبور علىٰ فعل نفسه، مثل حركة الأشجار، والريشة في مهب الريح، وأن إضافة الفعل إليه مجاز، ويقولون: المؤثر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد، أي أن الله يعذب العبد علىٰ شيء ليس له فيه اختيار، ولا استطاعة، ويثيبه علىٰ شيء لم يفعله(١).

الثالث: أهل السنة والجماعة: تقدم قولهم في شرح كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مسألة [٢]: أدلة القدرية:

استدلت القدَرية علىٰ أن أفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله بعدة أدلة، منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾[النحل:٣٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾[الزُّخرُف:٧٢].

قالوا: هذا فيه أن العبد يستحق دخول الجنة بعمله.

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٥)، ومجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٥٦-٢٦١)، ولوامع الأنوار (١/ ٩٠).

أجيب بأن الباء هنا سببية، أي بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة، وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم، فدخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها، وقبولُها برحمة الله تعالىٰ وفضله، والله تعالىٰ هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلىٰ محض فضل الله ورحمته(١).

٢- قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤].

قالوا: هذه الآية فيها إثبات وجود خالقِين مع الله، فالله خالق، والعباد خالقون، لكن الله جَلَّجَلَالُهُ هو أحسن هؤلاء الخالقين.

أجيب بأن المعنىٰ: أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد:١٦]، أي الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم «**كل**»(٢).

مسألة [٣]: أدلة الجبرية:

استدلت الجبرية علىٰ قولهم بأن الإنسان مجبور بعدة أدلة، منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٦١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤١٦)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٤٢).

(٢) انظر: شفاء العليل، صـ(١٣١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٤٢-٦٤٣).

رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧].

قالوا: نفىٰ الله عن نبيه ﷺ الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل علىٰ أنه لا صنع للعبد.

أجيب بأن هذه الآية ليست من هذا الباب؛ فإن هذا خطاب لهم في واقعة بدر حيث أنزل الله جَلَّ جَلَالُهُ ملائكته فقتلوا أعداءه، فلم ينفرد المسلمون بقتلهم، بل قتلتهم الملائكة، وأما رميه ﷺ فالمراد به الحذف والإلقاء، وأما إيصال ما رمىٰ به إلىٰ وجوه العدو مع البُعد وإيصال ذلك إلىٰ وجوه جميعهم فلم يكن من فعله، ولكنه فِعْلُ الله وحده؛ فالرمي يراد به الحذف والإيصال، وكل منهما يسمىٰ رميا، فأثبت له الحذف بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، ونفىٰ عنه الإيصال بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت، ولكن الله صلىٰ! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت! وفساد هذا ظاهر(١).

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ»(٢).

قالوا: فيه أن الجزاء غير مرتب علىٰ الأعمال.

---

(١) انظر: شفاء العليل، صـ(٥٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٤٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

أجيب بأن المراد أنه لا يدخل أحد الجنة بمجرد عمله وطاعته، ولا يستحق أحد الثواب بطاعته، وإنما برحمة الله تعالىٰ وفضله[(١)]، فالنفي لدخول الجنة ابتداء واستحقاقا، ولكنه بفضل الله ورحمته، وأما المنازل التي تُورَث في الجنة فإنها بسبب هذه الأعمال.

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٦٠-١٦١).

[التكليف والإطاقة]

ولَـمْ يُكَلِّفْهُـم اللهُ تَعَـالَىٰ إِلَّا مَـا يُطِيقُـون، وَلَا يُطيقُـونَ إِلَّا مَـا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِير: «لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ».

نقـول: لَا حِيلَـةَ لأَحَـدٍ، وَلَا حَرَكَـةَ لأَحَـدٍ ولا تَحَـوُّلَ لأحَـدٍ عَـنْ مَعْصِـيَةِ اللهِ إِلَّا بِمعونَـةِ اللهِ، وَلَا قُـوَّةَ لأحَـدٍ علـىٰ إِقَامَـةِ طَاعَـةِ اللهِ والثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوفِيقِ الله.

.... الشـــرح ....

قولـــه: «ولَـمْ يُكَلِّفْهُـم اللهُ تَعَـالَىٰ إِلَّا مَـا يُطِيقُـون»: أي لـم يكلِّـف عبـاده إلا بمـا يسـتطيعون، وفيـه الـرد علـىٰ مـن زعـم أن الله كلَّف العباد بما لا يطيقون، كما قالت الأشعرية.

وهـذه الطاقـة هـي التـي مـن جهـة التوفيـق، لا التـي مـن جهـة الصـحة والوسـع والـتمكن وسـلامة الآلات؛ لأن بعـض التكـاليف يعجـز عنهـا الـبعض فتسـقط عنـه، ويقـدر عليهـا الـبعض فتجـب عليه؛ لذلك قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وقـــال تعـــالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:٦١].

وقـــــال تعـــــالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[البقرة:٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨].

قوله: «وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ»: أي لا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه ربهم من الأوامر والنواهي.

والصحيح أن العباد يطيقون أكثر مما كلفهم الله به؛ ولكنه خفف عنهم ويسر عليهم؛ إحسانا منه وفضلا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وأرشد إلىٰ أن أفضل السبل الاعتدال في الدين؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَىٰ اللهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**»(٢)، أي لا يتعمق أحد في الطاعات، ويترك الرفق إلا عجز، وانقطع فيُغلب(٣).

قوله: «وَهُوَ تَفْسِيرُ: «لَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ»»: أي لا تحول

(١) صحيح: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٣٩)، ورواه أحمد موصولا (٢١٠٧)، وصححه أحمد شاكر.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٩).
(٣) انظر: فتح الباري (١/ ٩٤).

من حال إلىٰ حال إلا بحول الله وقوته وإعانته جَلَّ وَعَلَا وتوفيقه، فلا أقدر علىٰ التحول من حال المرض إلىٰ حال الصحة إلا بإعانة الله وتوفيقه، ولا أقدر علىٰ التحول من حال الفقر إلىٰ حال الغنىٰ إلا بإعانة الله وتوفيقه، ولا أقدر علىٰ التحول من حال الضعف إلىٰ حال الغنىٰ إلا بإعانة الله وتوفيقه.

قوله: «نَقولُ: لَا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلَا حَرَكَةَ لأحَدٍ ولا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمعونَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ لأحَدٍ علىٰ إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ والثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوفِيقِ اللهِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود:٨٨].

والتوفيق هو أن يلطف الله تعالىٰ بعبده ويعينه، ويدفع عنه، ويكلأه كَلَاءَةَ الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه، ولا يدعه ونفسه، ولا يكله إليها.

وضده **الخذلان** وهو أن يخلي الله تعالىٰ بين العبد وبين نفسه ويكله إليها.

فمن خلَّىٰ الله بينه وبين نفسه هلك كل الهلاك، ولهذا كان من دعائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[1]، فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه إبليس، فإن تولاه الله لم يظفر

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٤١٢)، وأحمد (٢٠٤٣٠)، من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

بـه عـدوه، وإن خذلـه وأعـرض عنـه افترسـه الشـيطان كمـا يفـترس الذئب الشاة[١].

(١) انظر: شفاء العليل، صـ (١٠٠).

[مشيئة الله وعلمه وقضاؤه جَلَّ وَعَلَا]

وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تعالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا، يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيْرُ ظَالمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وتَنَزَّهَ عَنْ كلِّ عَيْبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣].

الشرح

قوله: «وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تعالَىٰ وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ»: أي لا يقع شيء إلا بمشيئته، وتقديره، وقضائه، وقدره جَلَّ وَعَلَا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

والقضاء هنا بمعنىٰ القضاء الكوني القدري، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ:١٤].

وقوله: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزُّمَر:٦٩].

وقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:١٢].

وكذلك المشيئة هنا بمعنىٰ الإرادة الكونية، وقد تقدم ذلك.

وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة ثلاث مراتب للقدر وهي العلم، والقدر «**الكتابة**»، والمشيئة، أما المرتبة الرابعة فتقدم ذكرها في قوله: «**وأفعال العباد خلق الله**».

قوله: «غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا»: أي مهما شاء العبد شيئا لم يحدث إلا إذا شاءه الله تعالىٰ، والمراد هنا إرادته الكونية، وقضاؤه الكوني.

قوله: «يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيْرُ ظَالِم أَبَدًا»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾[الكهف:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾﴾[طه:١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾[ق:٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾[هود:١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل:١١٨].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[(١)]، أي تقدست عنه، وتعاليت[(٢)].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٢).

والظلم عند أهل السنة والجماعة: هو وضع الشيء في غير موضعه، والعدلُ: وضع كل شيء في موضعه وهو سبحانه حكم عدل يضع الأشياء مواضعها، ولا يضع شيئا إلا في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل، وهذا الذي دلت عليه النصوص كما تقدَّم.

واتفق المسلمون وسائر أهل الملل علىٰ أن الله تعالىٰ عدل قائم بالقسط لا يظلم شيئا، بل هو منزَّه عن الظلم(١).

قوله: «تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ»: أي لا يوصف الله بما فيه سوء، وهلاك.

قوله: «وتَنَزَّهَ عَن كُلِّ عَيْبٍ وشَيْنٍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ٢٣﴾»: أي هو الحاكم الذي لا معقِّب لحكمه، فلا يعترض عليه أحد؛ لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، وهو سائل خلقه عما يعملون(٢).

مسألة [١]: القضاء نوعان:

أحدهما: قضاء كوني قدري: هو المتقدم في كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الآخر: قضاء شرعي ديني: منه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، أي أمر، وشرع، ولو كان قضاء

(١) انظر: جامع المسائل (١/ ١٢١، ١٢٣-١٢٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٧).

كونيا لما عُبد غير الله.

مسألة [٢]: تفسير الظلم في حق الله عند المعتزلة والأشاعرة والجهمية:

المعتزلة: قالوا: إن الظلم مقدور لله تعالىٰ، ولكنه منزَّه عنه، وهذا حق، إلا أنهم يجعلون الظلم منه هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض، وشبهوه في الأفعال بأفعال العباد، وضربوا لله الأمثال، ولم يجعلوا له المثل الأعلىٰ، بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب علىٰ العباد، ويحرم بقياسه علىٰ العباد.

وقالوا: إذا أمر العبد، ولم يُعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالما له، وقالوا: إنه لا يقدر أن يهدي ضالا، ولا يقدر أن يضل مهتديا، وإذا أمر اثنين بأمر واحد، وخص أحدهما بإعانته علىٰ فعل المأمور كان ظالما[١].

وقالوا: الله عدل لا يظلم؛ لأنه لم يُرِدْ وجود شيء من الذنوب لا الكفر ولا الفسوق ولا العصيان، بل العباد فعلوا ذلك بغير مشيئته كما فعلوه عاصين لأمره، وهو لم يخلق شيئا من أفعال العباد لا خيرا ولا شرًّا، بل هم أحدثوا أفعالهم، فلما أحدثوا معاصيهم استحقوا العقوبة عليها، فعاقبهم بأفعالهم، ولم يظلمهم[٢].

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٣٨).
(٢) **انظر**: جامع المسائل (١/ ١٢٣).

الجهمية والأشاعرة: قالوا: إن الظلم ليس بممكن الوجود غير مقدور، بل كل ممكن إذا قدر وجوده منه جَلَّجَلَالُهُ فإنه عدل، والظلم هو الممتَنع، مثل الجمع بين الضدين وكون الشيء موجودا معدوما؛ فإن الظلم أحد أمرين:

أحدهما: التصرف في ملك الغير، وكل ما سواه ملكه جَلَّجَلَالُهُ.

الآخر: مخالفة الآمر الذي تجب طاعته، وليس فوق الله تعالىٰ آمر تجب عليه طاعته.

ويقولون: إنه لو عذب المطيعين، ونعَّم العصاة لم يكن ظالما[1].

(١) **انظر:** منهاج السنة النبوية (١/ ١٣٤-١٣٥)، وجامع المسائل (١/ ١٢١-١٢٢).

[الدعاء للأموات]

وفي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَات.

الشرح

قوله: «وفي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَات»: أي الدعاء يصل ثوابه إلىٰ الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما بين العلماء، وكذلك قضاء الدَّين؛ لقول النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[(١)].

معنىٰ الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها؛ فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلَّفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف[(٢)].

واتفق أهل السنة علىٰ أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) **انظر:** شرح صحيح مسلم (١١/ ٨٥).

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة(١).

ومن الأدلة علىٰ انتفاع الميت بالدعاء:

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[الحشر: ١٠]، فهذا ثناء علىٰ من دعا بالمغفرة للمؤمنين قبله، فدل علىٰ أن الميت ينتفع به، ولو كان الميت لا ينتفع بالدعاء لما أثنىٰ الله به عليهم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَىٰ المَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**»(٢).

وكانَ من دُعَاءِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَيتِ في صلاةِ الجِنازةِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ....**»(٣).

ونَعَىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ فِي اليَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ**»(٤).

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَىٰ المَقَابِرِ أَنْ يَقُولُوا: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ**

---

(١) **انظر**: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٦٤).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٣١٩٩)، وابن ماجه (١٤٩٧)، وحسنه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩٦٣)، عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٠)، ومسلم (٩٥١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ»(١).

وأجمع أهل العلم علىٰ الدعاء للميت في صلاة الجنازة(٢).

ومن الأدلة علىٰ انتفاع الميت بالصدقة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ(٣) المِخْرَافَ(٤) صَدَقَةٌ عَلَيْهَا(٥).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا(٦) وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»(٧).

ففي هذين الحديثين جواز الصدقة عن الميت، واستحبابها، وأن

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٥)، من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: المغني (٣/ ٤١٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٦٥).
(٣) حائطي: أي بستاني.
(٤) المخراف: أي المكان المثمر، سمي بذلك؛ لما يَخْرُفُ منه، أي يَجني من الثمرة. [انظر: فتح الباري (٥/ ٣٨٦)].
(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٧٥٦).
(٦) افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا: أي ماتت فجأة. [انظر: شرح صحيح مسلم (١١/ ٨٤)].
(٧) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤).

ثوابها يصله وينفعه، وينفع المتصدق أيضا، وهذا كله أجمع عليه المسلمون[(١)].

ومن الأدلة على انتفاع الميت بالصيام إذا مات وعليه صيام واجب:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ**»[(٣)].

ففي هذين الحديثين استحباب قضاء الصيام عن الميت[(٤)].

ومن الأدلة على انتفاع الميت بالحج إذا مات ولم يحج:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ، أَفَأَحُجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟**»،

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١١/ ٨٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٤٨).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (٨/ ٢٦).

قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: «اقْضُوا اللهَ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»[(١)].

فهذا الحديث فيه إجزاء الحج عن الميت[(٢)].

مسألة: اختلاف العلماء في انتفاع الميت بالأعمال الصالحة فيما عدا الدعاء والصدقة:

القول الأول: ينتفع بها.

وهو مذهب أحمد وأبي حنيفة، وطائفة من أصحاب مالك والشافعي.

القول الثاني: ينتفع بالعبادات المالية فقط، كالصدقة.

وهو قول أكثر المالكية، وأكثر الشافعية.

القول الثالث: لا ينتفع منها بشيء.

وهو قول المعتزلة.

استدل المجوِّزون بالنصوص السابقة في انتفاع الميت بدعاء الحي له، وصدقته، وصيامه، وحجه عنه.

واستدل المانعون بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم:٣٩].

قالوا: هذه الآية تدل علىٰ عدم وصول ثواب القرآن للميت.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣١٥)، ومسلم (١١٤٩).

(٢) انظر: فتح الباري (٤/ ٦٦).

وقول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

أجيب عن استدلالهم بالآية بأن العلماء اختلفوا فيها على ثمانية أقوال:

قيل: إنها منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور:٢١]، أدخل الآباء الجنة بصلاح الأبناء.

وقيل: إن الأولاد والأصدقاء من سعي الإنسان الحسن، وحُسن عشرته، ولولا ذلك لما دعوا له، وترحموا عليه، وأهدوا له ثواب الطاعات.

وقيل: ليس للإنسان إلا ما سعىٰ من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائز أن يزيد الله تعالىٰ ما شاء.

وقيل: المراد بالنفي أن الإنسان لا يملك غير سعيه، وليس المراد نفي انتفاعه بسعي غيره، فمن شاء أن يهبه لغيره فلا حرج.

وقيل: هي عامة وخصصتها الأحاديث المتقدمة(٢).

وأجيب عن استدلالهم بالحديث أنه نفىٰ انقطاع العمل، ولم ينفِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١١/ ٨٤-٨٦)، ومجموع الفتاوىٰ (٢٤/ ٣٢٢-٣٢٣)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣/ ١١٨)، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي (٢/ ٨٣-٨٤)، وكشاف القناع، للبهوتي (٤/ ٢٣٥-٢٣٧).

انقطاع الانتفاع، وبين الأمرين فرق ظاهر.

وأجيب عمن استثنى العبادات المالية فقط بأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه أذن في الصيام عن الميت، وكذلك الحج.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «**ضَحَّى بِكَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ، سَمِينَيْنِ، أَقْرَنَيْنِ، فَذَبَحَ أَحَدَهُمَا عَنْ أُمَّتِهِ، لِمَنْ شَهِدَ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَشَهِدَ لَهُ بِالبَلَاغِ، وَذَبَحَ الآخَرَ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَعَنْ آلِ مُحَمَّدٍ** ﷺ»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه: لم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعا وصاموا وحجوا أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين، ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم فعل العبادة لأنفسهم مع الدعاء والصدقة للميت، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف؛ فإنه أفضل وأكمل، والله أعلم[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣١٢٢)، وأحمد (٢٥٨٤٣)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٣).

[استجابة الدعاء وقضاء الحاجات]

وَاللهُ تَعالَىٰ يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ.

الشـرح

قـولـه: «وَاللهُ تَعالَىٰ يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ»: أي أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يستجيب دعاء الداعين، ويقضي حوائجهم.

يريد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرد علىٰ من زعم أن الدعاء لا فائدة فيه كالمتفلسفة والمتصوفة، والحق أن الدعاء من أعظم الأسباب التي جعلها الله سببا[(١)]، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر:٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة:١٨٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[النمل:٦٢].

والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع

---

(١) انظر: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٤١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٨).

نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو من أقوىٰ الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره لعدة أسباب:

إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله؛ لما فيه من العدوان.

وإما لضعف القلب، وعدم إقباله علىٰ الله وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرِّخْو جدًّا؛ فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا.

وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورَين الذنوب علىٰ القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها؛ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»(١)، فهذا دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوله.

وكذلك أكل الحرام يبطل قوَّته ويضعفها؛ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١﴾** [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ**

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الألباني.

السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[(١)].

واعلم أن إجابة الدعاء لها أحوال، كما في حديثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[(٢)].

ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بَذَر بَذْرًا، أو غرس غراسا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه، تركه وأهمله!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»[(٣)].

وعَنْه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «**قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي،**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه أحمد (١١١٣٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩/ ٤٦٧).

فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[(١)].

وكثيرا ما تجد أدعية دعا بها قوم، فأستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه، وإقباله علىٰ الله، أو حسنة تقدمت منه جعل الله سبحانه إجابةَ دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، فيظن الظان أن السر في لفظ ذلك الدعاء، فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي علىٰ الوجه الذي ينبغي، فانتفع به، فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، كان غالطا.

ومن هذا أنه قد يدعو باضطرار عند قبر فيجاب، فيظن الجاهل أن السر للقبر، ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[(٢)].

مسألة [١]: لماذا قالت المتفلسفة والمتصوفة: الدعاء لا فائدة فيه؟

قالوا: الدعاء لا فائدة فيه؛ لأن المشيئة الإلهية والأسباب العلوية إما أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب، وحينئذ فلا حاجة إلىٰ الدعاء، أو لا تكون اقتضته، وحينئذ فلا ينفع الدعاء.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٥).

(٢) انظر: الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، صـ(١٠-١١، ١٥، ٢٥-٢٦).

أجيب بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل الدعاء سببا لحصول الخير المطلوب، أو غيره، كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة، فإذا أراد الله بعبد خيرًا ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعاءه سببًا للخير الذي قضاه له، كما أن الله تعالىٰ إذا أراد أن يشبع عبدًا، أو يرويه ألهمه أن يأكل أو يشرب، وإذا أراد الله أن يتوب علىٰ عبد ألهمه أن يتوب، فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه ويدخله الجنة يسره لعمل أهل الجنة، والمشيئة الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدرة لها، كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح، ووجود الولد بالوطء، والعلم بالتعليم.

فمبدأ الأمور من الله، وتمامها علىٰ الله، لا أن العبد نفسه هو المؤثِّر في الرب، أو في ملكوت الرب، بل الرب سبحانه هو المؤثِّر في ملكوته وجاعل دعاء عبده سببًا لما يريده سبحانه من القضاء[1].

مسألة [٢]: هل إجابة الدعاء معناها أن الله يحب الداعي وراضٍ عنه؟

ليس كل من أجاب الله جَلَّ وَعَلَا دعاءه يكون راضيًا عنه، ولا محبًّا له، ولا راضيًا بفعله؛ فإنه يجيب دعاء البَر والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدىٰ فيه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل،

---

(١) انظر: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٤١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٨-٢٢٩).

فيحصل له ذلك أو بعضه، فيظن أن عمله صالح مرضي لله، ويكون بمنزلة من أملىٰ له وأمد بالمال والبنين، وهو يظن أن الله تعالىٰ يسارع له في الخيرات، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام:٤٤].

فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي، وقد يكون مسألة تقضىٰ به حاجته ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته، فيقضي حاجته ويعاقبه علىٰ ما فعله من إضاعة حقوقه، واعتداء حدوده[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما إجابة السائلين فعام؛ فإن الله يجيب دعوة المضطر، ودعوة المظلوم وإن كان كافرا»[٢].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢١٥-٢١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٢٣).

[كمال ملك الله جَلَّجَلَالُهُ وغناه]

وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ.

وَلَا غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

الشـــرح

قولـه: «وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ»: أي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متفرِّد بالملك، ولا مالك علىٰ الحقيقة إلا هو، فما من شيء إلا يملكه عَزَّوَجَلَّ، أما ملك الإنسان فناقص يوشك أن يتركه، كما أنه عرضة للنفاد والزوال بخلاف ملك الله فلا ينفد، ولا يزول، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل:٩٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾[آل عمران:٢٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [المُلك:١].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٠٧].

قوله: «وَلَا غِنَىٰ عَنِ اللهِ تَعَالىٰ طَرْفَةَ عَيْنٍ»: أي لا يستطيع أحد أن يستغني عن رحمة الله، وفضله، ونعمه؛ لأن جميع الخلق فقراء محتاجون إليه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ في جميع الحركات، والله هو الغني المنفرد بالغنىٰ وحده لا شريك له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥][(١)].

قوله: «وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ»: أي من زعم أنه مستغنٍ عن الله طرفة عين، يستطيع أن يدبِّر أموره دون الحاجة إلىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ خالقا ورازقا فقد كفر، وصار من أهل الهلاك، وإنما الواجب علىٰ العبد أن يظهر افتقاره إلىٰ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وحاجته إليه في جميع حركاته وسكناته.

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٦-٧]، ولم يقل: إن استغنىٰ، بل جعل الطغيان ناشئًا عن رؤية غنىٰ نفسه[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤١).

(٢) انظر: طريق الهجرتين، صـ(١٤).

[رضا الله جَلَّ وَعَلَا وغضبه]

والله يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ.

الشرح

قوله: «والله يَغْضَبُ وَيَرْضَىٰ لَا كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَىٰ»: أي الله يغضب غضبا حقيقيا لا يشبه غضب المخلوق، ويرضىٰ رضا حقيقيا لا يشبه رضا المخلوق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١] .

وهذا فيه رد علىٰ الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والكُلَّابية الذين نفوا الصفات كالغضب، والرضا.

والرضا والغضب من الصفات الفعلية التي إذا شاء الله فعلها، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[المائدة:١١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[المائدة:٦٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ

خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ﴾[النساء:٩٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٦١].

وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾[طه:٨١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[(١)].

مسألة: مذاهب المبتدعة في صفات الله عَزَّ وَجَلَّ:

أوَّلت الأشاعرة الغضب بإرادة الانتقام، والرضا بإرادة الإحسان، فنفت بذلك صفتي الغضب، والرضا، وأثبتت الإرادة.

وكذلك نفوا جميع الصفات إلا سبعة، وهي العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام، والحياة، وزادت الماتردية صفة التكوين.

أجيبوا بأنه لا فرق بين ما نفيتُموه وبين ما أثبتُّموه، بل القول في

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

أحدهما كالقول في الآخر.

قالوا: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين.

أجيبوا بأنه كذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل.

قالوا: لله إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به.

أجيبوا بأن له كذلك محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

قالوا: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام.

أجيبوا بأن الإرادة كذلك ميل النفس إلىٰ جلب منفعة، أو دفع مضرة.

قالوا: هذه إرادة المخلوق.

أجيبوا بأن هذا غضب المخلوق.

وكذلك يُلْزَمون بالقول في كلام الله جَلَّجَلَالُهُ، وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفوا عن الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتفٍ عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات.

قالوا: إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه.

أجيبوا بأن السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة هكذا.

أما المعتزلة فنفت جميع الصفات، وأثبتت الأسماء.

قالوا: إن الله حي بلا حياة، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة.

أجيبوا بأنه لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات.

قالوا: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا؛ لأنّا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم.

أجيبوا بأنكم كذلك لا تجدوا مسمىً بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيتم ما نفيتم لكونكم لم تجدوه إلا جسما فانفوا الأسماء، بل وكلَّ شيء؛ لأنكم لا تجدوه إلا للجسم.

أما الجهمية فنفت جميع الأسماء والصفات، وأثبتت الذات مطلقة مجردة.

قالوا: لا نقول: الله موجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، بل هذه الأسماء لمخلوقاته، أو هي مجاز؛ لأن إثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي العليم القدير.

أجيبوا بأنه كذلك إذا قلتم: ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير، كان ذلك تشبيها بالمعدومات، وذلك أقبح من التشبيه بالموجودات.

وكذلك القول في الصفات كالقول في الذات؛ فلا فرق بين إثبات الذات وبين إثبات الأسماء والصفات؛ فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل

الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات[(١)].

وأما الكُلَّابية فأثبت الصفات اللازمة، ونفت الصفات الفعلية التي تتعلق بالمشيئة والقدرة كالرضا، والغضب، والكلام، والضحك، وقالت: جميع هذه الصفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضىٰ إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يتكلم إذا شاء[(٢)].

قالت الجهمية والمعتزلة: نحن لا نثبت الصفات؛ لأنها أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والأجسام محدثة؛ فلو قامت به الصفات؛ لكان محدَثا.

وقالت الكُلَّابية: نحن نثبت الصفات، ولا نقول: هي أعراض؛ فإن العرض لا يبقىٰ زمانين، وصفات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عندنا باقية بخلاف الأعراض القائمة بالمخلوقات؛ فإن الأعراض عندنا لا تبقىٰ زمانين[(٣)].

وهذا كله باطل لا دليل عليه من الكتاب أو السنة النبوية، وإنما هو نتاج إعمال العقل فيما يجب الوقوف عنده؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، فيجب علىٰ المسلم أن يقف علىٰ ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، ولا يتعداه.

---

(١) **انظر**: التدمرية، صـ(٣١-٣٢، ٣٥-٣٦، ٤٦).
(٢) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٥١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٦).
(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥٣٦).

[الاعتقاد في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]

وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفرطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم، وَلَا نَتَبَرَّأَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نَذْكُرُهُم إلَا بخَيْرٍ، وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.

الشرح

قوله: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعهم.

وهذا فيه الرد على الروافض والخوارج الذين يبغضون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويتبرؤون منهم، ويكفرونهم.

وقد أثنى الله جَلَّ جَلَالُهُ على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كتابه، كما أثنى عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحديد:١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي التابعون وهم الذين يجيؤون بعد المهاجرين والأنصار إلىٰ يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يَدْعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ أي إخواننا في الدين ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي غشا وحسدا وبُغْضا، فمن كان في قلبه غِل علىٰ أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يترحم علىٰ جميعهم؛ فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله تعالىٰ قسم المؤمنين ثلاثة أقسام: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن

من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين[(١)]، ومن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلا لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان[(٢)] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، أي لرأفتك ورحمتك، نسألك المغفرة لنا، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

وهؤلاء يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم التابعون بإحسان، أي: المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية.

واستنبط الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠][(٣)].

وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٧٩).
(٢) انظر: فتح القدير (٥/ ٢٤٠).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٧٢-٧٣).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣).

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فقَالَ: «**مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّىٰ نُصَلِّيَ مَعَكَ العِشَاءَ، قَالَ «**أَحْسَنْتُمْ، أَوْ: أَصَبْتُمْ**»، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ**(١)، **فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَىٰ السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي**(٢)، **فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ**(٣)، **وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(٤).

وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(٥).

---

(١) **أمنة للسماء**: أي ما دامت النجوم باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء، فانفطرت، وانشقت، وذهبت. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٨٣)].

(٢) **وأنا أمنة لأصحابي**: أي من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٨٣)].

(٣) **فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمتي ما يوعدون**: أي من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وانتصار الكفار وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة، ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٨٣)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٣١).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

والمعنىٰ: لو أنفق أحدكم مثل جبل أُحد ذهبا ما بلغ ثوابُه في ذلك ثوابَ نفقة أحد أصحاب النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مُدًّا ولا نِصف مُدٍّ، وسببُ تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعاتهم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحديد:١٠]، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلةُ الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(١).

قال البيضاوي رَحِمَهُٱللَّهُ: معنىٰ الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُدِّ طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص، وصدق النية(٢).

وعنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ**

---

(١) **انظر:** شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٣).

(٢) **انظر:** فتح الباري (٧/ ٣٤).

بَايَعُوا تَحْتَهَا»[١].

قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا، وإنما قال إن شاء الله؛ للتبرك لا للشك[٢].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الهَدْيِ المُسْتَقِيمِ»[٣].

وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ»[٤].

وقال الشَّعْبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فُضِّلَتِ اليهود والنصارىٰ علىٰ الرافضة بخصلتين: سُئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ، وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، وسُئلت

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٥٨).

(٣) **انظر** : شرح السنة، للبغوي (١/ ٢١٤)، وحلية الأولياء، للأصبهاني (١/ ٣٠٥).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٢-١٣)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤-٢١٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر .

النصارىٰ: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسىٰ، وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد، أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف مسلول عليهم إلىٰ يوم القيامة، لا يثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية، ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحوضة، وجمعهم متفرِّق، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

واتفق العلماء علىٰ أن خير القرون قرنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمراد أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والمراد جملة القرن بالنسبة إلىٰ كل قرن بجملته، والصحيح أن قرنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم[(٢)].

قوله: «وَلَا نُفرطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم»: أي لا نغلوا في حب أحد منهم، وهذا فيه رد علىٰ الشيعة الذين تجاوز الحد في حب بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فزعم بعضهم أنه هو الله جَلَّ وَعَلَا.

وقد نهانا الله عن الغلو، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة:٧٧]، أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتىٰ تخرجوه عن حيز النبوة إلىٰ مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨/ ١٥٤٩).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٨٤-٨٥).

الأنبياء، فجعلتموه إلها من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديما[(١)]، وكل ما نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عنه أهل الكتاب في القرآن هو نهي للمسلمين من باب أولىٰ.

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[(٢)].

قوله: «وَلَا نَتَبَرَّأَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم»: أي لا نتبرأ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل نتولاهم ونحبهم وننصرهم، وفي هذا رد علىٰ الروافض الذين تبرؤا من أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقدحوا فيهم، وقالوا: لا ولاءَ إلا ببراء، أي لا يتولىٰ آل البيت إلا بالبراء من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: «وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم»: لأنَّهمْ حملةُ هذا الدِّينِ وناصرُوه، وهم الصفوةُ المختارةُ من هذِه الأمةِ، اختارهم الله لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهمُ السابقونَ إلىٰ الإسلامِ، وهمُ الذين جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وأبلَوا بلاءً حسنًا في الدِّفاعِ عن الإسلامِ حتىٰ مكَّنَ اللهُ لهذا الدِّينِ في الأرضِ علىٰ أيدِيهِم، فلا يبغضهم إلا زنديق يبغض الدين.

---

(١) **انظر**: تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١٨٥١)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

قال أبو زُرعة الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يريدون أن يُجَرِّحُوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة»(١).

قوله: «ولا نَذْكُرُهُم إلَا بِخَيْرٍ»: أجمع أهل السنة علىٰ الكف عن ذكر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلا بخير ما يذكرون به، وعلىٰ أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب(٢).

وأجمعوا أيضا علىٰ وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عملا بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠]، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران: أجر علىٰ اجتهاده وأجر علىٰ إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور، ولا نقول: إنهم معصومون، بل مجتهدون،

(١) انظر: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ(١٧٢).
(٢) انظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي «ت٤٦٣هـ»، صـ(٤٩).

إما مصيبون، وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك(١).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(٢).

قَالَ العَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أَدْرَكْتُ صَدْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَقُولُونَ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَتَّى تَأْلَفَ عَلَيْهِمُ القُلُوبُ، وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَتُجَسِّرُوا(٣) النَّاسَ عَلَيْهِمْ**»(٤).

قوله: «وَحُبُّهُم دِينٌ وإيمَانٌ»: لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أثنى عليهم، وامتدحهم، وأمرنا بمحبتهم، ولا يثني الله إلا على ما ارتضاه دينا.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»(٥)، أي من علامات الإيمان حب الأنصار، ومن علامات النفاق بغض الأنصار(٦).

---

(١) **انظر**: معارج القبول شرح سلم الوصول، للشيخ حافظ الحكمي «ت١٣٧٧هـ» (٣/ ١٢٠٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

(٣) **تُجَسِّرُوا**: أي تشجعوا.

(٤) **انظر**: تفسير القرطبي (١٨/ ٣٣).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٦) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٢/ ٦٣).

قوله: «وإحْسَانٌ»: لأن من أحبهم فقد أتىٰ بما يجب عليه، وتقرب إلىٰ الله، وهذا هو الإحسان.

قوله: «وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ»: لأن الله رضي عنهم، وشهد لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيرية، فمن بغضهم لأجل دينهم فقد كفر كفرا أكبر، ومن بغضهم لأجل الدنيا فقد كفر كفرًا أصغر.

وبغضهم نفاق؛ لحديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المتقدم، وفيه: «**وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[(١)].

وبغضهم طغيان؛ لمجاوزة الحد في ذلك، وكل من جاوز الحد المسموح به فقد طغىٰ.

مسألة [١]: تعريف الصحابي:

أهل الحديث يطلقون اسم الصحابة علىٰ كل من روىٰ عنه حديثا أو كلمة، ويتوسعون حتىٰ يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة[(٢)].

قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «**وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ رَآهُ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ**»[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) **انظر**: مقدمة ابن الصلاح، صـ (٢٩٣).

(٣) **انظر**: صحيح البخاري (٥/ ٢).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو ساعة فهو من أصحابه**»[(١)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصحابي هو من لقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنا به، ومات علىٰ ذلك، ولو تخللت رِدة في الأصح[(٢)].

مسألة [٢]: تفاضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

أفضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي[(٣)]؛ لحديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ المُحْدَثَاتِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٤)].

وعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ**[(٥)] **فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»[(٦)].

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة؛ كما في حديثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٨٤-٨٥).

(٢) **انظر**: نزهة النظر، صـ(١١١).

(٣) **انظر**: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٨-٢٩٩)، وفتح الباري (٧/ ١٦).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني.

(٥) **نخير بين الناس**: أي نفاضل بين الناس، فنقول: فلان خير من فلان.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٥٥).

عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١).

ثم أهل بدر علىٰ قدر الهجرة والسابقة(٢)؛ كما في قصة حَاطِب بن أبي بَلْتعةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ**(٣) **عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٤).

وقد تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم عَلي بعد عثمانَ، ومن تقديم بقيةِ العشرةِ المبشرة علىٰ غيرهم، ومن تقديم أهل بدر علىٰ من لم يشهدها(٥).

ثم أهل بيعة الرضوان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨﴾ [الفتح: ١٨].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (٨١٣٨)، وأحمد (١٦٧٥)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ(١٧١)، وفتح الباري (٧/ ٥٨).

(٣) **اطلع**: أي نظر إليهم، وعلم حالهم، وما سيكون منهم.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٥) **انظر**: فتح الباري (٧/ ٥٨).

ثم الذين آمنوا قبل الفتح وجاهدوا، فهم أفضل من الذين آمنوا بعد الفتح وجاهدوا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: ٢٠].

وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورا عظيما، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

والمراد بالفتح عند أكثر المفسرين: فتح مكة[1]، واختار شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الفتح هو صلح الحديبية، وكان في ذي القَعدة، من السنة السادسة من الهجرة.

والدليل علىٰ أن الفتح هو صلح الحديبية: قولُ البَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ»**[2].

ثم المهاجرون، ثم الأنصار؛ لأن المهاجرين جمعوا بين النصرة والهجرة، فقد هجروا أوطانهم وأموالهم وأهليهم إلىٰ الله ورسوله،

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (٨/ ٣٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤١٥٠).

ونصروا الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله تعالىٰ في وصف المهاجرين: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر:٨]، فنص علىٰ الهجرة والنصرة، لذلك هم أفضل من الأنصار.

ولأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدمهم علىٰ الأنصار في كتابه الكريم، فدل علىٰ أنهم أفضل.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة:١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٨-٩].

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيين رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويَمنا، فكان من مذهبهم: وخير هذه الأمة بعد نبيها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وشهد لهم بالجنة علىٰ ما شهد به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقوله الحق، والترحم علىٰ جميع أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والكف عما شجر بينهم(١).

وقال النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: اتفق أهل السنة علىٰ أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر، قال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي علىٰ عثمان، والصحيح المشهور تقديم عثمان، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم من أسلم قبل الحديبية، وقيل: من صلىٰ إلىٰ القبلتين، وقيل: أهل بدر(٢).

مسألة [٣]: حكم سب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ:

من سب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أو أحدا منهم فهو مبتدع رافضي

---

(١) **انظر**: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٤٨).

خبيث.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من الحجة الواضحة الثابتة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلًا، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قُربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة**»(٢).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «**سب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنقصهم، أو أحد منهم من الكبائر المحرمة، وسب أحدهم من المعاصي الكبائر**»(٣)، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزَّر، ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل(٤).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اعلم أن سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم**

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٥)، عن عطاء مرسلا، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٤٠).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٣٠).

(٣) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٧/ ٥٨٢).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٢).

مجتهدون في تلك الحروب متأولون»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القدح فيهم قدح في القرآن، والسنة»[٢].

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٣٠).

[الخلافة بعد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وَنُثْبِتُ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وتَقديمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بن أبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشدُونَ والأئِمَّةُ المُهْتَدُون.

.... الشرح ....

قوله: «وَنُثْبِتُ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: هو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لفضله وسابقته، وتقديم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له في الصلاة علىٰ جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإجماع الصحابة علىٰ تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم علىٰ ضلالة[1].

وخلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دلت النصوص الصحيحة علىٰ صحتها وثبوتها، ورضا الله ورسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارا استندوا فيه إلىٰ ما علموه من تفضيل الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصارت ثابتة

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، صـ(٣٦).

بالنص والإجماع جميعا، وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها؛ فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة، لبينه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانا قاطعا.

ولهذا قال عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خطبته التي خطبها يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، ولم ينكر ذلك منهم منكِر، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار طمعا في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطلانه، ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عُبادة؛ لكونه هو الذي كان يطلب الولاية.

ولم يقل قط أحد من الصحابة: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص على غير أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لا على العباس، ولا على علي، ولا

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

علىٰ غيرهما، ولا ادعىٰ العباس ولا علي، ولا أحد ممن يحبهما الخلافة لواحد منهما، ولا أنه منصوص عليه، بل ولا قال أحد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: إن في قريش من هو أحق بها من أبي بكر، لا من بني هاشم، ولا من غير بني هاشم، وهذا كله مما يعلمه العلماء العالمون بالآثار والسنن والحديث، وهو معلوم عندهم بالاضطرار(١).

وكانت مدة خلافته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنتين وثلاثة أشهر.

مسألة [١]: قصة تولية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخلافة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ(٢)، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا.

ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَىٰ رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٥١٦-٥١٩، ٥٢٤).
(٢) السنح: موضع بعوالي المدينة.

عُمَرُ، فَحمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

وَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ، وَاجْتَمَعَتِ الأَنْصَارُ إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَتَكَلَّمَ أَبْلَغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ.

فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لَا وَاللهِ لَا نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ دَارًا[(١)]، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا[(٢)]، فَبَايِعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ

---

(١) أوسط العرب دارا: أي أشرفهم مسكنا، وهو مكة.

(٢) أعربهم أحسابا: أي أكثر العرب أصالة، وأشبههم بشمائل العرب، وأفعالهم.

سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ[(١)]، فَقَالَ عُمَرُ: قَتَلَهُ اللهُ[(٢)].

مسألة [٢]: هل ثبتت خلافة أبي بكر باختيار المسلمين له؟ أو بالنص الخفي عن النبي ﷺ؟ أو بالنص الجلي؟

اختلف العلماء في ذلك علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: الخلافة ثبتت بالاختيار، أي اختاره المسلمون للخلافة، ولم ينصَّ عليه النبي ﷺ، وهو قول جمهور العلماء والفقهاء وأهل الحديث، والمتكلمين كالمعتزلة والأشعرية وغيرهم، وهو رواية عن الإمام أحمد.

القول الثاني: الخلافة ثبتت بالنص الخفي والإشارة، وهو قول جماعة من أهل الحديث والمتكلمين، والحسن البصري، ورواية عن الإمام أحمد، وبعض الخوارج.

القول الثالث: الخلافة ثبتت بالنص الجلي، وهو قول بعض أهل الحديث والمتكلمين، وابن حزم.

وأما قول الشيعة: إنها ثبتت بالنص الجلي علىٰ عليٍّ، أو بالنص الخفي عليه، فهو قول فاسد ظاهر الفساد عند أهل العلم والدين، وإنما يدين به إما جاهل، وإما ظالم، وكثير ممن يدين به

---

(١) **قتلتم سعد بن عبادة:** أي خذلتموه، وأعرضتم عنه.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري (٣٦٦٧، ٣٦٦٨).

زنديق[(١)].

والصحيح أن خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبتت بالنص، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»[(٢)]، وهذا نص جلي علىٰ خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»[(٣)].

وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَىٰ قَلِيبٍ**[(٤)] **عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا**[(٥)] **أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ**[(٦)] **غَرْبًا**[(٧)]**، فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ، فَلَمْ**

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٤٧)، ومنهاج السنة النبوية (١/ ٤٨٦-٤٨٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (١٨٥٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد (٢٣٢٤٥)، وصححه الألباني.

(٤) **ذنوبا**: أي دلوا كبيرا.

(٥) **قليب**: أي بئر.

(٦) **استحالت**: أي صارت، وتحولت من الصغر إلىٰ الكبر.

(٧) **غربا**: أي دلوا عظيمة.

أَرَ عَبْقَرِيًّا[١] مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرْيَهُ[٢]، حَتَّىٰ ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ[٣]»[٤].

قال العلماء: هذا المنام مثال واضح لما جرىٰ لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في خلافتهما، وحُسن سيرتهما، وظهور آثارهما، وانتفاع الناس بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن بركته وآثار صُحبته، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو صاحب الأمر، فقام به أكمل قيام، وقرر قواعد الإسلام، ومهد أموره، وأوضح أصوله وفروعه ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣].

ثم توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخلفه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سنتين وأشهرا، وهو المراد بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَنوبا، أو ذَنوبين**»، وهذا شك من الراوي، والمراد ذنوبان كما صرح به في الرواية الأخرىٰ[٥]، وحصل في خلافته قتال أهل الردة، وقطع دابرهم، واتساع الإسلام.

ثم توفي فخلفه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاتسع الإسلام في زمنه، وتقرر لهم من أحكامه مالم يقع مثله، فعبر بالقليب عن أمر المسلمين؛ لما فيها من

---

(١) **عبقريا**: العبقري هو السيد، وقيل: الذي ليس فوقه شيء.

(٢) **يفري فريه**: أي يعمل عملا جيدا مثله.

(٣) **ضرب الناس بعطن**: أي أرووا إبلهم، ثم آووها إلىٰ عطنها، وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٦٤، ٣٦٣٣)، ومسلم (٢٣٩٢، ٢٣٩٣).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠٢٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الماء الذي به حياتهم وصلاحهم، وشبه أميرهم بالمستقي لهم، وسقْيه هو قيامه بمصالحهم، وتدبير أمورهم.

وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وفي نزعه ضعف**»، فليس فيه حط من فضيلة أبي بكر، ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما، وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر؛ لطولها، ولاتساع الإسلام وبلاده والأموال وغيرها من الغنائم والفتوحات ومصَّر الأمصار، ودوَّن الدواوين.

وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والله يغفر له**» فليس فيه تنقيص له، ولا إشارة إلىٰ ذنب، وإنما هي كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم، ونعمت الدِّعامةُ.

وفي كل هذا إعلام بخلافة أبي بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحة ولايتهما، وبيان صفتها، وانتفاع المسلمين بها[1].

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ المِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ**

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٦١).

يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»(١)، فبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ: «**ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّىٰ أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّىٰ مُتَمَنٍّ، وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَىٰ، وَيَأْبَىٰ اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»(٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَأُذِّنَ فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ(٤) إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**(٥) **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»(٦).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٠٤٤٥)، وصححه الألباني.
(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٥١٤).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٨٧).
(٤) أسيف: أي رقيق القلب، سريع الدمع.
(٥) إنكن صواحب يوسف: أي مثل صواحبه في التظاهر والاتفاق علىٰ ما يردن من كثرة الإلحاح فيما يمكن أن يكون.
(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»(١).

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: «إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا(٢) فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ(٣)، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّىٰ تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتُشِطَتْ(٤)، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ»(٥).

وعَنْ سَفِينَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»(٦)، وكانت خلافة الأربعة تسعة وعشرون عاما وستة أشهر، وأتمها الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بستة أشهر، ثم تنازل عنها لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد اتفق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من المهاجرين والأنصار الذين شهد الله لهم بالصدق علىٰ أن تسمية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة رسول الله

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٢) **بعرَاقَيها**: أي بالخشبتين اللتين تجعلان علىٰ فم الدلو؛ لربطه.
(٣) **تضلع**: أي ملأ أضلاعه، كناية عن الشبع.
(٤) **انتُشِطت**: أي نُزعت منه فاضطربت، وسقط بعض ما فيها، أو كله.
(٥) **حسن**: رواه أبو داود (٤٦٣٧)، وأحمد (٢٠٢٤٢)، وضعفه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط.
(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٤٧)، وصححه الألباني.

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعنىٰ الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه المرء لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو، لا يجوز غير هذا ألبتة في اللغة بلا خلاف، تقول: استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفة، ومستخلِفه، فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا: خلف فلان فلانا يَخْلُفُهُ فهو خالِف[(١)].

أدلة من قال: إن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يستخلف أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: «**إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

أجيب بأنه خفي النص بالخلافة علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالاستئذان، غيره، أو أنه أراد استخلافا بعهد مكتوب، ونحن نُقِرُّ أن استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن بعهد مكتوب[(٣)].

٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟

---

(١) **انظر**: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٨٨-٨٩)، ومقاييس اللغة، مادة «خلف».

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

(٣) **انظر**: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٨٨).

قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ[١].

أجيب عنه كما أجيب عن أثر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: تبين أن كثيرا من السلف والخلف قالوا: إن الخلافة ثبتت بالنص الجلي أو الخفي، وحينئذ فقد بطل قدح الرافضة في أهل السنة بقولهم: إنهم يقولون: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينص على إمامة أحد، وأنه مات من غير وصية[٢].

قوله: «تَفْضِيلًا لَهُ، وتَقديمًا عَلَىٰ جَمِيعِ الأُمَّةِ»: أجمعت الأمة على أن أفضلها بعد النبي هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:١٧-٢١]، نزلت في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ**»[٤].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٥).
(٢) **انظر**: منهاج السنة النبوية (١/ ٤٩٩).
(٣) **انظر**: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٩).
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٩٧).

وعن عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**»[١].

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»[٣].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّىٰ أَبْدَىٰ[٤] عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ**[٥] **فَقَدْ غَامَرَ**[٦]» فَسَلَّمَ، وَقَالَ:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٧٥).
(٤) **أبدىٰ**: أي أظهر.
(٥) **صاحبكم**: أي أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٦) **غامر**: أي رمىٰ بنفسه في الأمور الخطرة.

إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ(١)، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَىٰ عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «**يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَىٰ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ(٢)، حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا(٣) عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي(٤) بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا(٥).

قوله: «ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: أي نثبت الخلافة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في أثناء مرض أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي مات فيه سنة ثلاث عشرة عهد بالأمر من بعده إلىٰ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان الذي كتب العهد عثمانُ بن عفانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقُرئ علىٰ المسلمين فأقروا به، وسمعوا له، وأطاعوا.

وكانت مدة خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشرَ سنين وستة أشهر، وكانت وفاته

---

(١) **فأسرعت إليه**: أي بالكلام الغليظ.

(٢) **يتمعر**: أي يتغير لونه من الضجر.

(٣) **جثا**: أي برك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **واساني**: من المواساة، وهي التسلية والسعي في إزالة الهم وتفريج الكرب.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٦٦١).

سنة ثلاث وعشرين.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الأمة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟![(١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْتَرُّهُ**»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**»[(٢)].

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ[(٣)]، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٠٩)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٣) **يستكثرنه**: أي يطلبن منه الكثير من العطاء، أو من الحديث.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ**».

قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ، وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»(١).

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَىٰ سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ(٢) يَدْعُونَ، وَيُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، قَالَ فَلَمْ يَرُعْنِي(٣) إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَتَرَحَّمَ عَلَىٰ عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَاكَ أَنِّي كُنْتُ أُكَثِّرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ**

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

(٢) فتكنفه الناس: أي أحاطوا به.

(٣) يَرُعني: أي يفجأني.

وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ، أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا»[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ مِنْهُمْ» قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ[(٢)]، وقيل: مصيبون، وقيل: تكلمهم الملائكة، وقال البخاري: يجري الصواب علىٰ ألسنتهم، وفيه إثبات كرامات الأولياء[(٣)].

قصة استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَىٰ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا[(٤)]، أَتَخَافَانِ[(٥)] أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ[(٦)] مَا لَا تُطِيقُ؟

قَالَا: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٩٨).

(٣) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٦٦).

(٤) **كيف فعلتما**: أي في أرض العراق التي غنمها المسلمون من الفرس.

(٥) **أتخافان**: أي هل تخافان؟

(٦) **حملتما الأرض**: أي فرضتما علىٰ أهلها، وكان قد بعثهما؛ ليضربا الخراج، والجزية علىٰ أهلها.

قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ.

قَالَا: لَا.

فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَىٰ رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا.

فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّىٰ أُصِيبَ.

قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ حَتَّىٰ يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي -أَوْ أَكَلَنِي- الكَلْبُ[(١)]، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ[(٢)] بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَىٰ أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّىٰ طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ.

فَلَمَّا رَأَىٰ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَىٰ الَّذِي أَرَىٰ، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، فَصَلَّىٰ بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً.

---

(١) **الكلب**: أي المجوسي الذي طعنه.

(٢) **العلج**: أي الرجل من كفار العجم.

فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: غُلَامُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ(١)؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالمَدِينَةِ، -وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا- فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ قَالَ: كَذَبْتَ(٢) بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ.

فَاحْتُمِلَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ(٣) فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ(٤)، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ،

وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَىٰ اللهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدَمٍ فِي الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ.

---

(١) **الصنع**: أي الصانع، وكان نجارا.
(٢) **كذبت**: أخطأت في قولك.
(٣) **بنبيذ**: أي نقيع التمر والزبيب قبل أن يشتد، ويصبح مسكرا.
(٤) **جوفه**: أي من جرحه مكان الطعنة تحت السرة.

قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلَامَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَىٰ لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَىٰ لِرَبِّكَ، يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَىٰ لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ، انْطَلِقْ إِلَىٰ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ: أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَىٰ نَفْسِي.

فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ.

قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟

قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ.

قَالَ: الحَمْدُ للهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَىٰ مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ.

وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ.

فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّىٰ عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ.

وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ -كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ[(١)]- فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلَا خِيَانَةٍ[(٢)].

وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الحشر: ٩] أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَىٰ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلَامِ، وَجُبَاةُ المَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلَامِ، أَنْ يُؤْخَذَ

---

(١) **كهيئة التعزية له**: هذا من كلام الراوي، وليس من كلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **يشير إلىٰ قول القائل**: إِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ؛ فعزله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [**صحيح**: رواه البخاري (٧٥٥)].

مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَىٰ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ.

فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَىٰ ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ عَلِيٍّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ، فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللهُ عَلَيْهِ وَالإِسْلَامُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ؟

فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟

قَالَا: نَعَمْ.

فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالقَدَمُ فِي الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ، وَلَتُطِيعَنَّ.

ثُمَّ خَلَا بِالآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ المِيثَاقَ، قَالَ: ارْفَعْ

يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ[(١)].

قولـه: «ثُم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: أي نثبت الخلافة بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بويع له سنة أربع وعشرين، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف، ثم علي بن أبي طالب، ثم بقية أصحاب الشورىٰ، ثم بقية أهل الدار، ثم بقية المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما تقدم في قصة استشهاد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الرَّهْطَ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُمَرُ اجْتَمَعُوا فَتَشَاوَرُوا، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَسْتُ بِالَّذِي أُنَافِسُكُمْ عَلَىٰ هَذَا الأَمْرِ[(٢)]، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمُ اخْتَرْتُ لَكُمْ مِنْكُمْ، فَجَعَلُوا ذَلِكَ إِلَىٰ عَبْدِالرَّحْمَنِ، فَلَمَّا وَلَّوْا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَمْرَهُمْ، فَمَالَ النَّاسُ عَلَىٰ عَبْدِالرَّحْمَنِ[(٣)]، حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتْبَعُ أُولَئِكَ الرَّهْطَ وَلَا يَطَأُ عَقِبَهُ[(٤)]، وَمَالَ النَّاسُ عَلَىٰ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُونَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي، حَتَّىٰ إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَصْبَحْنَا مِنْهَا فَبَايَعْنَا عُثْمَانَ، قَالَ المِسْوَرُ: طَرَقَنِي[(٥)] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَجْعٍ[(٦)] مِنَ اللَّيْلِ، فَضَرَبَ البَابَ حَتَّىٰ اسْتَيْقَظْتُ،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٠٠).
(٢) **هذا الأمر**: أي الخلافة.
(٣) **فمال الناس إلىٰ عبد الرحمن**: أيقصدوه كلهم بعضا بعد بعض.
(٤) **يطأ عقبه**: أي يمشي خلفه، وهو كناية عن الإعراض.
(٥) **طرقني**: أي أتاني ليلا.
(٦) **هجع**: أي قطعة من الليل.

فَقَالَ: أَرَاكَ نَائِمًا فَوَاللهِ مَا اكْتَحَلْتُ[(١)] هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِكَبِيرِ نَوْمٍ، انْطَلِقْ فَادْعُ الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا، فَدَعَوْتُهُمَا لَهُ، فَشَاوَرَهُمَا، ثُمَّ دَعَانِي، فَقَالَ: ادْعُ لِي عَلِيًّا، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ[(٢)] حَتَّىٰ ابْهَارَّ[(٣)] اللَّيْلُ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَىٰ طَمَعٍ[(٤)]، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَىٰ مِنْ عَلِيٍّ شَيْئًا[(٥)]، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عُثْمَانَ، فَدَعَوْتُهُ، فَنَاجَاهُ حَتَّىٰ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمُؤَذِّنُ بِالصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّىٰ لِلنَّاسِ الصُّبْحَ، وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ إِلَىٰ أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ، وَكَانُوا وَافَوْا تِلْكَ الْحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ[(٦)]، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَىٰ نَفْسِكَ سَبِيلًا[(٧)]، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَىٰ سُنَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، وَأُمَرَاءُ الأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ[(٨)].

---

(١) **ما اكتحلت**: أي ما دخل النوم جفن عيني كما يدخلها الكحل، وهذا كناية عن عدم النوم.

(٢) **فناجاه**: أي تكلم سرًّا.

(٣) **ابهار**: أي انتصف.

(٤) **علىٰ طمع**: أي أن يوليه.

(٥) **شيئا**: أي من المخالفة.

(٦) **يعدلون بعثمان**: أي يجعلون غيره مساويا له، ويرضون به.

(٧) **فلا تجعلن علىٰ نفسك سبيلا**: أي شيئا من الملامة إذا لم توافق الجماعة.

(٨) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٠٧).

وقد استقر إجماع أهل السنة علىٰ أن أفضل الأمة بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)، ومن الأدلة علىٰ تفضيله:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ- فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ(٢) لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ(٣)، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**»(٤).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ**»(٥)، أي لم يضر عثمان الذي عمل من الذنب سابقا، ولاحقا.

---

(١) **انظر**: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٨-٢٩٩).

(٢) **تهتش**: أي تحسن لقاءه، والهشاشة معناها طلاقة الوجه، وحسن اللقاء.

(٣) **لم تباله**: أي لم تكترث به، وتحتفل لدخوله.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٠١).

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٣٧٠١)، وحسنه الألباني.

وعنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدِمَ عَلَىٰ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلَافَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَىٰ حَفْصَةَ: «**أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ**».

فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَىٰ عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: «**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ**».

فَفَعَلُوا حَتَّىٰ إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَىٰ حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَىٰ كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ(١).

واستُشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما.

قوله: «ثُمَّ لِعَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: أي نثبت الخلافة بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت مدة خلافته

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٨٧).

كلها أربع سنين، وتسعة أشهر إلا ليال.

استشهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة في وقت الفجر، وهو يقول: الصلاةَ الصلاةَ، علىٰ يد ابن مُلجِم الخارجي، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي سنة أربعين.

وقد أجمع أهل السنة علىٰ أن أفضل الأمة بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]، ومن الأدلة علىٰ تفضيله:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ -أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ- غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، -أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ- يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[(٢)].

وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي نام علىٰ فراشِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة مكر المشركين؛ ليؤدي الأمانات عنه بعدها.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب النداءِ بسورة براءَة تبليغا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحج سنة تسعٍ.

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٨-٢٩٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٤).

وعَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَىٰ تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: **«أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَىٰ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»**[(١)].

وهذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقًّا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه وصىٰ له بها، لذلك كفَّرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا؛ لأنه لم يطالب بحقه بزعمهم، ولا شكَّ في كفر من قال بهذا؛ لأن من كفَّر الأمة كلها والصدرَ الأول فقد أبطل نقلَ الشريعة وهدَمَ الإسلام، وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فيه دلالة علىٰ أنه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قال هذا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيده أن هارون المشبَّه به لم يكن خليفةً بعد موسىٰ، بل توفي في حياة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقبل وفاة موسىٰ بنحو أربعين سنة علىٰ ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة، والله أعلم[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٤١١-٤١٢)، وشرح صحيح مسلم (١٥/ ١٧٤).

قولــه: «وَهُــمُ الخُلَفَــاءُ الرَّاشِــدُونَ والأَئِمَّــةُ المُهْتَـدُون»:

لحـديث العِرْبَـاضِ بْــنِ سَــارِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رَسُــولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قـال: «**عَلَـيْكُمْ بِسُـنَّتِي، وَسُـنَّةِ الخُلَفَـاءِ الرَّاشِـدِينَ المَهْـدِيِّينَ، عَضُّـوا عَلَيْهَـا بِالنَّوَاجِـذِ، وَإِيَّـاكُمْ وَالأُمُــورَ المُحْـدَثَاتِ؛ فَـإِنَّ كُـلَّ بِدْعَـةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وقـد اتفـق أهـل السـنة والجماعـة بمـا فـيهم الصـحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علـىٰ أن الأحـق بالخلافـة: أبـو بكـر، ثـم عمـر، ثـم عثمـان، ثـم علـي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ(٢)، ومـن طعـن في خلافـة أحـد مـن هـؤلاء الأئمـة فهـو أضـل من حمار أهله(٣).

واتفقوا علىٰ أن الأفضل أبو بكر، ثم عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثـم اختلفـوا في التفضيل بين عثمان وعلي، وذلك في بادئ الأمر، ثم استقر الأمـر علـىٰ أن الأفضل عثمان، ثم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا(٤).

مسألة: حكم تنصيب الخليفة.

أجمع أهل العلم علىٰ أنه يجب علىٰ المسلمين نصب خليفة.

وأجمعـوا علـىٰ أن الخليفـة يجـوز لـه الاسـتخلاف إذا حضـرته في

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، صـ(٣٦).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٣).

(٤) **انظر**: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٨-٢٩٩).

حياته وعند موته، ويجوز له تركه.

وأجمعوا علىٰ انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلىٰ انعقادها بعقد أهل الحَل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة.

وأجمعوا علىٰ جواز جعل الخليفة الأمر شورىٰ بين جماعة كما فعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالستة(١).

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٠٥).

[العشرة المبشرون بالجنة]

وَإِنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُم رَسُولُ الله ﷺ وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُالرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين.

.... الشرح ....

قوله: «وَإِنَّ العَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُم رَسُولُ الله ﷺ وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَىٰ مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُالرَّحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأبُوعُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين»: لحديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ،

وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

وقد اتفق أهل السنة علىٰ تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتُهر من فضائلهم ومناقبهم(٢).

وفي ذلك ردٌّ علىٰ الروافض الذين كفَّروا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتبرؤوا منهم إلا بضعة عشر نفرا، ويزعمون أن لفظ العشرة من الألفاظ المنكرة التي يجب التبرؤ منها؛ لأجل ذكره مع هؤلاء الصحب الكرام.

ومما جاء في فضلهم تفصيلا:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ؟»**، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: **«مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟»**، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»**(٣).

وعَنْ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ»**، فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: **«فِدَاكَ أَبِي، وَأُمِّي»**(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (٨١٣٨)، وأحمد (١٦٧٥)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٣٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).

وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي، وَأُمِّي»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»(٢).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالُوا: ابْعَثْ لَنَا رَجُلًا أَمِينًا فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ(٣) لَهُ النَّاسُ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ»(٤).

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: «يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»(٥).

قوله: «ما جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ»: يحمل علىٰ نفي علم نفسه، أي لا أعلمه جمعهما إلا لسعد بن أبي وقاص، وقد

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٩٠٥)، ومسلم (٢٤١١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

(٣) **استشرف:** أي تطلعوا إلىٰ الولاية، ورغبوا فيها؛ حرصا علىٰ أن يكون هو الأمين الموعود في الحديث لا حرصا علىٰ الولاية من حيث هي. [**انظر:** شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٩٢)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٣٨١)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١).

ذُكر أنه جمعهما لغيره كالزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَهِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْدَمَهُ المَدِينَةَ، لَيْلَةً، فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**» قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ(٢)، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَامَ(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**»(٤).

وعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: «**رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَلَّتْ**»(٥).

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: «**لَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٨٤).
(٢) **خشخشة سلاح**: أي صوت سلاح صدم بعضه بعضا.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٠).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤١٧).
(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٢٤).

فِـي بَعْـضِ تِلْـكَ الأَيَّـامِ(١) الَّتِـي قَاتَـلَ فِـيهِنَّ رَسُـولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ»(٢).

(١) تلك الأيام: أي أيام غزوة أحد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٢٢)، ومسلم (٢٤١٤).

[الواجب علينا نحو الصحابة وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]

وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المُقدَّسينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

الشرح

قوله: «**وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ**»: أي المطهرين من الآثام والعيوب؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣].

قوله: «**فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»: أي من لم يكن في قلبه شيء نحو أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأحسن الاعتقاد والقول فيهم، فقد برئ من النفاق؛ فإن من علامات النفاق القدح فيهم.

وفيه رد علىٰ الرافضة والزيدية والخوارج الذين يقدحون في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا سيما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويصفونها بما برأها الله منه.

وقد حثنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ حق الله في مراعاة أهل بيته، واحترامهم وإكرامهم ومحبتهم ومودتهم، وحذرنا الله في شأنهم أن نتقي الله فيهم، ولا نؤذيهم؛ كما في حديث زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، فَقِيلَ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَمَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قِيلَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ(١).

وآل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم:

١- أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب:٣٣]، والرجس هو عمل الشيطان، وما ليس مرضيا عند الله تعالىٰ، وقيل: الإثم الذي نهىٰ الله النساء عنه(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٨).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٥٠).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة.

وهن أمهات المؤمنين في تعظيم حقِّهن، واحترامهن، وتقديرهن، وإكرامهنَّ، وتحريم نكاحهن علىٰ التأبيد، لا في النظر إليهن والخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب:٥٣]، ولا ينتشر التحريم إلىٰ بناتهن وأخواتهن بالإجماع، ولا يقال لبناتهن: هن أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن هم أخوال المؤمنين وخالاتهم[١].

الأولى: خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَزَوَّجها رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلَ البَعثةِ وَعُمرُهُ خَمسٌ وعِشْرونَ سنةً، وعُمْرُهَا أَرْبَعونَ سَنةً، وَتُوُفِّيَتْ في حَياتِه في السَّنَةِ العاشرةِ للبَعْثةِ، وهي أول من صدقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بعث به، وقرأ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من لؤلؤ، لا صخب فيه، ولا تعب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ**

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣١٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٠-٣٨١).

مِنْ قَصَبٍ[١] لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ»[٢].

الثانيـة: عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الصـدِّيقة بنـت الصـدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عقـد عليهـا في شـوال سـنة عشـر مـن البعثـة، وبنـىٰ بهـا في شـوال مـن السـنة الأولـىٰ للهجـرة، وتـوفي عنهـا وهـي بنـت ثمـان عشـرة سـنة، وماتـت بعـده في رمضـان سـنة سـبع وخمسـين للهجـرة، وكانـت مـن أفقـه الصـحابة في الحـديث والتفسـير وغيـر ذلـك، أقرأهـا جبريـل عَلَيْهِ السَّلَامُ السلام.

فعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: «**يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ**»[٣].

الثالثة: سودة بنت زَمْعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال سنة عشر من البعثة، بعد وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولما كبِرت اختارت نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تبقىٰ في عصمة نكاحه، ووهبت يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستحقه مع قَسمِها، وتوفيت سنة خمس وخمسين للهجرة.

الرابعة: حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شعبان من السنة الثالثة للهجرة بعد وفاة زوجها خُنيس بن حُذافة

---

(١) **قصب**: أي قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وماتت سنة خمس وأربعين للهجرةِ.

الخامسة: زينب بنت خزيمة أمُّ المَسَاكِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان من السنة الثالثة للهجرة، وماتت بعد زواجها بشهور، فصلىٰ عليها، ودفنها، وكانت تسمىٰ أم المساكين؛ لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم.

السادسة: زينب بنتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الثالثة زوجه الله إياها من فوق سبع سماوات، وهي أطولهن يدا؛ لإنفاقها من كسب يدها، وأسرعهن لحوقا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبسببها نزل الحجاب، وماتت سنة عشرين من الهجرةِ.

السابعة: أم سلمة هند بنت أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ذات الهجرتين مع زوجها أبي سلمةَ إلىٰ الحبشة، ثم إلىٰ المدينة، ثم تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال سنة أربع من الهجرة بعد وفاة زوجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتوفيت سنة اثنتين وستين من الهجرة، وهي آخر أمهات المؤمنين موتا.

الثامنة: جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَلِك بني المصطلِق: كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة خمس من الهجرة، وتوفيت سنة خمسين من الهجرةِ.

التاسعة: أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت أبي سفيان: ذات الهجرتين، تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي بالحبشة سنة سبع، وتوفيت سنة أربع وأربعين للهجرة.

العاشرة: صفية بنت حُيَي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة سبع، وهي من نسل نبي الله هارون بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتوفيت سنة خمسين للهجرة.

الحادية عشرة: ميمونة بنت الحارث الهلالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمرة القضاء في ذي القَعدة سنة سبع، وتوفيت سنة إحدىٰ وخمسين للهجرة.

٢- الخمسة الذين جللهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكسائه.

كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ(١)، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣](٢).

٣- الذين حرمت عليهم الصدقة وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

كما في حديث زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المتقدم.

(١) **مرط مرحل**: أي كساء منقوش عليه صور رحال الإبل.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٢٤).

[الواجب علينا نحو العلماء]

وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ -أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ، وأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ-، لا يُذكَرُونَ إِلَّا بِالجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُم بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ السَّبِيلِ.

.... الشـــرح ....

لما كانت منزلة العلماء تلي منزلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الأفضلية والتوقير والإكرام نصَّ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ عليهم، وذكرهم بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله: «وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ»: أي علماء القرون الثلاثة الأولىٰ.

والسلف في اصطلاح العلماء: هم من سار علىٰ نهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلىٰ عصرنا الحاضر.

قوله: «وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ»: جمع تابعي، وهو من لقي الصحابي، ومات علىٰ الإسلام، ولو تخللت ردة[1].

قوله: «أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ»: أي علماء الأثر، وهم أهل الحديث الذين اشتغلوا بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواية ودراية،

---

(١) انظر: نزهة النظر، صـ(١١٣).

وقاموا للكذابين بالمرصاد، كالحُميدي، والبخاري، ومسلم، ويحيىٰ بن معين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

قوله: «وأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ»: أي الفقهاء الذين اشتغلوا باستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، وبينوها، وغلَّبوا القواعد الفقهية علىٰ الآثار، كالإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن العلماء من جمع بين الأثر والفقه والنظر، ويسمون بفقهاء المحدثين، كالإمام أحمد، والشافعي، ومالك رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

والفقه يطلق ويراد به أحد شيئين:

أحدهما: الأحكام الشرعية العملية، كالطهارة، والصلاة، والبيوع.

الآخر: الأحكام الشرعية العلمية، كالعقائد.

قوله: «لا يُذكَرُونَ إلَّا بِالجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُم بِسُوءٍ فَهُوَ عَلىٰ غَيْرِ السَّبِيلِ»: لأن القدح فيهم قدح في الشرع؛ لأنهم حماة الشريعة، يبينون ما جاء في الكتاب والسنة؛ لذلك هم وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ[1].

ويجب علىٰ المسلمين بعد موالاة الله تعالىٰ ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصا العلماء، الذين هم ورثة

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدىٰ بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون علىٰ هدايتهم ودرايتهم؛ إذ كل أمة قبل مبعث نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم؛ فإنهم خلفاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته، والمُحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة:٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء:٨٣].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ

---

(١) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية، صـ (٨).

الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ، كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»(٢).

مسألة: الواجب علينا إذا أخطأ العالم:

اعلم أنه لا أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء من سنته؛ فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا علىٰ وجوب اتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له من

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ(١).

وإذا أخطأ العلماء فله أجر علىٰ اجتهاده، وإذا أصاب فله أجران؛ لحديث عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(٢).

---

(١) **انظر**: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، صـ(٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

[منزلة الأنبياء من الأولياء]

وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

الشـرح

قولــه: «وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ»: أي أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الأنبياء أعلىٰ مرتبة من الأولياء، بل نبي واحد أفضل من جميع الأولياء؛ لأن الولي مهما عظم علمه، وعلا قدره فهو حسنة من حسنات النبي الذي اتبعه، ولا يصح إيمانه إلا باتباع الرسول، والانقياد إلىٰ ما جاء به، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٦٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[آل عمران:٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ

﴿يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٣]، أي يؤمنون بربهم، ويتقونه، ولا يكون ذلك إلا باتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ردٌّ علىٰ الاتحادية، وجهلة المتصوفة الذين يزعمون أن الوَلاية أفضل من النبوة، كما قال ابن عربي:

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول ودون الولي[1]

وزعم أن الولي أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأن الأنبياء جميعهم يستفيدون العلم بالله من جهة هذا المسمىٰ بخاتم الأولياء، والعلم بالله عندهم هو القول بوحدة الوجود، ويقول: إن خاتم الأولياء يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك، الذي يوحىٰ به إلىٰ الرسول[2].

وهذا قلبٌ للحقيقة التي اتفق عليها المسلمون وهو أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبيُّ أفضل من الولي الذي ليس بنبي، والرسالة تتضمن النبوة والوَلاية كما أن النبوة تتضمن الوَلاية، وأن أفضل الأولياء أكملهم تلقيا عن الأنبياء وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وليس في أولياء هذه الأمة من يأخذ عن الله سبحانه شيئا بلا واسطة[3].

---

(١) في برزخ: أي هو الوسط. فويق الرسول: أي أعلىٰ من الرسول قليلا. ودون الولي: أي أقل من الولي. يريد أن يقول: الولي أعلىٰ مرتبة، ثم النبي، ثم الرسول.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٣) انظر: الصفدية (١/ ٢٥٢-٢٥٣)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص (٩٥).

[كرامات الأولياء]

وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم.

.... الشـــرح ....

قولـه: «وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم»: أي مما يؤمن به أهل السنة والجماعة الكرامات الثابتة عن الصالحين، سميت كرامةً؛ لأن الله يُكرم بها أولياءه المتقين[(١)].

وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم؛ وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة، والجهمية، ومن تابعهم[(٢)].

والكرامات: جمع كرامة، وهي ظهور أمر خارق للعادة من قِبَل شخص غير مُدَّعٍ للنبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، ويسمىٰ شعوذة، وما يكون مقرونًا بدعوىٰ النبوة يكون معجزةً[(٣)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٧٤).

(٢) انظر: مختصر الفتاوىٰ المصرية، لابن تيمية، صـ (٦٠٠)، والمستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٢٠).

(٣) انظر: التعريفات، صـ (١٨٤).

والكرامة لزوم الاستقامة، ولم يكرم الله عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته، وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه(١).

والأولياء: جمع ولي، وهو كلُّ عبدٍ مؤمن تقي؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، والتقوىٰ هي امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(٢).

وكرامات الأولياء من دلائل النبوة؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبيَّ الصادقَ(٣)، وسببها الإيمان والتقوىٰ(٤).

---

(١) **انظر**: التحفة العراقية، لابن تيمية، صـ(٤٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) **انظر**: النبوات (١/ ٥٠١).

(٤) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٨٧).

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء؛ لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه، وثواب إيمانه(١).

مسألة [١]: أنواع الخوارق:

الخوارق ثلاثة أنواع:

أحدها: المعجزة: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي، وبدعوىٰ النبوة مع عدم المعارضة، قُصِد به إظهار صدق من ادعىٰ أنه رسول من الله جَلَّجَلَالُهُ(٢).

الثاني: الكرامة: تقدم تعريفها.

الثالث: الشعوذة: هي أمر خارق للعادة يظهره الشيطان علىٰ يد وليه من الكهنة والسحرة(٣).

مسألة [٢]: الفرق بين المعجزة، والكرامة:

الفرق بين المعجزة، والكرامة أن المعجزة للنبي، والكرامة للولي إلا أنهما يجتمعان في أن كلا منهما يكون خارقا للعادة(٤).

مسألة [٣]: أنواع الكرامة:

تنقسم الكرامة من حيث ماهيتها أربعة أنواع:

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٠٧).
(٢) انظر: التعريفات، صـ(٢١٩)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٥٧٥).
(٣) انظر: التعريفات، صـ(١٨٤).
(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣١١-٣١٢).

أحدها: العُلُومُ: هي أن يحصل للمسلم من العلوم ما لا يحصل لغيره سواء كانت شرعية، أو كونية.

مثال الشرعية: أن يحصِّل من العلوم الشرعية حفظا، وفهما، واستنباطا ما لم يحصِّله غيره.

ومثال الكونية: أنَّ اللهَ جَلَّجَلَالُهُ أعلم أبا بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن في بطن زوجته أُنْثَىٰ، وذلك قَبْلَ وِلَادَتِهَا(١).

النوع الثاني: المُكَاشَفَاتُ: هي أن يظهر للمسلم من الأشياء التي يُكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

مثاله: ما رواه ابْنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَىٰ سَارِيَةَ، فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ، جَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، فَقَدِمَ رَسُولُ الجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ: يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ(٢).

النوع الثالث: القُدْرَةُ: هي أن يُقدِرَ اللهُ الولي علىٰ ما لم يقدر عليه غيره من الناس.

---

(١) **انظر**: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ (١٢٣).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي في الاعتقاد، صـ (٣١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١١٠).

مثاله: أن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان كلما دخل علىٰ مريم وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء(١)، كما قال الله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران:٣٧].

- وقصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فلم يستطيعوا الخروج حتىٰ ذكر كل واحد منهم عملا أخلصه لله جَلَّجَلَالُهُ(٢).

- وكَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا، فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا، وَعَصَا هَذَا(٣).

- ومشىٰ العلاء الحضرمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجيشه علىٰ الماء، فما ابتلت قَدمٌ، ولا خُفُّ بعيرٍ، ولا حافرُ دابَّةٍ، وكان الجيش أربعة آلاف(٤).

النوع الرابع: التَّأْثِيرَاتُ: هي أن يُقدِر اللهُ الولي علىٰ التأثير في المكان الذي هو فيه سواء كان تأثيرا شرعيا أو كونيا.

---

(١) **انظر**: كرامات الأولياء، صـ(٧٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٥)، وأحمد (١٢٩٨٠)، واللفظ له، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **انظر**: كرامات الأولياء، صـ(١٦٢).

مثال الشرعي: أن يكون عالما فينتفع الناس بعلمه ما لا ينتفع بغيره من أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

ومثال الكوني: أن الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ دخل عليه بعض الشرطة داره، فبحثوا عنه، فلم يجدوه مع أنه كان جالسا وسط الدار لم يتحرك؛ فهذا تأثير في أبصار الناس بأن لا يروه.

مسألة [٤]: هل تدل الكرامة علىٰ عصمة صاحبها؟

لا تدل الكرامة علىٰ عصمة صاحبها، ولا علىٰ وجوب اتباعه في كل ما يقوله؛ بل قد تصدر بعض الخوارق عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض: أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحدا، ثم يحييه، وأنه يخرج كنوز الذهب والفضة.

ولهذا اتفق أئمة الدين علىٰ أن الرجل لو طار في الهواء ومشىٰ علىٰ الماء لم يثبت له وَلاية، بل ولا إسلام حتىٰ يُنظر في اتباعه للأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ(١).

مسألة [٥]: طلب الكرامة:

قال أبو علي الجوزجاني رَحِمَهُٱللَّهُ: كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة؛ فإن نفسك منجبلة علىٰ طلب الكرامة، وربك يطلب منك

(١) انظر: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٢٠).

الاستقامة.

وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب، وسرٌّ غفل عن حقيقته كثير من العباد، وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا عن السلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فتطلعت نفوسهم إلىٰ شيء من ذلك، وأحبوا أن يُرزقوا شيئا من ذلك، ولعل أحدهم يبقىٰ منكسر القلب متهمًا لنفسه في صحة عمله حيث لم يُرزق بشيء من ذلك، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر؛ فإن الله يفتح علىٰ بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا، والحكمة فيه أن يزداد بما يرىٰ من خوارق العادات وآثار القدرة تفننا، فيقوىٰ عزمه علىٰ الزهد في الدنيا، والخروج من دواعي الهوىٰ، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة(١).

مسألة [٦]: لماذا كانت الكرامات في التّابعين أكثر منها في الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

الكرامات تكون تأييدًا أو تثبيتًا أو إعانة للشخص أو نصرًا للحق، ولهذا كانت الكرامات في التّابعين أكثر منها في الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنَّ الصّحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات؛ فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بين أظهرهم، وأمَّا التابعون؛ فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييدًا لهم، وتثبيتًا،

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣١٩-٣٢٠).

ونصرًا للحق الذي هم عليه[١].

مسألة [٧]: هل عدم ظهور الكرامة يضر المسلم في دينه؟

اعلم أن عدم ظهور الكرامة علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم يكرمه الله بكرامة لم ينقصه ذلك من مرتبته عنده؛ بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه[٢].

مسألة [٨]: متىٰ تكون الخوارق نافعة؟

الخوارق النافعة تابعة للدين، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال بيد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعا لها، ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل، فهو يشبه من يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب، أو رجاء الجنة[٣].

مسألة [٩]: لماذا أنكرت المعتزلة الكرامات؟

أنكرت المعتزلة الكرامات لأمرين:

أحدهما: قالوا: لو أثبتنا الكرامات لاشتبه الساحر بالولي، والولي

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٣٥)، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (٢/ ٣٠٣).

(٢) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٢٣).

(٣) **انظر**: السابق (١١/ ٣٣٤).

بالنبي؛ لأن كل واحد منهم يأتي بخارق.

الآخر: أنَّ من مذهبهم عدم تجويز وقوع الخوارق علىٰ يد غير الأنبياء[١].

أجيب بأن الكرامة لا تظهر إلا علىٰ يد ولي، ولا يكون الإنسان وليا حتىٰ يتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا ادعىٰ النبوة لم يكن وليًّا، بل كان متنبئًا كذابا.

مسألة [١٠]: الفِراسة:

الفِراسة هي مكاشفة النفس، ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

وسئل بعض العلماء عن الفراسة؟ فقال: أرواح تتقلب في الملكوت، فتشرف علىٰ معاني الغيوب، فتنطق عن أسرار الخلق، نُطق مشاهدة لا نطق ظن.

وهي ثلاثة أنواع:

أحدها: فِراسة إيمانية: سببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم علىٰ القلب ينفي ما يضاده يَثِبُ علىٰ القلب كوثوب الأسد علىٰ الفريسة، وهذه الفِراسة علىٰ حسب قوة

(١) **انظر**: النبوات (١/ ٤٨٤).

الإيمان، فمن كان أقوىٰ إيمانا فهو أَحدُّ فراسة.

النوع الثاني: فِراسة رياضية: تحصل بالجوع، والسهر؛ فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل علىٰ إيمان، ولا علىٰ وَلاية، وهي من جنس فراسة أصحاب تأويل الرؤيا، والأطباء، ونحوهم.

النوع الثالث: فِراسة خَلْقِية: تحصل بالاستدلال بالخَلق علىٰ الخُلُق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة علىٰ صغر العقل، وبكبره، وبسعة الصدر، وبُعد ما بين جانبيه علىٰ سعة خلق صاحبه، وبضيقه علىٰ ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها علىٰ بلادة صاحبها، وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة علىٰ شجاعته وإقدامه وفطنته، وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها علىٰ خيانته ومكره وخداعه[1].

---

(١) **انظر**: مدارج السالكين (٢/ ٤٥٣-٤٥٦).

[أشراط الساعة]

وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

الشــرح

قولـه: «وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ»: أي بعلامات الساعة التي تدل علىٰ قرب قيامها؛ وأشراط جمع شرط، وهو العلامة[1].

والمراد بالساعة هنا: يوم القيامة، وسمي يوم القيامة بالساعة؛ لقلة الوقت الذي تقوم فيه[2]، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ۝١٨﴾ [محمد:١٨].

وعلامات الساعة قسمان:

أحدهما: علامات صغرىٰ: هي التي تقع قرب القيامة، وليست من العلامات العشر الكبرىٰ، وقد وقع بعضها، وما زال يحدث البعض الآخر، ومنها:

١ - أن تلد الأَمَة رَبتها، وأن ترىٰ الحفاة العُراة العَالة رُعَاء الشاء

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «شرط»، والمفردات في غريب القرآن، صـ(٤٥٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٢٢).

يتطاولون في البنيان؛ لحديث عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**»[(١)].

٢- مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لحديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»[(٢)].

٣- موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- فتح بيت المقدس.

٥، ٦، ٧- كثرة الموت، والمال، والفتن.

٨- صلح بين المسلمين والروم.

لحديث عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ[(٣)]، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ[(٤)] يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ[(٥)]، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّىٰ يُعْطَىٰ الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

(٣) أدم: أي جلد.

(٤) موتان: أي موت كثير.

(٥) كقعاص الغنم: أي مثل داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة.

لَا يَبْقَىٰ بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ(١) تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ(٢)، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ(٣) اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(٤).

٩- انحسار ماء الفرات؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ(٥) الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»(٦).

١٠، ١١، ١٢- كثرة الجهل، والزلازل، وسرعة الزمان؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّىٰ يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»(٧).

القسم الثاني: علامات كبرىٰ: هي التي تحدث قرب قيام الساعة، فإذا حدثت تبعها قيام القيامة، وهي عشر علامات مذكورة في حديث

---

(١) **هدنة**: أي صلح.
(٢) **بني الأصفر**: أي الروم.
(٣) **غاية**: أي راية، سميت بذلك؛ لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف، وإذا مشت مشىٰ.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣١٧٦).
(٥) **يحسر**: أي ينكشف لذهاب مائه.
(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤)، واللفظ له.
(٧) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٣٦).

حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ.

قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**»[(١)].

هذه العلامات العشر إذا وقعت إحداها تبعها الباقي، فهي متتابعة كتتابع الخرز في النظام، ويعقبها قيام القيامة؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**خُرُوجُ الآيَاتِ بَعْضِهَا**[(٢)] **عَلَىٰ إِثْرِ بَعْضٍ، يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَتَابَعُ الخَرَزُ فِي النِّظَامِ**[(٣)]»[(٤)].

ولم يذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ إلا أربع علامات كبرىٰ.

قوله: «مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال»: هو رجلٌ من بني آدمَ يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ فيُفتَنُ به كثيرٌ من الخلقِ، يُجري اللهُ عَلَىٰ يدَيه بعضَ الأعمالِ

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٠١).

(٢) **خروج الآيات بعضها:** أي أشراط الساعة بعضها. [**انظر:** فيض القدير (٣/ ٤٣٩)].

(٣) **علىٰ إثر بعض يتتابعن كما تتتابع الخرز في النظام:** أي لا يفصل بينهن فاصل طويل عرفا. [**انظر:** فيض القدير (٣/ ٤٣٩)].

(٤) **صحيح:** رواه ابن حبان في صحيحه (٦٨٣٣)، والطبراني في الأوسط (٤٢٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٢٧).

الخارقةِ، ويدَّعي الربوبيةَ، ولا يروجُ باطلُهُ علىٰ المؤمنِ، ويدخلُ جميعَ البلادِ إلَّا مكةَ والمدينةَ، ومعه نارٌ وجنةٌ، فنارُهُ جنةٌ، وجنتُه نارٌ[(١)].

والدجَّالُ: صيغةُ مبالغةٍ من الدَّجلِ، وهو الكذبُ[(٢)].

ومن الأدلة علىٰ خروجه:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»**[(٣)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَىٰ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»**[(٤)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ -لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا- فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ**

---

(١) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٠٢)، والاعتماد شرح لمعة الاعتقاد، للمؤلف، صـ(٦٣)، والقيامة الصغرىٰ، د. الأشقر، صـ(٢٢٣-٢٢٥).

(٢) **انظر**: لسان العرب، مادة «دجل».

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ»(١).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

وعن فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ المَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ القَوْمِ فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَىٰ المِنبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟»، قَالُوا: اللهُ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ المَوْجُ شَهْرًا فِي البَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ(٣) فِي البَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٥٧)، ومسلم (١٦٩).

(٣) ثم أرفؤا إلىٰ جزيرة: أي التجأوا إليها.

فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ(١) فَدَخَلُوا الجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ(٢) كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ(٣)، قَالُوا: وَمَا الجَسَّاسَةُ؟

قَالَتْ: أَيُّهَا القَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ(٤)، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا(٥) أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ(٦) رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ بِالحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟

قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ العَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا البَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ(٧) فَلَعِبَ بِنَا المَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا

---

(١) **فجلسوا في أقرب السفينة**: الأقرب جمع قارب، وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة يتصرف فيها ركاب السفينة؛ لقضاء حوائجهم، وقيل: أقرب السفينة أدانيها، أي ما قارب إلىٰ الأرض منها.

(٢) **أهلب**: أي غليظ الشعر كثيره.

(٣) **الجساسة**: سميت بذلك؛ لتجسسها الأخبار للدجال.

(٤) **فإنه إلىٰ خبركم بالأشواق**: أي شديد الأشواق إلىٰ خبركم.

(٥) **فرقنا منها**: أي خفنا منها.

(٦) **أعظم إنسان**: أي أكبره جثة، أو أهيب هيئة.

(٧) **اغتلم**: أي هاج، وجاوز حده المعتاد.

يُدْرَىٰ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الجَسَّاسَةُ؟

قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[(١)].

قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ[(٢)].

قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ المَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[(٣)]، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي العَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ العَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ المَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ العَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ العَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ

---

(١) **بيسان**: هي قرية بالشام.

(٢) **بحيرة الطبرية**: هي بحر صغير معروف بسوريا وفلسطين.

(٣) **عين زغر**: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا المَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ[(١)]، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا[(٢)]، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي المِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي المَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ.

فَقَالَ: «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ المَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ اليَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ مَا هُوَ[(٣)]، مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى المَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٤)].

---

(١) طيبة: هي المدينة، ويقال لها أيضا: طابة.

(٢) صلتا: بفتح الصاد وضمها، أي مسلولا.

(٣) ما هو: ما هو زائدة صلة للكلام ليست بنافية، والمراد إثبات أنه في جهة الشرق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٢).

قوله: «ونُزُولِ عِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّماءِ»: أي ليكسر الصليب، ويضع الجزية، ويقتل الخنزير، ويقضي علىٰ الدجال.

ومن أدلة نزوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ(١) أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ(٢) ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا(٣) مُقْسِطًا(٤)، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ(٥)، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ(٦)، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ(٧)، وَيَفِيضَ المَالُ(٨) حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(٩).

---

(١) ليوشكن: أي ليقربن. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٢) فيكم: أي في هذه الأمة. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٣) حكما: أي ينزل حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٤) مقسطا: أي عادلا. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٥) فيكسر الصليب: أي يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصارىٰ من تعظيمه. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٦) يقتل الخنزير: أي يحرم اقتناءه وأكله، ويبيح قتله كما في حكم شرع الإسلام، وقيل: يقتله بعدما يقتلهم. [انظر: عمدة القاري (١٢/ ٣٥)].
(٧) يضع الجزية: أي لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يَكُفَّ عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام، أو القتل. [انظر: معالم السنن (٤/ ٣٤٧)، وشرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٨) يفيض المال: أي يكثر، وتنزل البركات، وتكثر الخيرات بسبب العدل. [انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٠)].
(٩) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ[١] فِيهِ، وَرَفَّعَ[٢] حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ[٣] النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ، وَرَفَّعْتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ.

فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ**[٤]**، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ**[٥] **عَيْنُهُ طَافِئَةٌ**[٦]**، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**

---

(١) **خفَّض**: أي حقَّر، ومن تحقيره أن الله تعالىٰ عوَّره، وقيل: أي خفَّض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه، فخفض بعد طول الكلام والتعب؛ ليستريح، ثم رفع؛ ليبلغ صوته كل أحد. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٣)].

(٢) **رفَّع**: أي عظمه، وفخَّمه، ومن تفخيمه وتعظيمه فتنته، والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه، وقيل: أي رفَّع صوته؛ ليبلغ كل أحد. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٣)].

(٣) **طائفة النخل**: أي مجموعة من نخل المدينة. [**انظر**: حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (٢/ ٥٠٨)].

(٤) **فامرؤ حجيج نفسه**: أي كل امرئ يحاجه ويحاوره ويغالبه؛ ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجة. [**انظر**: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٥٦)].

(٥) **قطط**: أي شديد جعودة شعر الرأس. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩٥)].

(٦) **طافئة**: أي مطموسة لا ضوء فيها. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٠)، وفتح الباري (١/ ١٥٠)].

إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً(١) بَيْنَ الشَّأْمِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ(٢) يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِى كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟

قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ(٣)».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: «كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَىٰ القَوْمِ، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ، فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ(٤) عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ(٥) ....

---

(١) **خلة**: أي طريق بين بلدين. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩٥)].

(٢) **عاث**: أي أفسد، والعيث الفساد، أو أشد الفساد، والإسراع فيه. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩٥)].

(٣) **أقدروا له قدره**: أي أنه إذا مضىٰ بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضىٰ بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضىٰ بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب، وهكذا حتىٰ ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنةٍ، فرائض كلها مؤداة في وقتها. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦)].

(٤) **تروح**: أي ترجع آخر النهار. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦)].

(٥) **سارحتهم**: أي ماشيتهم، والسارحة: الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلىٰ المرعىٰ. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦)].

أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[١]، وَأَسْبَغَهُ[٢] ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ[٣] خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ[٤]، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[٥] لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ[٦] النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ[٧] رَمْيَةَ الغَرَضِ[٨]، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[٩] وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ[١٠] رَأْسَهُ قَطَرَ، ....

(١) ذرا: أي أسنمتها عالية، جمع ذروة بضم الذال وكسرها. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦)].

(٢) أسبغه: أي أطوله؛ لكثرة اللبن. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦)].

(٣) أمده: أي أطوله؛ لكثرة امتلائها من الشبع. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦)].

(٤) فيردون عليه قوله: أي لا يقبلونه، أو يبطلونه بالحجة. [انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٦٠)].

(٥) ممحلين: أي مجدبين مقحطين، والمحل: انقطاع المطر، ويبس الأرض من الكلأ. [انظر: مقاييس اللغة، مادة «محل»].

(٦) يعاسيب: جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنىٰ عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها؛ لأنه متىٰ طار تبعته جماعته. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٦-٦٧)].

(٧) جزلتين: أي قطعتين. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٧)].

(٨) رمية الغرض: أي أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٧)].

(٩) مهرودتين: أي لابس ثوبين مصبوغين بورس، ثم بزعفران. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٧)].

(١٠) طأطأ: أي خفض. [انظر: العين، مادة «طأطأ»].

وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ(١) مِنْهُ جُمَانٌ(٢) كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ(٣) لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ(٤)، فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ(٥) لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ(٦).

وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ(٧) يَنْسِلُونَ(٨)، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ(٩)، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ.

---

(١) **يتحدر**: أي ينصب، ويسقط. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١١٢)].

(٢) **جمان**: هي حبات من الفضة تصنع علىٰ هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء علىٰ هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسمي الماء جمانا؛ لأنه يشبهه به في الصفاء. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٧)].

(٣) **لا يحل**: أي لا يمكن، ولا يقع. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٧)].

(٤) **بباب لد**: هو بلدة قريبة من بيت المقدس. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٨)].

(٥) **لا يدان**: بكسر النون تثنية يد، معناه: لا قدرة، ولا طاقة. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٨)].

(٦) **حرز عبادي إلىٰ الطور**: أي ضمهم، واجعله لهم حرزا. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٨)].

(٧) **حدب**: أي نشز، وهو المرتفع من الأرض. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٨)].

(٨) **ينسلون**: أي يمشون مسرعين. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٨)].

(٩) **بحيرة طبرية**: بحيرة تصغير بحرة، تقع في سوريا وفلسطين حاليا، طوله عشرة أميال، وطبرية اسم موضع. [**انظر**: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٦٣)].

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهُ عِيسَىٰ، وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ[(١)] نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[(٢)] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ[(٣)] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ[(٤)]، وَ نَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ[(٥)]، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[(٦)]، وَلَا وَبَرٍ[(٧)] فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[(٨)].

---

(١) **يرغب**: أي يدعو، ويسأل الله جَلَّجَلَالُهُ. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٣٨)].

(٢) **النغف**: دود يكون في أنوف الإبل والغنم. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٣) **فرسىٰ**: أي قتلىٰ، جمع فريس. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٤) **زهمهم**: أي دسمهم، ورائحتهم الكريهة. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٥) **البخت**: واحدتها البختية، وهي جِمال طوال الأعناق. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠١)].

(٦) **لا يكن منه بيت مدر**: أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر، وهو الطين الصلب. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٧) **وبَر**: أي بيت أهل البادية، وهو من وبر الإبل؛ لأن بيوتهم يتخذونها منه. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤٥)].

(٨) **كالزلفة**: أي كالمرآة. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ(١) مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا(٢)، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ(٣) حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ(٤) مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ(٥) مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ(٦) مِنَ النَّاسِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ(٧) فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(٨).

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»: فإذا طلعت لا ينفع كافرا قبل طلوعها إيمانه بعدها، ولا ينفع مؤمنا لم يعمل صالحا قبلُ عملُه بعدها؛ لأن حكم الإيمان والعمل حينئذ كالعمل عند الغرغرة(٩).

ومن الأدلة علىٰ خروجها:

---

(١) **العصابة**: أي الجماعة. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٢) **قحفها**: أي قشرها. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٣) **الرِّسل**: أي اللبن. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩)].

(٤) **اللقحة**: بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان، والكسر أشهر، وهي القريبة العهد بالولادة. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٦٩-٧٠)].

(٥) **الفئام**: أي الجماعة الكثيرة. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٧٠)].

(٦) **الفخذ**: أي الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٧٠)].

(٧) **يتهارجون**: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٧٠)].

(٨) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٩) **انظر**: فيض القدير (٣/ ٢٩٨).

قول الله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام:١٥٨].

قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: أي حين تطلع الشمس من مغربها[(١)].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام:١٥٨]**»[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَىٰ النَّاسِ ضُحًىٰ، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالأُخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِهَا قَرِيبًا**»[(٣)]، أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٦٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤١).

مشاهدتهم وأمثالهم معروفة مألوفة، فأما خروج الدابة علىٰ شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووَسْمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية؛ فإنها تطلع علىٰ خلاف عادتها المألوفة، والله سبحانه أعلم[(١)].

قوله: «وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا»: قيل: من مكة، وقيل: من غيرها، فتكلمهم كلاما، أي: تخاطبهم مخاطبة، فتجلوا وجه المؤمن، وتقطع أنف الكافر[(٢)].

ومن أدلة خروجها:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾: تَجَرِّحُهُمْ، يَعْنِي تَكْتُبُ عَلَىٰ جَبِينِ الكَافِرِ: كَافِرٌ، وَعَلَىٰ جَبِينِ المُؤْمِنِ: مُؤْمِنٌ، وَعَنْهُ: تُخَاطِبُهُمْ، وَتَجْرَحُهُمْ، وهو الصَّحيحُ[(٣)].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١١٠-١١٢).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٤٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ(١) لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ»(٢).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ(٣)، فَتَسِمُ النَّاسَ(٤) عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ(٥)، ثُمَّ يَعْمُرُونَ(٦) فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ البَعِيرَ، فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ المُخَطَّمِينَ»(٧).

مسألة: باقي العلامات الكبرى:

١- خروج يأجوج ومأجوج:

هم قوم من نسل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمكن لأحد قتالهم؛ لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ

---

(١) خرجن: أي ظهرن. [انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١/ ٤٦٦)].

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٥٨).

(٣) تخرج الدابة: أي من الأرض. [انظر: فيض القدير (٣/ ٢٣٦)].

(٤) فتسم الناس: أي الكفار منهم، أي تؤثر في وجهه أثرا كالكي، والوسم: الأثر في الوجه. [انظر: فيض القدير (٣/ ٢٣٦)].

(٥) خراطيمهم: جمع خرطوم، وهو الأنف. [انظر: فيض القدير (٣/ ٢٣٦)].

(٦) يعمرون: أي تمتد أعمارهم بعد ذلك. [انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٤٥)].

(٧) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٢٧).

النَّارِ(١)، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا»(٢).

وهم موجودون الآن؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف:٩٤].

ومن أدلة خروجهم:

قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأنبياء:٩٦].

وقد قص علينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرهم في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المتقدم .

وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ

---

(١) **بعث النار:** أي المبعوث إليها من أهلها. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٨)].

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ[١] يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ، وَالَّتِي تَلِيهَا[٢][٣].

٢- الدُّخَان: يدخل في أسماع الكفار، ويعتري المؤمنين كهيئة الزكام[٤].

ومن أدلة خروجه:

قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠-١١].

٣- خسف بالمشرق.

٤- خسف بالمغرب.

٥- خسف بجزيرة العرب: أي مكة، والمدينة، واليمامة، واليمن، سميت جزيرة العرب؛ لأنها يحيط بها بحر الهند، والبحر الأحمر، ودجلة، والفرات[٥]، وليس بالضرورة أن يشمل جميع أرجائها، بل ربما يأتي علىٰ بعض قبائلها.

ومن أدلة هذه العلامات الثلاثة:

---

(١) **ردم**: أي سد. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢١٦)].

(٢) **حلق بأصبعه الإبهام، والتي تليها**: أي جعل إصبعيه كالحلْقة. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٢٧)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٤) **انظر**: تفسير الطبري (٢٢/ ١٦)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٧).

(٥) **انظر**: التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٢٨٧).

عَـنْ أُمِّ سَـلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَـتْ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي خَسْفٌ بِالمشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ**»، فَقَالَـتْ: يَا رَسُـولَ اللهِ يُخْسَـفُ بِالأَرْضِ وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الخَبَثَ**[1]»[2].

قال العلماء: «قد وُجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا علىٰ ما وُجد كأن يكون أعظم منه مكانا أو قدرا»[3].

٦- نار تخرج من قَعر عدن باليمن تسوق الناس إلىٰ محشرهم:

---

(١) الخبث: أي الفسوق والفجور، وقيل المراد: الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقا. [انظر: الاستذكار، لابن عبد البر (٧/ ٥٠٩)، والمنتقىٰ شرح الموطأ، للباجي (٧/ ٣١٦)، وشرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٦)، وشرح صحيح مسلم (١٨/ ٣)].

قال ابن بطال: «إذا ظهرت المعاصي ولم تُغير، وجب علىٰ المؤمنين المنكِرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها، فإن لم يفعلوا فقد تعرضوا للهلاك، إلا أن الهلاك طهارة للمؤمنين ونقمة علىٰ الفاسقين، وبهذا قال السلف». [انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٦)].

(٢) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٤٧)، والكبير (٥٨٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات».

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/ ٨٤).

أي من أقصىٰ قعر أرض عدَن، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن[١].

وهذا الحشر آخر أشراط الساعة، ويكون قبيل قيام الساعة تحشر الناس أحياء إلىٰ الشام، وأما الحشر من القبور إلىٰ الموقف، فهو علىٰ خلاف هذه الصورة من الركوب علىٰ الإبل، والتعاقب عليها[٢].

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم.

وفي لفظ: «**وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ**[٣]»[٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَرَائِقَ**[٥]: **رَاغِبِينَ**[٦] **رَاهِبِينَ**[٧]، **وَاثْنَانِ عَلَىٰ بَعِيرٍ**[٨]،

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٢٨).

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٩٤-١٩٥)، وفتح الباري (١١/ ٣٧٩).

(٣) **ترحل الناس**: أي تحملهم علىٰ الرحيل، وتزعجهم، وقيل: ترحلهم، أي تنزلهم المراحل، وقيل: ترحل معهم إذا رحلوا، وتنزل معهم إذا نزلوا. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢١٠)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٠١).

(٥) **ثلاث طرائق**: أي ثلاث فرق. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٩٥)].

(٦) **راغبين**: أي في الجنة؛ لما فيها من لقاء ربهم، وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهم الفرقة الأولىٰ. [**انظر**: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٥١٢)].

(٧) **راهبين**: أي من النار، وهم الذين يخافون، ولكن ينجون منها، وهم الفرقة الثانية. [**انظر**: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٥١٢)].

(٨) **اثنان علىٰ بعير**: أي اجتماعا دفعة واحدة. [**انظر**: فتح الباري (١١/ ٢٨٠)].

وَثَلَاثَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ[(١)]، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ[(٢)]، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا[(٣)]»[(٤)].

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما شرار الناس فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلىٰ الشام قهرا حتىٰ تجتمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة»[(٥)].

---

(١) **ثلاثة علىٰ بعير، وأربعة علىٰ بعير، وعشرة علىٰ بعير:** يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض، فعلىٰ مقدار مراتبهم يستريحون علىٰ مراكبهم، والباقون يمشون علىٰ أقدامهم. [**انظر:** فتح الباري (١١/ ٣٧٩)، و مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٥١٢)].

(٢) **يحشر بقيتهم النار:** أي تجمعهم وتسوقهم، يريد به أصحاب المشأمة. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨٩)، وفتح الباري (١١/ ٣٨٠)].

(٣) فيه إشارة إلىٰ ملازمة النار لهم إلىٰ أن يصلوا إلىٰ مكان الحشر. [**انظر:** فتح الباري (١١/ ٣٧٩)].

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٥) **انظر:** لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي «ت ٧٩٥هـ»، صـ (٨٩).

[تصديق الكهان]

وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإجْمَاعَ الأُمَّةِ.

الشرح

قوله: «وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا»: أي أهل السنة والجماعة لا يصدقون من يدعون معرفة الغيب كالكهنة، والعرَّافين؛ لأن علم الغيب مختص بالله تعالىٰ.

والعرَّاف: هو يدعي معرفة خفايا الأمور.

والكاهن: هو من يستعين بالشياطين لمعرفة الغيب، فيخبر به.

والفرق بينهما: أن الكاهن إنما يدعي معرفة الأمور في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار مستعينا بالشياطين.

وأما العراف فهو الذي يزعم معرفة خفايا الأمور كالشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما من الأمور[١].

وقيل: الكاهن أعم من العرَّاف، فكل عرَّاف كاهن، وليس العكس[٢].

وقيل: العرَّاف أعم من الكاهن، فالعرَّاف هو من يدعي معرفة

(١) انظر: معالم السنن (٣/ ١٠٤-١٠٥).
(٢) انظر: السابق (٤/ ٢٢٨-٢٢٩).

الغيب بأي صورة كالمنجِّم، والرَّمَّال، وأما الكاهن فهو من يدعي معرفة المستقبل فقط[(١)].

وقيل: لا فرق بينهما؛ فكلاهما يدعي معرفة علم الغيب الذي استأثر الله تعالىٰ به[(٢)].

وعمل الكاهن والعرَّاف محرَّم؛ لحديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا**[(٣)] **مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»[(٤)].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ**[(٥)]**، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ**»[(٦)].

---

(١) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٧٣).

(٢) **انظر:** تهذيب اللغة (٢/ ٢٠٩)، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٢١٨).

(٣) **ليس منا:** أي ليس من أخلاقنا، ولا علىٰ سنتنا؛ لأن ذلك فعل الجاهلية. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٦٩)، وفيض القدير (٥/ ٣٨٥)].

(٤) **صحيح:** رواه البزار في المسند (٣٥٧٨)، والطبراني في الكبير (٣٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٣٥).

(٥) **قر الدجاجة:** أي كصوت الدجاجة إذا قطَّعته، والقر ترديد الكلام في أذن المخاطب حتىٰ يفهمه.

(٦) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٢١٣)، ومسلم (٢٢٢٨).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «نَهَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكَاهِنِ»[(١)]، أي ما أخذه المتكهِّن علىٰ كهانته وهو محرم وفعله؛ لأن فعل الكهانة باطل لا يجوز أخذ الأجرة عليه، وحلوان العراف حرام[(٢)].

قوله: «وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإجْمَاعَ الأُمَّةِ»: أي أهل السنة والجماعة لا يصدقون من يدعي ما يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ لأن الله أمرنا باتباع ما جاء في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمع عليه المسلمون.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٦١)، ومسلم (١٥٦٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٥/ ٢٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ»(١).

مسألة [١]: حكم الكاهن:

الكاهن كافر؛ لأنه يدعي علم الغيب، وعلم الغيب مختص بالله جَلَّ وَعَلَا، وكذلك العرَّاف، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤].

وقوله تعالىٰ عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام:٥٠].

وقوله تعالىٰ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾[هود:٣١].

مسألة [٢]: أسباب كفر الكاهن والعرَّاف[١]:

١ - كونه وليا للشيطان، فلم يُوحَ إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام:١٢١]، والشيطان لا يتولىٰ إلا الكفار ويتولونه؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة:٢٥٧].

٢ - قول الله تعالىٰ: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾[البقرة:٢٥٧]، أي: نور الإيمان والهدىٰ، ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، أي: ظلمات الكفر والضلالة[٢].

٣ - قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾[النساء:١١٩]، والكاهن يتخذ الشيطان وليا.

٤ - تسميته طاغوتا في قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾[النساء:٦٠]، نزلت في المتحاكمين إلىٰ كاهن جهينة[٣].

وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾[النساء:٦٠]، أي:

---

(١) انظر: غاية المأمول من معارج القبول، د. خالد بن محمود الجهني، صـ(٨٧-٨٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٢٤).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٨).

بالطاغوت.

٥- تشبهه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في صفاته، ومنازعته له تعالىٰ في ربوبيته؛ فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالىٰ بها دون من سواه، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩].

٦- أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله.

٧- النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول، فكيف به هو نفسه فيما ادعاه؟

فعَن بَعضِ أزْوَاجِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً(١)»(٢).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا(٣) فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٤).

---

(١) لم تقبل له صلاة أربعين يوما: أي أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلىٰ إعادة. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٤/ ٢٢٨)].

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٩٥٩).

(٣) الكاهن: يشتمل علىٰ الكاهن، والعراف، والمنجم. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢١٥)].

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وصححه الألباني.

فهذا الحديث يشتمل علىٰ النهي عن إتيان هؤلاء كلهم والرجوع إلىٰ قولهم وتصديقهم علىٰ ما يدعونه من هذه الأمور(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث ورد مرة مقيَّدا بالتصديق، ومرة غير مقيد، فيُحمل علىٰ الحالين، فمن أتىٰ كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن أتىٰ كاهنا فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما(٢).

مسألة [٣]: حكم من أتىٰ الكاهن أو العرَّاف:

من أتىٰ كاهنا أو عرَّافًا فسأله عن شيءٍ، فصدَّقه بما يقولُ، كفرَ كفرًا أصغرَ، ولا تُقبلُ له صلاةٌ أربعينَ يومًا؛ جمعًا بين الأحاديث، ولأنَّ تصديقَ الكاهنِ فيه شُبهةٌ، وهي أن الكاهنَ الَّذِي ادَّعىٰ علمَ الغيبِ يُخبرُ بالأمورِ المغيَّبةِ فيما صدَّق فيه عن طريقِ استراقِ الجنِ للسمع، وقدْ يأتي الآتي إلىٰ الكاهنِ ويقولُ: أنا أصدِّقه فيما أخبرَ من الغيبِ؛ لأنَّه قد جاءَه علمُ ذلكَ الغيبَ من السماءِ عن طريقِ الجنِّ، وهذه الشُّبهة تمنعُ من تكفيرِ من صدَّقَ الكاهنَ الكفرَ الأكبرَ(٣).

---

(١) **انظر**: معالم السنن (٤/ ٢٢٩).
(٢) **انظر**: فتح الباري (١٠/ ٢١٧).
(٣) **انظر**: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، د. صالح آل الشيخ، صـ (٣٠٧-٣٠٩).

[الاجتماع في الدين وذم الفرقة]

وَنَرَىٰ الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

الشــرح

قوله: «وَنَرَىٰ الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا»: أي أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الاجتماع في الدين واجب، والفرقة سبب للزيغ في الدنيا، والعذاب في الآخرة؛ لذلك وصىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جميع الأنبياء، عَلَيْهِمُالسَّلَامُ بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف[1].

قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ:١٣].

ومن الأدلة علىٰ وجوب الاجتماع في الدين، ونبذ الفرق:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:١٠٥].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٥).

وقولــه تعــالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال:٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقولــه تعــالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة:١٧٦].

وقولــه تعــالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الفِرْقَةُ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(١)].

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالفُرْقَةُ عَذَابٌ»[(٢)].

وعَنْ عَرْفَجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢)، وأحمد (٨٣٧٧)، بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك، وثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٤٩)، وصححه الألباني صحيح الجامع (٣١٠٩).

يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[(١)]، معناه يفرِّق جماعتكم، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة، وتنافر النفوس[(٢)].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ القَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَالعَامَّةِ وَالمَسْجِدِ»**[(٣)].

وعن أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»**، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[(٤)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا**[(٥)]**، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا»**، وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ **«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المسْلِمَ، كُلُّ المسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**[(٦)].

مسألة: أنواع الاختلاف:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٥٢).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٤٢).

(٣) حسن: رواه أحمد (٢٢٠٢٩)، وحسنه الأرنؤوط، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٤٧٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٥) لا تدابروا: أي لا يعرض أحدكم بوجهه عن أخيه ويوله دبره استثقالا وبغضا له.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤).

الاختلاف في الأصل قسمان:

أحدهما: اختلاف تنوع، وهو أنواع:

- منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، حتىٰ زجرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ**»[(١)]، أي مصيب.

ومثله: اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة إلىٰ غير ذلك مما قد شُرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

- ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنىٰ قول الآخر؛ لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك.

- ومنه ما يكون المعنيان متغايرين لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنىٰ أحدهما هو معنىٰ الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا.

- ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، وقد سلك كل جماعة طريقا، وكلتاهما حسن في الدين.

وكل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لكن الذم واقع

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤١٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

علىٰ من بغىٰ علىٰ الآخر فيه؛ كما في إقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بني قريظة لمن صلىٰ العصر في وقتها، ولمن أخرها إلىٰ أن وصل إلىٰ بني قريظة[1].

القسم الآخر: اختلاف تضاد: هو القولان المتنافيان: إما في الأصول وإما في الفروع، عند جمهور العلماء الذين يقولون: المصيب واحد، وإلا فمن قال: كل مجتهد مصيب، فعنده هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، ومنه الاختلاف في العقيدة.

وهو ما حمد فيه إحدىٰ الطائفتين، وهم المؤمنون، وذم فيه الأخرىٰ؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[البقرة:٢٥٣]، فهذا حمد لإحدىٰ الطائفتين وهم المؤمنون، وذم للأخرىٰ.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلىٰ الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك آل إلىٰ سفك الدماء، واستباحة الأموال، والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدىٰ الطائفتين لا تعترف للأخرىٰ بما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد علىٰ ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرىٰ كذلك[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٩-١٥٥).

[دين الإسلام]

وَدِيــنُ الله في الأرضِ وَالسَّــماءِ وَاحِــدٌ، وهُــو ديــنُ الإسْــلَام، قــال الله تعــالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمـــران:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

الشـــرح

قولـه: «وَدِينُ الله في الأرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دينُ الإسْلَام، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾»: أي دين جميع الأنبياء واحد، وهو دين الإسلام، فآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد، وجميع الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ دينهم الإسلام.

قال تعالىٰ منكرا علىٰ من أراد دينا سوىٰ دين الله، الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾[آل عمـــران:٨٣]، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله تعالىٰ، والكافر مستسلم لله كرها، فإنه

تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف، ولا يمانع[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[(٢)].

وما من نبي أرسله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلا بالتوحيد؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾[النحل:٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾[الأنبياء:٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)﴾[الشورى:١٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾[الزُّخرُف:٤٥].

فالدِّين واحدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٩)، ومسلم (٢٣٦٥).

الشـرائع، كمـا قـال الله تعـالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

والإسلام: هو الاستسلام لله تعالىٰ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله(١).

ومعنىٰ: «الاستسلام لله بالتوحيد»: الإذعان لله تعالىٰ بالتوحيد الذي هو إفراد الله تعالىٰ بالربوبية، والعبادة، وأسمائه وصفاته.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزُّمَر:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء:١٢٥].

ومعنىٰ: «والانقياد له بالطاعة»: الإذعان لله تعالىٰ بالطاعة، والطاعة: هي موافقة الأمر طوعًا(٢).

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران:٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور:٦٣].

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٢٩).
(٢) انظر: التعريفات، صـ(١٤٠).

ومعنىٰ: «والبراءة من الشرك وأهله»: مباعدة المشركين وشركِهم.

والبراءة: هي التباعد من الشيء ومزايلته، ومن ذلك البُرء وهو السلامة من السُّقم[(١)].

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة:١].

مسألة [١]: أنواع الإسلام:

الإسلام نوعان:

أحدهما: إسلام عام: هو الإسلام الذي تقدَّم ذكره، وهو الذي أرسل الله جَلَّجَلَالُهُ به جميع الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الآخر: إسلام خاص: هو الإسلام الذي أرسل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو المذكور في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ**

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «برأ».

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[١].

مسألة [٢]: الفرق بين الشريعة والدين:

الشريعة هي الطريقة المتبعة، لذلك سمي الطريق إلىٰ الماء شريعة، ويقال: شرع في الدين شريعة، أما **الدين** فهو ما يطاع به المعبود.

ولكل واحد منا دين، وليس لكل واحد منا شريعة[٢].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).
(٢) **انظر**: الفروق اللغوية، صـ (٢٢٢).

[وسطية أهل السنة]

وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

الشرح

قوله: «وَهُو»: أي دين الإسلام الحق، وهو ما سار عليه أهل السنة والجماعة خلافا لأهل البدع.

قوله: «بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ»: أي أهل السنة وسط بين الغلو وهو الإطراء والزيادة، وبين التقطير وهو الجفاء والترك.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة:٨٧]، أي لا تسيروا بغير سنة المسلمين، أي مما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا عليه من قيام الليل كله، وصيام النهار أبدا، وما هموا به من الإخصاء[(١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٧١).

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١)، أي من رغب عنها إعراضا عنها(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثًا(٣)، أي المتعمِّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم(٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٩/ ١٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٤) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٢٠).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (١٨٥١)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

قوله: «وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ»: أي أهل السنة وسط بين أهل التشبيه والتمثيل الذين غالوا في إثبات صفات الله تعالىٰ، وبين أهل التعطيل الذين فرطوا في إثبات صفات الله.

فأهل السنة يثبتون صفات الله علىٰ الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه، ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكييف.

والتعطيل في اللغة: التفريغ والإخلاء، يقال: عطَّله، أي أفرغه، وأخلاه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾[الحج:٤٥]، أي خالية من الماء[١].

وشرعا: هو إنكار شيء مما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، كما فعلت الجهمية الذين نفوا جميع الأسماء والصفات، والمعتزلة الذين نفوا جميع الصفات، والأشاعرة والماتريدية الذين نفوا جميع الصفات إلا سبعة أو ثمانية.

والتشبيه: هو التمثيل كمن يقول: الله له سمع كسمعنا، ووجه كوجوهنا، ويد كأيدينا، تعالىٰ الله عن ذلك.

ومن العلماء من يرىٰ أن التمثيل أعم من التشبيه، فالتمثيل يقتضي المشابهة من جميع الوجوه، أما التشبيه فيقتضي المشابهة من بعض الوجوه[٢]، ولفظ «**التمثيل**» أولىٰ من لفظ «**التشبيه**»؛ لأن لفظ التمثيل

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «عَطَل».
(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٣٤).

نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورىٰ:١١]، وقال: سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[مريم:٦٥].

أما لفظ «التشبيه»، فلم يرد في كتاب الله، ولا سنة رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فإنه قد عُلم بالشرع مع العقل أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طريقة السلف تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، ففي قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ رد للتشبيه والتمثيل الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل الذين يعطلون صفات الله تعالىٰ[(٣)].

قوله: «وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ»: أي أهل السنة وسط في أفعال الله،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٦٦).
(٢) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، صـ(٤١).
(٣) انظر: التدمرية، لابن تيمية، صـ(٨).

وقضائه، وقدره، فيقولون: أفعال العباد مخلوقة لله تعالىٰ، وللعبد اختيار ومشيئة وفعل يصدر عنه، ولكن مشيئة العبد تحت مشيئة الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

والجبر: هو الغلو في إثبات قدرة الله تعالىٰ، أي الإنسان مجبور علىٰ فعل نفسه، مثل الريشة في مهب الريح؛ لأن المؤثِّر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد، ومعنىٰ ذلك: أن الله يعذب العبد علىٰ شيء ليس له فيه اختيار، ولا استطاعة، ويثيبه علىٰ شيء لم يفعله، وهذا مذهب الجهمية والأشعرية.

والقدر: هو الغلو في إثبات قدرة العبد، أي العبد يخلق فعل نفسه دون مشيئة من الله، فأفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، ويلزم من قولهم أن الله عاجز، وأنه يشاركه غيره في الخلق والإيجاد، وهذا قول المجوس، ولذلك المعتزلة سُمُّوا: مجوس هذه الأمة[(١)]؛ فالمجوس يقولون: إن للكون خالقَين، خالق للخير وخالق للشر، والمعتزلة زادوا عليهم وقالوا: كلٌّ يخلق فعل نفسه، فأثبتوا خالقِين؛ لذلك هم أردأ من المجوس، وهذا مذهب جمهور المعتزلة.

قوله: «وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ»: أي أهل السنة لا يأمنون عذاب

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٦٩١)، وأحمد (٥٥٨٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني.

الله تعالىٰ، ولا يقنطون من رحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل هم وسط بين الأمن، والقنوط؛ لأن الأمن من عذاب الله كفر، واليأس من رحمته كفر، كما تقدم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠]، أي كانوا يعبدون الله جَلَّ جَلَالُهُ رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله، ورهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن يعمل بالطاعاتِ وهو مشفِق وجِل خائفٌ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمنٌ»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٥٢١).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١).

[خاتمة]

فَهَـذَا دِينُنَـا واعْتِقَادُنَـا ظَـاهِرًا وَبَاطِنًـا، وَنَحْـنُ بُـرَآءٌ إِلَـىٰ اللهِ مِـنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبيَّنَّاهُ.

وَنَسْـأَلُ اللهَ تَعَـالَىٰ أَنْ يُثَبِّتَنَـا عَلَـىٰ الإيمـانِ، ويَخْـتِمَ لَنَـا بِـهِ، وَيَعْصِـمَنَا مِـنَ الأَهْـوَاءِ المُخْتَلِفَـةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَـةِ، وَالمَـذَاهِبِ الرَّدِيَّـةِ، مِثْـلَ المشـبِّهَةِ، والمعْتَزِلَـةِ، والجَهْمِيَـةِ، والجَبْرِيَّـةِ، والقَدَرِيَّة وَغَيْـرِهم مِـنَ الَّـذِينَ خَـالَفُوا السُّـنَّةَ والجَمَاعَـةِ، وَحَـالَفُوا الضَّـلَالَةَ، ونَحْـنُ مِـنْهُم بُـرَاءٌ، وَهُـمْ عِنْـدَنَا ضُـلَّالٌ وأَرْدِيَـاءُ، وَبِـاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

.... الشــرح ....

قـولـه: «**فَهَذَا دِينُنَا واعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا**»: أي ما ذكرتـه في هـذه العقيدة المباركة من أوله إلىٰ آخـره هـو ديننا الـذي نـدين بـه لله تعـالىٰ، وعقيدتنا التي نعتقدها معشر المسلمين.

قـولــه: «**وَنَحْـنُ بُـرَآءٌ إِلَـىٰ اللهِ مِـنْ كُـلِّ مَـنْ خَـالَفَ الَّـذِي ذَكَرْنَـاهُ وبَيَّنَّاهُ**»: أي نبرأ إلىٰ الله تعالىٰ من كـل مخالفـة لمـا ذكرتـه ووضـحته في هـذه العقيـدة؛ لأنـه باطـل لـم يـأذن بـه الله جَلَّجَلَالُهُ، ولكـن ثمـت مسـائل خالف فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ مذهب أهـل السـنة والجماعـة، منهـا مسـألة الإيمـان

كما تقدم.

قوله: «وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الإيمانِ، ويَخْتِمَ لَنَا بِهِ»:

لأن النجاة في الدنيا مقرونة بالإيمان، والنجاة في الآخرة مقرونة بالموت علىٰ الإيمان، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بنِ مسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**»(١).

وينبغي للمسلم أن يدعو ربه الثبات علىٰ دينه وطاعته؛ لأن القلوب سرعان مما تتقلب؛ لذلك كَانَ أَكْثَرَ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(٢).

وهذا خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كان من دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[إبراهيم:٣٥-٣٦].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٢٢)، وحسنه، والنسائي في الكبرىٰ (٧٦٩٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وأحمد (٢٦٥٧٦)، من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، وصححه الألباني.

وهـذا يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كـان مـن دعائـه: ﴿تَوَفَّنِى مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف:١٠١].

قولـه: «وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ»: أي نسأل الله تعالىٰ أن ييسر الله لنا السير علىٰ طريق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم معصومون في الجملة من الأهواء والآراء المخالفة للكتاب والسنة.

وقد ذمَّ الله تعالىٰ من يتبعون أهواءهم، فقال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص:٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية:٢٣].

وقـال تعـالىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة:٨٧].

ولا يكمل إيمان عبد حتىٰ يجعل هواه تابعا لما جاء في الكتاب والسنة، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[1].

(١) حسن: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والأصبهاني في الحجة (١٠٣)، وصححه النووي في الأربعين (٤١)، وصححه أحمد شاكر في العمدة (١/ ٥٤٠)، وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٢٨٩): «رجاله ثقات»، وضعفه الألباني في المشكاة (١٦٧).

قوله: «وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ»: أي الهالكة؛ لأنها خالفت الكتاب والسنة، وقد حذرنا منها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الفِرْقَةُ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1].

قوله: «مِثْلَ المشبَّهَةِ»: الذين شبهوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمخلوق، فقالوا: صفات الله كصفات المخلوق، أو شبهوا المخلوق بالله تعالىٰ، فقالوا: صفات المخلوق كصفات الله تعالىٰ.

قوله: «والمعْتَزِلَةِ»: هم أتباع واصل بن عطاء، مات سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة، سموا بذلك؛ لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، لما سُئل عن مرتكب الكبيرة، فأجاب بما عليه أهل السنة والجماعة؛ قال: هو مؤمن ناقص الإيمان، فلا يُكَفَّر كما تكفره الخوارج، ولا يوصف بالإيمان الكامل كما تقول المرجئة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فقال واصل بن عطاء -وكان تلميذا للحسن-: أنا أقول: إنه لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتين، يخرج من الإيمان لكنه لا يدخل في الكفر، وتابعه علىٰ ذلك عمرو بن عبيد.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢)، وأحمد (٨٣٧٧)، بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة، وأنس، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك، وثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

وأصول الإيمان عندهم خمسة:

١ - **العدل**: يقصدون به نفي القضاء والقدر؛ لأنهم يقولون: إثبات القضاء والقدر يلزم عليه الجور والظلم في حق الله تعالىٰ، حيث يعذب عباده علىٰ شيء قدره عليهم، والله تعالىٰ عادل لا يجور.

ويلزمهم علىٰ هذا الأصل الفاسد أن الله تعالىٰ يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالىٰ الله عن ذلك.

٢ - **التوحيد**: يريدون به القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق للزم تعدد القدماء! ويلزمهم علىٰ هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة، أو التناقض!

٣- **إنفاذ الوعيد**: يريدون به أنه إذا أوعد بعض عبيده وعيدا فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده؛ لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد، عندهم!

٤ - **المنزلة بين المنزلتين**: يريدون به أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، بل هو في منزلة بين منزلتين.

٥ - **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: يقصدون به وجوب إلزام الغير بالمعروف ونهيه عن المنكر، وضمَّنوه أنه يجوز الخروج

علىٰ الأئمة بالقتال إذا جاروا[١].

قوله: «والجَهْمِيَةِ»: نسبة إلىٰ جهم بن صفوان الذي أخذ مقالته عن الجَعد بن دِرهم، والجعد هو أول من نفىٰ الصفات، ضحىٰ به خالد بن عبد الله القَسْري يوم الأضحىٰ كما تقدَّم.

وأجمع المسلمون علىٰ كفر الجعد والجهم، وقد نفوا الصفات كلها، وقالوا: الإيمان هو المعرفة فقط، فكل من عَرف الله هو مؤمن، وقالوا: الإنسان مجبور علىٰ فعله، كالريشة في مهب الريح[٢].

قوله: «والجَبْرِيَّةِ»: هم الجهمية الذين قالوا بالجبر؛ أي الإنسان مجبور علىٰ فعله، فنفوا قدرته ومشيئته.

قوله: «والقَدَرِيَّة»: الذين نفوا القدر وهم المعتزلة، نفىٰ بعضهم علم الله بالأشياء قبل حدوثها، ونفىٰ بعضهم مشيئة الله تعالىٰ؛ لذلك سُموا مجوس هذه الأمة كما تقدَّم.

قوله: «وَغَيْرِهم مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ»: أي أعرضوا عن الكتاب والسنة، وحالفوا أهل الضلال.

قوله: «ونَحْنُ مِنْهُم بُرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وأَرْدِيَاءُ»: أي نحن

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٨-٢٩، ٤٣ وما بعدها)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤-٤٦٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٢-٧٩٣).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٥)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٤-١٥٦)، ومجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٥٤).

نتبرأ منهم، ونبغضهم، ونعاديهم؛ لأجل أنهم أهل ضلال؛ فالواجب علىٰ المسلم أن يتبرأ من المذاهب الردية المخالفة للكتاب والسنة.

قوله: «وَبِالله العِصْمَةُ»: لأنه لا عاصم من الضلال إلا الله تعالىٰ، ولا أحد معصوم من الخطأ والزلل إلا الأنبياء.

قوله: «وَالتَّوْفِيقُ»: أي الهداية إلىٰ طريق الحق، وسلوك سبيل الرشاد.

تم الشرح،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع

١- **الإبانة عن أصول الديانة**، لأبي الحسن الأشعري «علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، ت ٣٢٤هـ»، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، طبعة: دار الأنصار- القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٢- **الإبانة الكبرىٰ**، لابن بَطَّة «عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، ت٣٨٧هـ»، تحقيق: رضا معطي، وآخرين، طبعة: دار الراية- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م.

٣- **إبطال التأويلات لأخبار الصفات**، لأبي يعلىٰ الفراء «محمد بن الحسين بن محمد، ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، طبعة: دار إيلاف الدولية- الكويت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٤- **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي «عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد سابق الدين، ت ٩١١هـ»، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، بدون طبعة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٥- **الإجماع**، لابن المنذر «محمد بن إبراهيم بن المنذر، ت٣١٩هـ»، تحقيق: د. أبي حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، طبعة:

دار عالم الكتب- الرياض، ط٢، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.

٦- **أحكام أهل الذمة**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، وشاكر بن توفيق العاروري، طبعة: رمادى- الدمام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٧- **الإحكام في أصول الأحكام**، للآمدي «علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، ت ٦٣١هـ»، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨- **الأحاديث المختارة** «المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما»، للمقدسي «محمد بن عبدالواحد، ت ٦٤٣هـ»، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، طبعة: دار خضر- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٩- **إحياء علوم الدين**، للغزالي «محمد بن محمد الطوسي، ت ٥٠٥هـ»، طبعة: دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٠- **أدب المفتي والمستفتي**، لابن الصلاح «عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان، ت٦٤٣هـ»، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

١١- **الأربعون النووية**، للنووي «محيي الدين يحيىٰ بن شرف بن مرِّي، ت٦٧٦هـ»، عُنِيَ به: قصي محمد نورس الحلاق، وأنور بن أبي

بكر الشيخي، طبعة: دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٢- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، للخليلي «خليل بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل، ت٤٤٦هـ»، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس، طبعة: مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٣- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٤- **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار**، لابن عبد البر «يوسف بن عبد الله بن محمد، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م.

١٥- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البر «يوسف بن عبد الله بن محمد، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة: دار الجيل- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٦- **الأسماء والصفات**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، طبعة: مكتبة السوادي- جدة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٧- **أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة**، لمحمد بن عبدالرحمن الخميس، طبعة: دار الصميعي- الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٨- **أصول السنة**، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة، لابن أبي زَمَنِين «محمد بن عبد الله بن عيسىٰ بن محمد، ت٣٩٩هـ»، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، طبعة: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩- **الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، طبعة: دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٢٠- **الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد**، د. خالد الجهني، طبعة: دار التقوىٰ- القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٢١- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٢٢- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٣- **الاقتصاد في الاعتقاد**، لعبد الغني المقدسي «بن عبد الواحد بن علي بن سرور، ت ٦٠٠هـ»، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي

الغامدي، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٢٤- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، طبعة: دار عالم الكتب- بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٥- **الإقناع في مسائل الإجماع**، لابن القطان، «علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي، ت ٦٢٨هـ»، تحقيق: حسن فوزي الصعيدي، طبعة: الفاروق الحديثة- القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٢٦- **إكمال المعلم**، للقاضي عياض «بن موسىٰ بن عياض بن عمرون، ت ٥٤٤هـ»، تحقيق: الدكتور يحيىٰ إسماعيل، طبعة: دار الوفاء- مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٧- **الأمالي في آثار الصحابة**، لعبد الرزاق الصنعاني «بن همام بن نافع، ت٢١١هـ»، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، طبعة: مكتبة القرآن- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٨- **أمراض القلب وشفاؤها**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: المطبعة السلفية – القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢٩- **الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار**، للعمراني

«يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم بن أبي الخير، ت ٥٥٨هـ»، تحقيق: سعود بن عبدالعزيز الخلف، طبعة: أضواء السلف- الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٣٠- **الأنساب**، للسمعاني «عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، ت ٥٦٢هـ»، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، وآخرين، طبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٢م.

٣١- **الأنساب المتفقة في الخط، المتماثلة في النقط والضبط**، لابن القيسراني «محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، ت٥٠٧هـ»، تحقيق: دي يونج، طبعة: دار بريل- هولندا، ١٢٨٢هـ، ١٨٦٥م.

٣٢- **الإيمان**، لابن أبي شيبة «عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، ت٢٣٥هـ»، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٣- **الإيمان**، لابن منده «محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ، ت٣٩٥هـ»، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٤- **الإيمان**، لأبي يعلىٰ الفراء «محمد بن الحسين بن محمد، ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: د. سعود الخلف، طبعة: دار العاصمة- الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١٠م.

٣٥- **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان الأندلسي «محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، ت٧٤٥هـ»، تحقيق: صدقي محمد جميل، طبعة: دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، ١٤٢٠هـ.

٣٦- **بدائع الفوائد**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٣٧- **البداية والنهاية**، لابن كثير «إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ»، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر-مصر، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٣٨- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٩- **تاريخ الإسلام**، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ»، تحقيق: د. بشار عواد، طبعة: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٠- **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي «أحمد بن علي بن ثابت، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: د. بشار عواد معروف، طبعة: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٤١- **تاريخ دمشق**، لابن عساكر «علي بن الحسن بن هبة الله، ت٥٧١هـ»، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طبعة: دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م.

٤٢- **التبيان في أقسام القرآن**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٤٣- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، للزيلعي، «عثمان بن علي بن محجن البارعي، ت ٧٤٣هـ»، طبعة: المطبعة الكبرىٰ الأميرية- القاهرة، ط١، ١٣١٣هـ.

٤٤- **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، لابن تيمية «أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: المطبعة السلفية- القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٤٥- **التدمرية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٤٦- **التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة**، للقرطبي «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١هـ»، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، طبعة: مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٧- **التعريفات**، للجُرجاني «علي بن محمد بن علي الزين

الشريف، ت٨١٦هـ»، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٨- **التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: دار باوزير- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م.

٤٩- **تعليقات الشيخ الألباني علىٰ العقيدة الطحاوية**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ.

٥٠- **تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ العقيدة الطحاوية** مع شرحها لابن أبي العز الحنفي، لابن باز «عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: ابن الجوزي- القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٥١- **التعليقات المختصرة علىٰ متن العقيدة الطحاوية**، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، طبعة: دار العاصمة- الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٥٢- **تفسير الألوسي** «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، للألوسي «محمود بن عبد الله الحسيني، ت١٢٧٠هـ»، تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٣- **تفسير البغوي** «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للبغوي «حسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، ت٥١٦هـ»، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٤- **تفسير الرازي** «مفاتيح الغيب»، للرازي «عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، ت٦٠٦هـ»، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٥٥- **تفسير الطبري** «جامع البيان في تأويل القرآن»، للطبري «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، ت٣١٠هـ»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٥٦- **تفسير القرطبي** «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١هـ»، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٥٧- **تفسير ابن كثير** «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير «إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ»، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة- الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥٨- **تفسير الماتريدي** «تأويلات أهل السنة»، لأبي منصور الماتريدي «أحمد بن محمد بن محمود، ت٣٣٣هـ»، تحقيق: د. مجدي باسلوم، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ،

٢٠٠٥م.

٥٩- **تفسير الماوردي** «النكت والعيون»، للماوردي «علي بن محمد بن محمد بن حبيب، ت٤٥٠هـ»، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٦٠- **التفسير الوجيز** «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، للواحدي «علي بن أحمد بن محمد بن علي، ت٤٦٨هـ»، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طبعة: دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٦١- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، د. صالح آل الشيخ، طبعة: مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.

٦٢- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لابن عبد البر «عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، طبعة: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٦٣- **تهذيب اللغة**، للأزهري «محمد بن أحمد بن الأزهري، ت٣٧٠هـ»، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦٤- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، للمناوي «عبد الرؤوف بن

تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ت١٠٣١هـ»، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٥- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد**، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب «ت ١٢٣٣هـ»، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الاسلامي- بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

٦٦- **التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ**، لابن خزيمة «محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، ت٣١١هـ»، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٦٧- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، للمرادي «حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ، ت٧٤٩هـ»، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، طبعة: دار الفكر العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

٦٨- **التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**، للمناوي، «عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ت١٠٣١هـ»، طبعة: عالم الكتب-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ،١٩٩٠م.

٦٩- **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبد البر «يوسف بن عبد الله بن محمد، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، طبعة: دار ابن الجوزي- الرياض، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٧٠- **جامع المسائل**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد عزير شمس، طبعة: دار عالم الفوائد- الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧١- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، طبعة: دار العاصمة- السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧٢- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، لمحيي الدين الحنفي «عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، ت٧٧٥هـ»، طبعة: مير محمد كتب خانه – باكستان، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٧٣- **حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: مطبعة المدني- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٧٤- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، للأصبهاني «إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي، ت٥٣٥هـ»، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، طبعة: دار الراية – الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٧٥- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، لزكريا الأنصاري «بن محمد بن أحمد بن زكريا، ت٩٢٦هـ»، تحقيق: د. مازن المبارك، طبعة: دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٧٦- **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٧٧- **حصول المنة بشرح أصول السنة للإمام أحمد**، د. خالد الجهني، طبعة: دار التقوىٰ - القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٧٨- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني «أحمد بن عبد الله بن أحمد، ت٤٣٠هـ»، طبعة: السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٧٩- **خلق أفعال العباد**، للبخاري «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت٢٥٦هـ»، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، طبعة: دار المعارف السعودية - الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٠- **الداء والدواء** «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، طبعة: مجمع الفقه الإسلامي - جدة، ودار عالم الفوائد - جدة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٨١- **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية «أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١ م.

٨٢- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، لعلماء نجد الأعلام، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

٨٣- **الدعوات الكبير**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، طبعة: غراس- الكويت، ط١، ٢٠٠٩م.

٨٤- **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، طبعة: مؤسسة علوم القرآن- دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٨٥- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، للبكري «محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم، ت١٠٥٧هـ»، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، طبعة: دار المعرفة- بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٨٦- **الرد علىٰ الجهمية**، لابن منده «محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ، ت٣٩٥هـ»، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي، طبعة: المكتبة الأثرية- باكستان، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٧- **الرد علىٰ المنطقيين**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٨- **الرسالة**، للشافعي «محمد بن إدريس، ت ٢٠٤هـ»، تحقيق:

أحمد شاكر، طبعة: مكتبة الحلبي – مصر، ط١، ١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م.

٨٩- **الرسالة العرشية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: المطبعة السلفية – القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٩٠- **رسالة إلىٰ أهل الثغر بباب الأبواب**، لأبي الحسن الأشعري «علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، ت ٣٢٤هـ»، تحقيق: د. عبدالله شاكر محمد الجنيدي، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، بدون طبعة، ١٤١٣هـ.

٩١- **الرسل والرسالات**، د. عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، طبعة: مكتبة الفلاح – الكويت، ودار النفائس – الكويت، ط٤، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٩٢- **رفع الإصر عن قضاة مصر**، لابن حجر العسقلاني «أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، ت٨٥٢»، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، طبعة: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٩٣- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، لابن تيمية «أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض، بدون طبعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٩٤- **الروح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٩٥- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٩٦- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية- الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٩٧- **السلسلة الصحيحة**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٩٨- **السلسلة الضعيفة**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: دار المعارف- الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م.

٩٩- **السنة**، للخلَّال «أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد، ت٣١١هـ»، تحقيق: د. عطية الزهراني، طبعة: دار الراية- الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

١٠٠- **السنة**، لابن أبي عاصم «أحمد بن عمرو بن الضحاك، ت ٢٨٧هـ» تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٠١- **السنة**، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل «ت ٢٩٠هـ»، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، طبعة: دار ابن القيم - الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦ م.

١٠٢- **السنة**، للمَرْوَزِي «محمد بن نصر بن الحجاج، ت٢٩٤هـ»، تحقيق: سالم أحمد السلفي، طبعة: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٠٣- **سنن الترمذي**، للترمذي «محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة، ت٢٧٩هـ»، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، طبعة: مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥ م.

١٠٤- **سنن الدارقطني**، للدار قطني «علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، ت٣٨٥هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤م.

١٠٥- **سنن أبي داود**، لأبي داود السِّجِسْتاني «سليمان بن الأشعث بن إسحاق، ت٢٧٥هـ»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٠٦- **سنن ابن ماجه**، لابن ماجه «محمد بن يزيد القزويني،

ت٢٧٣هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٠٧- **سنن النسائي الصغرى**، للنسائي «أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٠٨- **سنن النسائي الكبرى**، للنسائي «أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ»، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١ م.

١٠٩- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م.

١١٠- **شأن الدعاء**، للخطابي «حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، ت٣٨٨هـ»، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، طبعة: دار الثقافة العربية- مصر، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١١١- **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، لابن دقيق العيد «محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، ت٧٠٢هـ»، طبعة: مؤسسة الريان- مصر، ط٦، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م.

١١٢- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي «هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، ت٤١٨هـ»، تحقيق: أحمد

بن سعد بن حمدان الغامدي، طبعة: دار طيبة- السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١١٣- **شرح السنة**، للبربهاري «الحسن بن علي بن خلف، ت٣٢٩هـ»، طبعة: مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١١٤- **شرح السنة**، للبغوي «حسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، ت٥١٦هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١١٥- **شرح سنن ابن ماجه**، للسيوطي «عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ»، وآخرين، طبعة: قديمي كتب خانة- باكستان، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١١٦- **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال «علي بن خلف بن عبد الملك، ت٤٤٩هـ»، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١١٧- **شرح صحيح مسلم** «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، للنووي «محيي الدين يحيىٰ بن شرف بن مرِّي، ت٦٧٦هـ»، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١١٨- **شرح العقيدة الأصفهانية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد بن

رياض الأحمد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

١١٩- **شرح العقيدة الطحاوية**، د. صالح آل الشيخ، طبعة: دار ابن الجوزي- القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٥م.

١٢٠- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز الحنفي «محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، ت٧٩٢هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٢١- **شرح العقيدة الواسطية**، لابن عثيمين «محمد بن صالح بن محمد، ت١٤٢١هـ»، طبعة: دار ابن الجوزي- الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ.

١٢٢- **شرح الفقه الأكبر**، للقاري «الملا علي بن سلطان محمد، ت ١٠١٤ هـ»، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، طبعة: دار النفائس- سوريا، ط٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٢٣- **شرح الكافية الشافية**، لابن مالك «محمد بن عبد الله الطائي الجياني، ت٦٧٢هـ»، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، طبعة: جامعة أم القرىٰ- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- مكة المكرمة، ط١٤٠٢،١هـ، ١٩٨٢م.

١٢٤- **شرح الكوكب المنير**، لابن النجار «محمد بن أحمد بن

عبدالعزيز بن علي الفتوحي، ت ٩٧٢هـ»، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٢٥- **الشريعة**، للآجُرِّيُّ «محمد بن الحسين بن عبد الله، ت٣٦٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، طبعة: دار الوطن- الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٢٦- **شُعب الإيمان**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٢٧- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٢٨- **الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ**، للقاضي عياض «بن موسىٰ بن عياض بن عمرون، ت ٥٤٤هـ»، طبعة: دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

١٢٩- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، لنشوان بن سعيد الحميري «ت٥٧٣هـ»، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، طبعة: دار الفكر المعاصر- بيروت، ودار الفكر- دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٣٠- **صحيح البخاري**، للبخاري «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت٢٥٦هـ»، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٣١- **صحيح الجامع**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٣٢- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، لابن حبان «محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، ت٣٥٤هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٣٣- **صحيح أبي داود- الأم**، للألباني، «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مؤسسة غراس- الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٣٤- **شرح مختصر الروضة**، للطوفي، «سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري، ت٧١٦هـ»، تحقيق: د. عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١٣٥- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري «ت٢٦١هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٣٦- **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، للألباني «محمد ناصر

الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٣٧- **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٣٨- **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٣٩- **صحيح وضعيف سنن النسائي**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٤٠- **الصفدية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة: مكتبة ابن تيمية- مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٤١- **الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، طبعة: دار العاصمة- الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤٢- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، للألباني «محمد ناصر

الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٤٣- **طبقات الحنابلة**، لابن أبي يعلىٰ الفراء «محمد بن محمد بن الحسين بن محمد، ت٥٢٦هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٤٤- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار السلفية- القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٤٥- **ظلال الجنة**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، المطبوع مع السنة لابن أبي عاصم، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٤٦- **العرش**، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ»، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.

١٤٧- **العظمة**، لعبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ الأصبهاني «ت ٣٦٩هـ»، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، طبعة: دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤٨- **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ»، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، طبعة: مكتبة أضواء السلف – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٤٩- **عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير** «مختصر تفسير ابن كثير»، لأحمد محمد شاكر، طبعة: دار ابن الجوزي – القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

١٥٠- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، للعيني «محمود بن أحمد بن موسىٰ، ت٨٥٥هـ»، طبعة: المطبعة المنيرية – مصر، بدون طبعة، ١٣٤٣هـ.

١٥١- **العين**، للخليل بن أحمد الفراهيدي «ت١٧٠هـ»، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، طبعة: دار الرائد العربي – بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

١٥٢- **غاية المأمول من معارج القبول**، د. خالد الجهني، طبعة: دار بناء – مصر، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

١٥٣- **فتاوىٰ ابن الصلاح**، لابن الصلاح «عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، ت٦٤٣هـ»، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، طبعة: مكتبة العلوم والحكم، وعالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٥٤- **فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، المجموعة

الأولىٰ، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرياض، بدون طبعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٥٥- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني «أحمد بن علي بن محمد بن علي، ت٨٥٢»، طبعة: دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ.

١٥٦- **فتح القدير**، للشوكاني «محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، ت ١٢٥٠هـ»، طبعة: دار ابن كثير- دمشق، ودار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٥٧- **الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ**، لابن تيمية «أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. حمد بن عبدالمحسن التويجري، طبعة: دار الصميعي- الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٥٨- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، طبعة: مكتبة دار البيان- دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٥٩- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، للأسفراييني «عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، ت٤٢٩هـ»، طبعة: دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٦٠- **الفروسية**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، طبعة: دار الأندلس- السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.

١٦١- **الفروق اللغوية**، لأبي هلال العسكري «الحسن بن عبد الله، ت نحو ٣٩٥هـ»، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، طبعة: مؤسسة النشر الإسلامي- إيران، ط١، ١٤١٢هـ.

١٦٢- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم، «علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، ت ٤٥٦هـ»، طبعة: مكتبة الخانجي- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٦٣- **الفصول في الأصول**، للجصاص «أحمد بن علي الرازي، ت٣٧٠هـ»، طبعة: وزارة الأوقاف الكويتية- الكويت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٦٤- **الفهرست**، لابن النديم «محمد بن إسحاق بن محمد الوراق، ت٤٣٨ هـ»، تحقيق: إبراهيم رمضان، طبعة: دار المعرفة- بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٦٥- **الفوائد**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

١٦٦- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوي،

«عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ت١٠٣١هـ»، طبعة: المكتبة التجارية الكبرىٰ- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٦٧- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي «محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، ت ٨١٧»، طبعة: المطبعة الأميرية، ط٣، ١٣٠١هـ.

١٦٨- **القضاء والقدر**، د.عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، طبعة: دار النفائس- الأردن، ط١٣، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥م.

١٦٩- **القضاء والقدر**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٧٠- **القيامة الصغرىٰ**، د. عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر «ت١٤٣٣هـ»، طبعة: دار النفائس- الأردن، ومكتبة الفلاح- الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١١ هـ، ١٩٩١م.

١٧١- **كتاب القدر**، للفِرْيابِي «جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض، ت٣٠١هـ»، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، طبعة: أضواء السلف- الرياض، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

١٧٢- **الكافي في مذهب الإمام أحمد**، لابن قدامة «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر- مصر، ط١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.

١٧٣- **الكامل في اللغة والأدب**، لابن المبرد « محمد بن يزيد

المبرد، ت٢٨٥هـ»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٧٤- **كرامات الأولياء**، للالكائي «هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، ت٤١٨هـ»، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، طبعة: دار طيبة - السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٧٥- **كشاف القناع عن الإقناع**، للبُهُوتي «منصور بن يونس بن صلاح الدين، ت١٠٥١هـ»، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل، طبعة: وزارة العدل - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٧٦- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، للتهانوي «محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد، ت بعد ١١٥٨هـ»، تحقيق: د. علي دحروج، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٧٧- **كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب**، لابن سحمان «سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان، ت١٣٤٩هـ»، طبعة: أضواء السلف - الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٧٨- **الكفاية في علم الرواية**، للخطيب البغدادي «أحمد بن علي بن ثابت، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: أبي عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، طبعة: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، بدون طبعة، وبدون

تاريخ.

١٧٩- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، للكفوي «أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي، ت١٠٩٤هـ»، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٨٠- **لسان العرب**، لابن منظور «محمد بن مكرم بن علي، ت٧١١هـ»، طبعة: دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٨١- **لسان الميزان**، لابن حجر العسقلاني، «أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، ت٨٥٢»، تحقيق: دائرة المعارف النظامية- الهند، طبعة: مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.

١٨٢- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لابن رجب «عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ت٧٩٥هـ»، طبعة: دار ابن حزم- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

١٨٣- **لمعة الاعتقاد**، لابن قدامة «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، طبعة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٨٤- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، للسفاريني «محمد بن أحمد بن سالم، ت١١٨٨هـ»، طبعة: مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، ط٢،

١٤٠٢هـ، ١٩٨٢ م.

١٨٥- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي «علي بن أبي بكر بن سليمان، ت٨٠٧هـ»، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة: مكتبة القدسي- القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

١٨٦- **المجموع شرح المهذب**، للنووي «محيي الدين يحيىٰ بن شرف بن مرِّي، ت٦٧٦ هـ»، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، طبعة: دار عالم الكتب- الرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م.

١٨٧- **مجموع الفتاوىٰ**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٨٨- **مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، لابن عثيمين، «محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت١٤٢١هـ»، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، طبعة: دار الثريا- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

١٨٩- **مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي «ت٧٧٤هـ»، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة: دار الحديث- القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٩٠- **مختصر العلو للعلي العظيم**، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ»، حققه واختصره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٩١- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت١٧٥٠هـ»، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٩٢- **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، لابن حزم «محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت٤٥٦هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٩٣- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للقاري «الملا علي بن سلطان محمد، ت١٠١٤هـ»، طبعة: دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٩٤- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري «محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ت٤٠٥هـ»، تحقيق: مصطفىٰ عبدالقادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٩٥- **المستدرك على مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

١٩٦- **مسند أحمد**، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد «ت١٢٤١هـ»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث- القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥ م.

١٩٧- **مسند أحمد**، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد «ت٢٤١هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١ م.

١٩٨- **مسند البزار**، للبزار «أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، ت٢٩٢هـ»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م، ٢٠٠٩م.

١٩٩- **مسند الشافعي**، لمحمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي «ت٢٠٤هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٠٠- **مسند الشاميين**، للطبراني «سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، ت ٣٦٠هـ»، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤م.

٢٠١- **المسَوَّدة في أصول الفقه**، لآل تيمية «مجد الدين عبد السلام ابن تيمية «ت ٦٥٢هـ»، وعبد الحليم ابن تيمية «ت ٦٨٢هـ»، وأحمد ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون

تاريخ.

٢٠٢- **مشكاة المصابيح**، للخطيب التبريزي «محمد بن عبد الله، ت ٧٤١هـ»، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢٠٣- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للفيومي «أحمد بن محمد بن علي، ت٧٧٠هـ»، طبعة: المكتبة العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٠٤- **المصنف**، لابن أبي شيبة «عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، ت٢٣٥هـ»، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٠٥- **المعجم الأوسط**، للطبراني «سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، ت٣٦٠هـ»، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة: دار الحرمين- القاهرة، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٠٦- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول**، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي «ت ١٣٧٧ هـ»، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، طبعة: دار ابن القيم- الدمام، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢٠٧- **معالم السنن**، للخطابي «سليمان حمد بن محمد بن

إبراهيم، ت٣٨٨هـ»، طبعة: المطبعة العلمية - حلب، ط١، ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢م.

٢٠٨- **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق الزجاج «إبراهيم بن السري بن سهل، ت٣١١هـ»، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، طبعة: عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٠٩- **المعجم الكبير**، للطبراني «سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، ت٣٦٠هـ»، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

٢١٠- **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، للعيني «محمود بن أحمد بن موسىٰ، ت٨٥٥هـ»، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦م.

٢١١- **المغني**، لابن قدامة «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. محمد الحلو، طبعة: عالم الكتب - الرياض، ط٦، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٢١٢- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني «الحسين بن محمد بن المفضل، ت٥٠٢هـ»، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، طبعة: دار القلم - بيروت، الدار الشامية - دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

٢١٣- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن

الأشعري «علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، ت ٣٢٤هـ»، تحقيق: نعيم زرزور، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢١٤- **مقاييس اللغة**، لابن فارس «أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ت٣٩٥هـ»، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر- بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢١٥- **مقدمة ابن الصلاح** «معرفة أنواع علوم الحديث»، لابن الصلاح «عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، ت٦٤٣هـ»، تحقيق: نور الدين عتر، طبعة: دار الفكر- سوريا، ودار الفكر المعاصر- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢١٦- **الملل والنحل**، للشهرستاني «محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت٥٤٨هـ»، طبعة: مؤسسة الحلبي- مصر، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢١٧- **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب، ط١، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٢١٨- **المنتقىٰ شرح الموطأ**، للباجي «سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، ت٤٧٤هـ»، طبعة: مطبعة السعادة - مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

٢١٩- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لابن الجوزي «عبدالرحمن بن علي بن محمد، ت٥٩٧هـ»، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفىٰ عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

٢٢٠- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٢١- **موسوعة الألباني في العقيدة**، للعلامة الألباني، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، طبعة: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة- صنعاء، ط١، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠م.

٢٢٢- **موطأ الإمام مالك**، لمالك بن أنس بن مالك، «ت١٧٩هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٢٢٣- **النبوات**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة: أضواء السلف- الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

٢٢٤- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، لابن حجر العسقلاني «أحمد بن علي بن محمد بن علي،

ت٨٥٢»، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة: الصباح- دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٢٥- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد**، للدارمي «عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، ت٢٨٠هـ»، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩م.

٢٢٦- **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، للإسنوي «عبد الرحيم بن الحسن بن علي، ت٧٧٢هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٢٧- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير «المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الجزري، ت٦٠٦هـ»، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٢٨- **نونية ابن القيم** «القصيدة النونية»، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

٢٢٩- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، لمكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد «ت٤٣٧هـ»، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد

البوشيخي، طبعة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨م.

٢٣٠- **الوافي بالوفيات**، للصفدي «صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت٧٦٤هـ»، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفىٰ، طبعة: دار إحياء التراث- بيروت، بدون طبعة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٢٣١- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلِّكان «أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ت٦٨١هـ»، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر – بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

الفهرست

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

علوم القرآن:

١- الفرق بين الرسم العثماني، والرسم الإملائي الذي جرىٰ عليه العُرف.

٢- هل البسملة آية من كتاب الله؟

٣- ردود القرآن علىٰ كفار قريش في بعض دعاويهم.

٤- علم المصطلح وتعريفه في القرآن كما ظهر عند السيوطي في الإتقان.

العقيدة:

١- حصول المنة بشرح أصول السنة للإمام أحمد.

٢- تمام المنة علىٰ شرح السنة للإمام المزني.

٣- حرز الأماني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

٤- فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي.

٥- الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد.

٦- الجامع لمسائل العقيدة الواسطية.

٧- التعليقات المرضية علىٰ المنظومة اللامية.

٨- فتح الرب الحميد شرح كتاب التوحيد.

٩- تحقيق كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٠- أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات.

١١- الكلمات السديدة شرح البداية في العقيدة.

١٢- الهداية الرشيدة شرح البداية في العقيدة.

١٣- فتح المنان شرح أصول الإيمان.

١٤- تهذيب كتاب أصول الإيمان.

١٥- القول السديد شرح تفسير كلمة التوحيد.

١٦- القول الأبلغ علىٰ القواعد الأربع.

١٧- الشرح المأمول علىٰ ثلاثة الأصول.

١٨- إعلام الأنام بشرح نواقض الإسلام.

١٩- شرح الأصل الجامع لعبادة الله وحده.

٢٠- حصول المأمول بشرح ستة الأصول.

٢١- المقصد المأمول من معارج القبول.

٢٢- التوضيحات الجلية للمصطلحات الكونية والشرعية [مطبوع ملحقا بكتاب «**فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحُميدي**»].

٢٣- حاشية علىٰ منهج العقيدة للمبتدئين.

٢٤- الإيمان عند السلف.

٢٥- الشيعة [مطبوع ملحقا بكتاب «**الكلمات السديدة شرح البداية في**

العقيدة»].

٢٦- العذر بالجهل [مطبوع ملحقًا بكتاب «**أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات**»].

٢٧- الشرح المختصر علىٰ البداية في العقيدة.

٢٨- الشرح المختصر علىٰ أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل.

٢٩- الشرح المختصر علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي.

٣٠- الشرح المختصر علىٰ شرح السنة للإمام المزني.

٣١- الشرح المختصر علىٰ مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

٣٢- الشرح المختصر علىٰ لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد.

٣٣- الشرح المختصر علىٰ المنظومة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٤- الشرح المختصر علىٰ ثلاثة الأصول.

٣٥- الشرح المختصر علىٰ نواقض الإسلام.

٣٦- الشرح المختصر علىٰ القواعد الأربع.

٣٧- الشرح المختصر علىٰ ستة الأصول.

٣٨- الشرح المختصر علىٰ الأصل الجامع لعبادة الله وحده.

٣٩- الشرح المختصر علىٰ تفسير كلمة التوحيد.

٤٠- الشرح الميسر علىٰ البداية في العقيدة.

٤١-الجامع لمسائل العقيدة الطحاوية.

الحديث:

١- جني الثمار شرح صحيح الأذكار.

٢- التحفة السَّنِيَّة في شرح الأربعين النووية.

٣- خزينة الأسرار في طريق الأبرار.

٤- الشرح المختصر علىٰ صحيح الأذكار.

٥- الشرح المختصر علىٰ الأربعين النووية.

الفقه:

١- التوثيق لبداية المتفقه.

٢- الاختيارات الفقهية للإمام أبي بكر بن المنذر في أحكام الأسرة «**رسالة ماجستير**».

٣- سِمْط اللآلي في الاختيارات الفقهية للشيخ وحيد بن بالي.

٤- كيف تحسب زكاة مالك ؟

٥- رحلة الحجيج من البداية إلىٰ النهاية.

٦- الدرر البهية في فقه الأضحية.

٧- كيف نصلي كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي؟

٨- مختصر التوثيق لبداية المتفقه.

٩- مختصر كيف تحسب زكاة مالك؟

١٠- مختصر أحكام الأسرة للإمام ابن المنذر.

١١- الشرح المختصر علىٰ منظومة القواعد الفقهية.

١٢- الشرح المختصر لبداية المتفقه.

١٣- رحلة الحجيج رحلة إيمانية إلىٰ بلد الله الحرام «إعداد وتحقيق».

١٤-المختصر المفيد في أحكام الصيام وآداب العيد.

١٥- مختصر أحكام الأضحية وعشر ذي الحجة.

١٦- الميسر في مناسك الحج والعمرة.

١٧- تيسر الفقه للمبتدئين «الطهارة، والصلاة».

١٨- قضايا المرأة المعاصرة في الشريعة الإسلامية «رسالة دكتوراة».

المواريث:

١- البداية المختصرة في علم المواريث.

٢- هداية الوريث شرح بداية المواريث.

٣- التقريرات السنية علىٰ المنظومة الرحبية.

٤- أحكام الوصية الواجبة.

٥- الشرح المختصر علىٰ البداية في المواريث.

الآداب الإسلامية:

١- اللآلئ البهية شرح صحيح الآداب الإسلامية.

٢- المفيد في آداب العيد.

٣- مختصر الآداب الإسلامية.

أصول الفقه:

١- الكفاية في شرح البداية في أصول الفقه.

٢- السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي.

٣- الشرح المختصر علىٰ البداية في أصول الفقه.

٤-أوضح الكلمات في شرح الورقات.

القواعد الفقهية:

١- الكواكب الدرية علىٰ منظومة القواعد الفقهية.

٢- قواعد الترجيح بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض «**دراسة تأصيلية تطبيقية**»، «**جزء من رسالة ماجستير**».

٣- مختصر قواعد الترجيح بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض.

مصطلح الحديث:

١- المختصر في علم مصطلح الحديث والأثر.

٢- علم المصطلح في الحديث دراسة تطبيقية «**صحيح البخاري أنموذجا**».

٣- نشأة وتطور علم مصطلح الحديث.

٤- مبادئ علم مصطلح الحديث، والأثر.

٥- الشرح الميسر للمنظومة البيقونية.

السيرة النبوية:

١- إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية.

٢- الدُّر المجتبىٰ في وصف المصطفىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

٣- تيسير الوصول إلىٰ غزوات الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

٤- المختصر في السيرة النبوية.

٥- المختصر في وصف المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

اللغة:

١- المختصر في النحو «كتاب غني بالأمثلة، والجداول، والتدريبات».

٢- البِنَايةُ في شرح البداية في علوم البلاغة.

٣- البداية في علوم البلاغة.

٤- الخليل بن أحمد ومنهجه في كتاب «**العين**».

٥- مباحث حول مسألة «**نزع الخافض**».

٦- مبادئ علم النحو.

٧- الشرح المختصر علىٰ البداية في علوم البلاغة.

الخطب المنبرية:

١- نور المحراب في خطب العقيدة، والفقه، والآداب «**١٠٠ خطبة شاملة لمواضيع العقيدة، والفقه، والآداب**».

٢- تحفة الأبرار في الخطب القصار.

٣- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

٤- قُرة العينين في خطب العيدين.

الأبحاث العلمية:

١- التجارة الالكترونية في ميزان الشريعة الإسلامية.

٢- التسويق الشبكي من وجهة نظر إسلامية.

٣- حكم اعتماد الخطيب على العصا والقوس والسيف أثناء خطبة الجمعة.

٤- القول الفصيح في الأعور يفقأ عين الصحيح.

٥- هل الأمم التي مُسخت قردة وفئرانا تناسلت، وتوالدت؟

كتب متنوعة:

١- المختصر في مبادئ العلوم الشرعية.

٢- موسوعة العلوم الإسلامية للأسرة المسلمة «**تشتمل على ٢٩ كتابا في مختلف العلوم الإسلامية**».

من إصداراتنا

أوضح الكلمات في شرح الورقات

لأبي المعالي الجويني رحمه الله

(المتوفى سنة ٤٧٨ هـ)

كتاب غنيٌّ بالشواهد والأمثلة

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا

الجامع لمسائل العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا

قضايا المرأة المعاصرة في الشريعة الإسلامية

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا

موسوعة التربية والرقائق

كشف الدقائق عن البداية في الرقائق

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا

تيسير الوصول إلى غزوات الرسول ﷺ

صلى الله عليه وسلم

تأليف
د. خالد بن محمود الجهني
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مســــــــوَّدة

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....